

جامعة اليرموك
كلية الشريعة
قسم الدراسات الإسلامية

المشكلات الاجتماعية

ومعالجتها من خلال كليات رسائل النور للإمام
النُّورسي ومقارنتها بالفكر التربوي المعاصر

**Social problems and their treatment in light at kuliat
rasayel alnour by alimam alnourasi and the
cantemporay educational thought**

إعداد

نهيل علي حسن صالح

إشراف

د. محمد ملكاوي
أ.د. ماجد الجلاذ
مشرفاً رئيساً
مشرفاً مشاركاً

حقل التخصص
التربية الإسلامية
١٤٣٣هـ - ٢٠١١م

المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال كليات رسائل النور للإمام
النورسي ومقارنتها بالفكر التربوي المعاصر

إعداد الطالبة:

نهيل علي حسن صالح

بكالوريوس شريعة، جامعة اليرموك، ٢٠٠٠م
ماجستير تربية إسلامية، جامعة اليرموك، ٢٠٠٥م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص
التربية الإسلامية في جامعة اليرموك، إربد-الأردن

ووافق عليها:

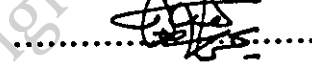
مشرفاً رئيساً



د. محمد أحمد ملكاوي

أستاذ مشارك في العقيدة والمذاهب المعاصرة

عضواً



د. يحيى ضاحي شطناوي

أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن

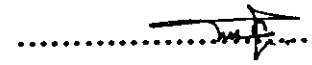
عضواً



د. بهجت عبدالرزاق حباشنة

أستاذ مشارك في الأديان والعقائد

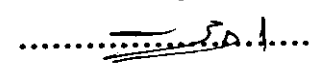
عضواً



د. عدنان مصطفى خطاطبة

أستاذ مشارك في التربية الإسلامية

عضواً



د. أحلام محمود مطالقة

أستاذ مشارك في التربية الإسلامية

١٤٣٣هـ - ٢٠١١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى والديّ الكريمين... إلى زوجي الغالي... إلى أولادي أسامة
ومحمود واليمان ومؤمن ونور الدين... إلى إخوتي
وأخواتي... إلى أهلي جميعاً... حفظهم الله وبارك فيهم ...

إلى شixي ومعلمي... إلى أستاذي وقدوتي... وفاءً وتقديراً
واحتراماً... إلى الدكتور عبد الله الجيوسي رحمه الله...

إلى من يهتمه أمر المسلمين... رفعة وإصلاحاً وارتقاءً...

إليك أيها القارئ الكريم... ليطيب عملي بدقيق نظرك وصادق
حكمك... أهدي هذا الجهد المتواضع.

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥]

أتقدم بالشكر والتقدير لأستاذي الفاضلين الدكتور محمد ملكاوي، والأستاذ الدكتور ماجد الجلال، اللذين تكرّما بالإشراف على هذه الرسالة، على ما بذلاه من جهد، وعلى ما قدّماه لي من توجيهات علمية نافعة، وملاحظات قيمة، وسعة صدر وجميل حلم، فجزاهما الله خير الجزاء.

وأتوجه بالشكر وعظيم الامتنان للدكتور مروان القيسي، على جميل مشورته، وحسن رعايته لطلاب العلم، وعلى إعارته نسخته الخاصة من رسائل النور، فجزاه الله خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر والتقدير إلى الدكتور محمد الطوالبه، وإلى الدكتور علاء الدين رجال وإلى الدكتور علي جبران، على ملاحظاتهم العلمية القيمة، وعلى حسن المتابعة والتوجيه، والشكر موصول للدكتور عماد شريفين الذي كان سبباً في اختياري لهذا الموضوع على ما قدمه من مراجع قيمة ومشورة طيبة.

وأتقدم بالشكر والعرفان للدكتور يحيى شطناوي، وللدكتور بهجت حباشنة، وللدكتورة أحلام مطالقة، وللدكتور عدنان خطاطبة، على تفضلهم بقبول مناقشة رسالتي.

وأتوجه بجزيل الشكر إلى الأساتذة الذين تتلمنت على أيديهم في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وإلى كل من أسدى إلي نصيحة أو بفكرة أو بمرجع خلال دراستي.

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	المحتوى
د	الإهداء
هـ	الشكر والتقدير
و-ي	فهرس المحتويات
ك	الملخص باللغة العربية
٨-١	المقدمة، وتشمل:
٢	مشكلة الدراسة وأسئلتها
٣	أهداف الدراسة
٣	أهمية الدراسة
٤	منهج الدراسة
٤	مصطلحات الدراسة
٥	الدراسات السابقة
٨	حدود الدراسة
٩	الفصل الأول:
	حياة الإمام سعيد النورسي وبينته وتأثيرها في كليات رسائل النور
١٠	المبحث الأول: حياة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي ونتاجه الفكري
١١	المطلب الأول: نشأة الإمام سعيد النورسي وأثرها في شخصيته الإنسانية

٣١	المطلب الثاني: التعريف بتراث الإمام سعيد النُّوزسي الفكري
٤٢	المبحث الثاني: خصائص البيئة التركبية وانعكاساتها التربوية في المجتمع
٤٣	المطلب الأول: خصائص البيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في تركيا وانعكاساتها التربوية
٥٤	المطلب الثاني: خصائص البيئة العلمية في تركيا وانعكاساتها التربوية
٦٢	المبحث الثالث: تأثير موضوعات كليات رسائل النور بالبيئة التركبية ومشكلاتها
٦٣	المطلب الأول: كليات رسائل النور وتشكيل الوعي بالمشكلات المعاصرة
٧٠	المطلب الثاني: كليات رسائل النور وقضايا المستقبل ومشكلاته
	الفصل الثاني:
٧٧	مفهوم الإمام النُّوزسي للمشكلات الاجتماعية وأنواعها واتجاهات تفسيرها وأساليب معالجتها في ضوء الفكر التربوي المعاصر (علم المشكلات الاجتماعية المعاصر)
٧٨	المبحث الأول: مفهوم المشكلات الاجتماعية وأنواعها بين منهج النُّوزسي والفكر التربوي المعاصر
٧٩	المطلب الأول: مفهوم النُّوزسي للمشكلات الاجتماعية وعناصرها في ضوء الفكر التربوي المعاصر
٨٨	المطلب الثاني: أنواع المشكلات الاجتماعية ومستوياتها عند النُّوزسي في ضوء الفكر التربوي المعاصر
٩٦	المبحث الثاني: اتجاهات النُّوزسي في تفسير المشكلات الاجتماعية في ضوء الفكر التربوي المعاصر
٩٧	المطلب الأول: اتجاه تفسير المشكلات الاجتماعية عند الإمام النُّوزسي
١٠٤	المطلب الثاني: اتجاهات علم المشكلات الاجتماعية المعاصر في تفسير المشكلات الاجتماعية

١٠٩	المبحث الثالث: منهج الإمام النُوزسي في معالجة المشكلات الاجتماعية في ضوء الفكر التربوي المعاصر
١١٠	المطلب الأول: أساليب الأفراد في مواجهة المشكلة الاجتماعية
١١٣	المطلب الثاني: منهج النُوزسي في تربية الفرد ومعالجة مشكلاته
١١٨	المطلب الثالث: منهج النُوزسي في تربية المجتمع ومعالجة مشكلاته
١٣٠	الفصل الثالث نماذج من المشكلات الاجتماعية في كليات رسائل النور ومنهج النُوزسي في معالجتها
١٣١	المبحث الأول: مشكلة التقليد
١٣٢	المطلب الأول: المطلب الأول: مفهوم التقليد وأنواعه
١٣٥	المطلب الثاني: أسباب التقليد
١٣٧	المطلب الثالث: الإجراءات العلاجية لمشكلة التقليد
١٤٣	المبحث الثاني: مشكلة الترف الاستهلاكي
١٤٤	المطلب الأول: المطلب الأول: مفهوم الترف الاستهلاكي
١٤٧	المطلب الثاني: أسباب مشكلة الترف الاستهلاكي
١٥٠	المطلب الثالث: ضوابط ترشيد الاستهلاك
١٥٥	المطلب الرابع: الإجراءات العلاجية لمشكلة الترف الاستهلاكي
١٥٩	المبحث الثالث: مشكلة العنف والعدوان
١٦٠	المطلب الأول: المطلب الأول: تعريف مشكلة العنف والعدوان
١٦٣	المطلب الثاني: دوافع العنف والعوامل المغذية له

١٦٧	المطلب الثالث: الإجراءات العلاجية لمشكلة العنف والعدوان
١٧٥	المبحث الرابع: مشكلة الفقر
١٧٦	المطلب الأول: المطلب الأول: حقيقة الفقر وأنواعه
١٧٩	المطلب الثاني: واقع مشكلة الفقر وأسبابه
١٨٣	المطلب الثالث: الإجراءات العلاجية لمشكلة الفقر
١٩٥	المبحث الخامس: مشكلة العنصرية
١٩٦	المطلب الأول: مفهوم العنصرية وأضرارها وعلاقتها بالقومية السلبية
٢٠٠	المطلب الثاني: العوامل المغذية للعنصرية وأهدافها
٢٠٣	المطلب الثالث: الإجراءات العلاجية لمعالجة مشكلة العنصرية
٢١٠	المبحث السادس: مشكلة الظلم والاستبداد
٢١١	المطلب الأول: مفهوم الاستبداد وتفسيره
٢١٤	المطلب الثاني: أسباب تقادم مشكلة الظلم والاستبداد
٢١٨	المطلب الثالث: أنواع الاستبداد
٢٢٢	المطلب الرابع: الإجراءات العلاجية لمشكلة الظلم والاستبداد
٢٢٨	الفصل السابع: التطبيقات التربوية المعاصرة لمنهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية
٢٢٩	المبحث الأول: التطبيقات التربوية المعاصرة لمنهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية داخل المجتمع التركي
٢٣٠	المطلب الأول: التطبيقات التربوية المستتبطة من منهج رسائل النور في

	معالجة المشكلات الاجتماعية في المدرسة النورسية
٢٤٢	المطلب الثاني: أثر الخدمة الاجتماعية التي قدمتها رسائل النور في المجتمع التركي
٢٥٠	المبحث الثاني: التطبيقات التربوية المعاصرة لمنهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية داخل المؤسسات التعليمية
٢٥١	المطلب الأول: التطبيقات التربوية المعاصرة المستنبطة من منهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية داخل الأسرة
٢٥٩	المطلب الثاني: التطبيقات التربوية المعاصرة المستنبطة من منهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية داخل المدرسة
٢٧١	المطلب الثالث: نموذج مقترح لبرنامج علاجي للمشكلة الاجتماعية
٢٧٧	الخاتمة والفهارس
٢٧٨	الخاتمة، وتشمل النتائج والتوصيات
٢٨١	فهرس الآيات القرآنية
٢٨٥	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
٢٨٦	فهرس المراجع
٢٩٨	الملخص باللغة الانجليزية

الملخص

صالح ، نهيل علي ، المشكلات الاجتماعية ومعالجتها في ضوء كليات رسائل النور للإمام النُّوزسي ومقارنتها بالفكر التربوي المعاصر ، رسالة دكتوراة ، جامعة اليرموك ، ٢٠١١م ، (المشرف: د. محمد ملكاوي. أ.د. ماجد الجلاذ).

هدفت الدراسة إلى التعرف بالإمام النُّوزسي ونتاجه الفكري ومنهجه في معالجة المشكلات الاجتماعية، وذلك بتوضيح مفهوم المشكلات الاجتماعية وأنواعها واتجاهات تفسيرها وأساليب معالجتها في ضوء الفكر التربوي المعاصر، مع بيان نماذج من المشكلات الاجتماعية التي تناولها النُّوزسي بالدرس بحثاً وتحليلاً، فبيّن مفهومها، وأسبابها، وإجراءاتها العلاجية، من خلال التفصيل في مشكلة التقليد، والترف الاستهلاكي، والعنف، والفقر، والعنصرية، والاستبداد، وقد خلّصت الدراسة من خلال التحليل إلى وجود تطبيقات تربوية ومشروعات اجتماعية مستتبطة من منهجية رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية.

وقد استخدمت المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على وصف الظاهرة المتمثلة في المشكلات الاجتماعية وتحليلها، وذلك باستقراء النصوص الخاصة بالمشكلات الاجتماعية عند الإمام النُّوزسي، والوصول إلى منهجه في معالجة هذه المشكلات، بهدف إيجاد مجال تطبيقي تربوي معاصر.

ومن أهم النتائج التي أبرزتها الدراسة أن المشكلة الاجتماعية من منظور الإمام النُّوزسي هي كل حالة أو ظاهرة تتناقض مع قيم الإسلام الثابتة، مما يؤثر على المجتمع تأثيراً سلبياً، وأن الإمام النُّوزسي اتّبع في منهجه العلاجي التربوي خطوات عملية مستخدماً كل الوسائل التي أتاحت له، ومستعيناً بما يناسبه من الوسائل فكان له منهجه في معالجة الفرد وفي معالجة المجتمع.

الكلمات المفتاحية: (رسائل النور، النُّوزسي، المشكلات الاجتماعية).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يُوافي نعمته ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على الرسول الكريم

المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن عالمنا المعاصر يعيش ثورة معلوماتية كبيرة، تعددت فيها المصادر وتنوعت فيها الأشكال والأساليب، وقد أدى ذلك إلى ظهور عديد من المشكلات التي ستزداد خطورتها إذا لم يتم التحكم فيها والتعامل معها، وفق قواعد وضوابط محددة، وهذا الأمر يتطلب وجود نظم تربوية، تتكفل بمواجهة هذه المشكلات بوضع السياسات اللازمة والحلول المناسبة، في إطار منهجي مدروس.

والنظام التربوي هو المسؤول الأول عن حركة الأمة عطاءً وارتقاءً، فالأزمة التي نعيشها الآن، هي أزمة في الفكر وخلل في المنهج، لذلك عُتبت المؤسسات التربوية والاجتماعية بالمشكلات التي تُعترى مجالات الحياة المختلفة، فعملت على تحديدها وتفسيرها من خلال نظريات متعددة بهدف الوصول إلى معالجة سوية.

وبما أن رسالة الأمة الإسلامية والتربية صنوان لا يفترقان، فإن أي خلل في النظام التربوي سينعكس على رسالة الأمة ومشروعها الحضاري، لذلك عُتبت التربية الإسلامية بالمشكلات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فكان نظامها التربوي يتناسب مع واقعها ومثلها الأعلى، نظام يشمل المجتمع الإسلامي بكل مستوياته، وينهض به في كل ظروفه وأحواله.

ولأنظمة الفكر التربوي الإسلامي أثر فاعل في مواجهة هذه المشكلات، عن طريق المعالجات والأفكار القادرة على الخروج بالأمة من أزمتها، فبناء المستقبل الزاهر للمجتمعات يتطلب إعادة النظر في الشخصيات المؤثرة، لتشكيل القنوات الفاعلة القادرة على إزالة العقبات، وتوليد القدرات والمهارات اللازمة لتخطي الأزمات، ومن هذه الشخصيات الرائدة في العالم الإسلامي شخصية الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، الذي تناول عديد من القضايا في مؤلفاته بأسلوب فريد، فلم

يتناول العقيدة تناولاً نظرياً مجرداً، ولم يبحث قضايا الفكر بمنهجية بعيدة عن الواقع، وإنما حلل واقعه وشخصه، وسلط الضوء على مشكلات عصره، فكان في أغلب ما عالجه قريباً من واقعه، منحاذاً لأمته، متأثراً بها ومؤثراً فيها.

لذلك جاءت هذه الدراسة والتي تحاول خلال فصولها أن تُبين حقيقة المشكلات الاجتماعية وتسعى إلى معالجتها من خلال كليات رسائل النور للإمام النورسي في ضوء الفكر التربوي المعاصر بهدف بعث روح الفاعلية في الأمة من جديد.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

أدرت عديد من الأوساط العلمية الإسلامية أهمية كليات رسائل النور، وجعلتها مجالاً للكثير من المناقشات واللقاءات والمؤتمرات والبحوث التي تعمل على تحليلها وربطها بواقع الأمة المسلمة، وعلى الرغم من كثرة الدراسات والأبحاث المُقدّمة في كل المجالات العلمية والفكرية عند الإمام النورسي، فإنّ موضوع المشكلات الاجتماعية ومعالجتها، والتي تناثرت أجزاءها في رسائل النور، لم تُبحث في دراسة مستقلة رغم حاجة المجتمعات لمثل هذه التجارب الواقعية، خاصة في ظلّ اضطراب التعامل معها في الفكر التربوي المعاصر.

لذا تحاول هذه الدراسة أن تُبين المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال كليات رسائل النور للإمام النورسي في ضوء الفكر التربوي المعاصر، من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما المشكلات الاجتماعية وما أساليب معالجتها من خلال كليات رسائل النور للإمام النورسي في ضوء الفكر التربوي المعاصر؟ ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:

١. ما أثر بيئة النورسي في كليات رسائل النور؟
٢. ما مفهوم الإمام النورسي للمشكلات الاجتماعية وما أنواعها وما اتجاهات تفسيرها عنده في ضوء الفكر التربوي المعاصر؟

٣. ما أهم المشكلات الاجتماعية في كليات رسائل النور وما منهج التورسي في معالجتها؟
٤. ما أهم التطبيقات التربوية المعاصرة لمنهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية؟

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق هدف عام يتحدد في بيان المشكلات الاجتماعية وأساليب معالجتها عند الإمام التورسي من خلال كليات رسائل النور في ضوء الفكر التربوي المعاصر؟ ويتفرع عن هذا الهدف الأهداف الآتية:

١. توضيح أثر بيئة التورسي في كليات رسائل النور.
٢. بيان مفهوم الإمام التورسي للمشكلات الاجتماعية وأنواعها واتجاهات تفسيرها في ضوء الفكر التربوي المعاصر.
٣. تحليل أهم المشكلات الاجتماعية في كليات رسائل النور وبيان منهج التورسي في معالجتها؟
٤. الكشف عن أهم التطبيقات التربوية المعاصرة لمنهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في النقاط الآتية:

- تستمد هذه الدراسة أهميتها من موضوعها الرئيس، ففكر الإمام التورسي في كليات رسائل النور موضوع تداولته الأوساط العلمية والفكرية، بالإضافة إلى بحثه في المؤتمرات والندوات التي تعقد في ما يتعلق به من جوانب متعددة، ولكن المؤلفات والأبحاث لم تسلط الضوء على المشكلات الاجتماعية وأسس معالجتها في كلياته بالرغم من حاجة المجتمعات الإسلامية لها.

- يتطلع مجتمعنا المعاصر للوصول إلى الارتقاء والازدهار عن طريق معالجة مشكلاته الاجتماعية، ولذلك فهو يحتاج إلى معالجة تتناسب وعقيدته وقيمه، وأحواله القائمة، وتطلعاته المستقبلية، فُتسهم هذه الدراسة في رسم صورة تقرب واقع مشكلاتنا الاجتماعية ومعالجتها إسلامياً، وبذلك تُقدّم أساساً عملياً لمؤسساتنا الاجتماعية والتربوية يُسهم في ارتقائها وبلوغ غاياتها المنشودة.

- تكثر الجهات المستفيدة من نتائج البحث ومن التطبيقات التربوية المعاصرة المستتبطة منها، كالمهتمين بالعلوم الاجتماعية والمساعدة الإنسانية، وكذلك النظم الاجتماعية، كالنظام الأسري والنظام الاقتصادي والنظام التعليمي، والبرامج الاجتماعية المتنوعة للشباب وغيرها.

منهج الدراسة

استخدمت المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على وصف الظاهرة المتمثلة في المشكلات الاجتماعية وتحليلها، وذلك بالرجوع إلى كليات رسائل النور والأدبيات التربوية في البحوث والدراسات، ثم استقراء النصوص الخاصة بالمشكلات الاجتماعية عند الإمام التورسي، والوصول إلى منهجه في معالجة هذه المشكلات، بهدف إيجاد مجال تطبيقي تربوي معاصر، يُسهم في إفادة المؤسسات الاجتماعية والنظم التربوية المعاصرة من المعالجة الإسلامية للمشكلات، معتمدة في ذلك على كليات رسائل النور وبعض الأدبيات التربوية التي تُثري موضوع الدراسة.

مصطلحات الدراسة

• المشكلة الاجتماعية: وأقصد بها حالة أو ظاهرة تُمثل انحرافاً عن قيم المجتمع ومعاييره المُستمدّة من دينه ومعتقداته، وتتحكم هذه الظاهرة في جوانب من أنماط السلوك العام للمجتمع، وتتسبب في تهديد حالة الأمن والاستقرار فيه.

• كليات رسائل النور: هي مجموعة من الرسائل التي ألفها بديع الزمان سعيد النورسي من عام (١٩٢٦م) حتى عام (١٩٦٠م)، وقد اشتملت على تفسيرات قيّمة لآيات القرآن الكريم، وتوجيهات دعوية لإرشاد المسلمين، وزاد عددها عن مائة وثلاثين رسالة، فجمعت ضمن تسعة مجلدات وهي: الكلمات، المكتوبات، اللغات، الشعاعات، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، المثوي العربي النوري، الملاحق، صيقل الإسلام، سيرة ذاتية.

• الفكر التربوي المعاصر: وأقصد به في هذه الدراسة مجموعة التصورات والأفكار التي عرضتها الدراسات الحالية في علم المشكلات الاجتماعية، التي تُعدّ أساساً لواضعي الاستراتيجيات والبرامج العملية في الميادين الاجتماعية والتربوية، وتُمثّل هذه التصورات جهوداً مهمة في الجانب النظري ويُتوقع أن تكون ذات تأثير في الجانب العملي.

الدراسات السابقة

استقصيتُ الأدب التربوي السابق المتمثل بالكتب والدراسات المتعلقة بالموضوع، فلم أجد دراسة مفردة تبحث في المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال كليات رسائل النور للإمام النورسي، إلا بعض البحوث المقدمة في المؤتمرات والتي ناقشت بعض المشكلات الفرعية، كالعنف والفقر والعنصرية، ولكنني تمكنت من الحصول على عدد من الدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة، وفيما يأتي عرض لها:

دراسة بكير (١٩٩٧م)^(١)، بعنوان بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة، تناولت أحوال العالم الإسلامي سياسياً واجتماعياً وثقافياً، وما تعرّض له من هجوم استعماري غربي، وبيّنت جوانب من حياة بديع الزمان، ونشاطه الإصلاحية والدعوية، وقد عمل الباحث على

(١) بكير، حسن عبد الرحمن، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة، رسالة ماجستير غير منشورة، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٧م.

إجراء حصر شامل لما ألفه النُّوزسي، مع بيان موجز لما احتوته هذه المؤلفات، محاولاً إبراز معالم منهجه في تأليفه، ومقدِّماً نماذج من رسائل النور توضح هذه المعالم، مُبيِّناً منهجه في الإعجاز القرآني، بالإضافة إلى رده الشبهات التي أثّرت حوله، ومقيماً منهجه في هذا الموضوع.

وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية: إن حياة بديع الزمان ودعوته هي ترجمة صادقة لعصر من أشد العصور صعوبة على الأمة الإسلامية، وقد كان لمدرسته أثر في المجتمع، من خلال صمود جماعة النور، وتبرئة رسائل النور في المحاكم التركية. بالإضافة إلى أن أهم مميزات منهج بديع الزمان في دعوته، مثل: الدفاع عن القرآن الكريم، ودفع الشبهات عن العقيدة، وتوحيد الشعوب الإسلامية في إطار سياسي يضمن لها تحقيق مكانتها بين شعوب العالم، والدعوة إلى نبذ الطائفية والمذهبية، والتعصب العرقي والقطري، وللإمام النُّوزسي منهجه العملي الذي استعان فيه بكل الوسائل الدعوية التي أُتيح له، فكان منهجه متكاملًا، نظراً وتطبيقاً، فكرياً وسلوكياً وتنظيماً.

ودراسة القرني (١٩٩٨ م)^(١)، بعنوان المنهج التربوي عند بديع الزمان سعيد النُّوزسي، وقد عمل الباحث على بيان أحوال العالم الإسلامي سياسياً واجتماعياً وثقافياً، وبين جوانب من حياة بديع الزمان، ونشاطه الفكري والتربوي.

وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية: إن حياة بديع الزمان ودعوته تربوية تؤكد الجانب التربوي في مناهجها ومبادئها، فكان له أساليبه التربوية الفريدة في إرشاد الأفراد وتوجيههم، وقد تنوعت بحسب المواقف والحاجات، فكان له أثر كبير في المجتمع في جميع المجالات التربوية والاجتماعية والنفسية.

(١) القرني، سعيد بن محمد، المنهج التربوي عند بديع الزمان سعيد النُّوزسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، ١٩٩٨ م.

ودراسة قنديل (١٩٩٨م)^(١)، بعنوان أثر بديع الزمان سعيد النورسي في إحياء الاتجاه

الإسلامي المعاصر في تركيا، بين فيها مكانة بديع الزمان سعيد النورسي في عهد الدولة العثمانية

وما بعدها، ودوره في إحياء الاتجاه الإسلامي المعاصر في تركيا هو وطلابه، كما فصل في ذكر

مؤلفاته، وموضوعاتها.

وقد خلصت الدراسة إلى تأكيد تأثير بديع الزمان في المجتمع التركي المعاصر، إذ

استطاع أن يُكوّن جيلاً من التلاميذ من غالبية طبقات الشعب، الأمر الذي أحدث صحوة إسلامية،

لها مظاهرها وآثارها في جوانب متعددة، وقد اهتمت بالفرد والأسرة، فمنها تتطلق مسيرة البناء.

موقع الدراسة من الدراسات السابقة

تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في الأوجه الآتية:

• بيان أهم المشكلات الاجتماعية التي يلحظها قارئ رسائل النور، وجمعها في دراسة واحدة لاستنباط منهج النورسي في معالجتها.

• ربطها بين النظرة التحليلية والنقدية لأقوال سعيد النورسي في كليات رسائل النور بشأن المشكلات الاجتماعية بهدف الخروج بمعالجة إسلامية صحيحة لها.

• بيان التطبيقات التربوية المعاصرة للمنهجية الإسلامية في معالجة المشكلات الاجتماعية.

حيث جاءت الدراسة لبيان المشكلات الاجتماعية وأساليب معالجتها من خلال كليات رسائل

النور للإمام النورسي في ضوء الفكر التربوي المعاصر، بدءاً من البحث في بيئة النورسي وأثرها

في كليات رسائل النور، مروراً بتوضيح مفهوم النورسي للمشكلات الاجتماعية وأنواعها واتجاهات

(١) قنديل، محمد السيد، أثر بديع الزمان سعيد النورسي في إحياء الاتجاه الإسلامي المعاصر في تركيا، رسالة

دكتوراه منشورة، د.ط، القاهرة، شركة سولز للنشر، ١٩٩٨م.

تفسيرها في ضوء الفكر التربوي المعاصر، وتحديد أهم المشكلات الاجتماعية التي بحثها الإمام النُّورسي وبيّن مفهوماً وأسبابها والإجراءات العلاجية المناسبة له، وأخيراً الوصول إلى التطبيقات التربوية المعاصرة وما تفيدته المؤسسات التربوية من المنهجية الإسلامية في معالجة مشكلاتها.

حدود الدراسة

تقتصر هذه الدراسة على بيان المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال كليات رسائل النور للنُّورسي، ولذلك، فهي تستثني البحث في الجوانب الفكرية والتربوية والتعليمية التي لا تتعلق بموضوع المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من وجهة نظر الإمام النُّورسي، بالإضافة إلى اقتصرها في منحنى المقارنة على الكتابات الحديثة في علم المشكلات الاجتماعية كفرع من فروع الفكر التربوي المعاصر، كما تقتصر على نماذج محددة من المشكلات الاجتماعية عند الإمام النُّورسي، وهي مشكلة التقليد، والترف الاستهلاكي، والعنف، والفقر، والعنصرية، والاستبداد، ثم تحديد التطبيقات التربوية بنماذج معينة من المؤسسات التربوية ممثلة بالأسرة والمدرسة، كمجال للتطبيقات التربوية.

الفصل الأول

حياة الإمام سعيد النورسي وبيئته وتأثيرها في كليات رسائل النور

لم يكن النورسي بمعزلٍ عن أحداث عصره بل انطلقت رسائله من واقعِهِ وبيئته، فكان لخصائص بيئته أثر كبير في نتاجه الفكري، إذ كان أساس كتاباته تكوين الوعي بالحاضر والمستقبل كسبيل ضروري في مواجهة البيئة الاجتماعية في فترة زمنية ذات تشعبات معقدة في كل المجالات.

وقد هدف هذا الفصل إلى بيان مظاهر شخصية الإمام النورسي الإنسانية ومراحل حياته، ثم بيان نتاجه الفكري، وتحديد أبرز خصائص الفترة الزمنية التي عاش فيها، والتركيز على انعكاسات البيئة الاجتماعية في كليات رسائل النور، وعليه قسّم الفصل إلى ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: حياة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي ونتاجه الفكري.

المبحث الثاني: خصائص البيئة التركية وانعكاساتها التربوية في المجتمع.

المبحث الثالث: تأثر موضوعات كليات رسائل النور بالبيئة التركية.

المبحث الأول

حياة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي ونتاجه الفكري

من نعم الله تعالى على الأمة الإسلامية أن تكفل لها بحفظ دينها، وصور هذا الحفظ ومظاهره غير محصورة، وكان من صورها أن بعث الله من يجدد لها دينها ويُنير لها طريقها، متمثلة في سيرة المجتهدين والمصلحين، ومنها سيرة الإمام بديع الزمان النورسي، الذي أسهم في تثبيت دعائم الإسلام في تركيا في القرن العشرين.

ومن خلال الاطلاع على ما كُتب في سيرة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله، فقد برزت شخصية الإمام النورسي عالماً وفقياً ومجاهداً صلباً، وسياسياً متمكناً، وشاهداً على عصره ومصلحاً حقيقياً، فكان لا بدّ في هذا المبحث من تحليل جوانب شخصيته الإنسانية والاجتماعية والعلمية، والتعريف بنتاجه الفكري، وقد قسّمتُ هذا المبحث إلى مطلبين، هما:

المطلب الأول: نشأة الإمام سعيد النورسي وأثرها في شخصيته الإنسانية.

المطلب الثاني: التعريف بتراث الإمام سعيد النورسي الفكري.

المطلب الأول: نشأة الإمام سعيد النورسي وأثرها في شخصيته الإنسانية
بدايةً لا بُدَّ من تقديم تعريفٍ عامٍ بالإمام سعيد النورسي ونشأته، ثم التفصيل في شخصيته وصفاته وعقيدته، والتأكيد على أبرز المحطات في حياته التي أسهمت في تكوين شخصيته الفكرية، ليكون ذلك مدخلاً لفهم منهجه الإصلاحية، وتفصيل ذلك بالآتي:

أولاً: التعريف بالإمام سعيد النورسي ونشأته: وللتعريف بسيرة الإمام سعيد النورسي ينبغي بيان اسمه ولقبه، والجو الأسري الذي نشأ فيه، وبداية تلقيه للعلم، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

■ اسمه ولقبه: الإمام سعيد بن ميرزا بن علي النورسي لقب ببديع الزمان^(١)، وقد بين النورسي سبب هذا اللقب بقوله:

«إن البديع يعني الغريب، فأخلاقى غريبة كمظهري، وأسلوب بياني غريب كملابسي، كلها مخالفة للآخرين، فأتانا أرجو بلسان حال هذا العنوان عدم جعل المحاكمات العقلية والأساليب المتداولة والرائجة مقياساً لمحاكماتي العقلية ومحكاً لأساليب بياني...، هذا وإن لقب بديع الزمان، الذي مُنحته مع عدم استحقاق لي له، ليس لي، وإنما هو اسم معنوي لرسائل النور، قد قُدد مؤلفها الظاهر إعارة وأمانة، والآن أعيد ذلك الاسم الأمانة إلى صاحبه الحقيقي»^(٢).

كما نكرت المراجع أن الإمام النورسي عُرف بعدة ألقاب، منها^(٣):

١. بديع الزمان: وهو الأكثر شهرة.

٢. سعيد المشهور: وسبب إطلاقه عليه نكاؤه الخارق وقوة حفظه التي أذهلت شيوخه.

(١) انظر: النورسي، سعيد، سيرة ذاتية، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ط٤، شركة سولز للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٣٥، بتصرف.

(٢) النورسي، سيرة ذاتية، ص ٦٤، باختصار.

(٣) انظر: القرني، المنهج التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي، ص ١٦، بتصرف.

٣. سعيد القديم وسعيد الجديد: وهذان اللقبان يُشيران إلى فترتين متباينتين في حياة الإمام النُّوزسي، وذلك عندما كان منشغلاً بالسياسة والحضارة الأوروبية، ثم تحوّل عنها إلى خدمة حقائق الإيمان وغرسه في نفوس أفراد المجتمع لحاجتهم إلى ذلك، وقد أطلقهما على نفسه.

لكن انتقال الإمام النُّوزسي من المرحلة الأولى إلى الثانية لم يكن سريعاً؛ إذ مرّ بمرحلة انتقالية دامت أكثر من ثماني سنوات، وتوضح رسالة الشيخ^(١) هذه المرحلة الانتقالية بالتفصيل.

٤. سعيد الثالث: وهي المرحلة التي عقت مرحلة سعيد الجديد، تبدأ من سنة (١٩٤٩م) إلى وفاته سنة (١٩٦٠م)، وقد ظلّ جُلّ همّه مركزاً على نشر رسائل النور، وعلى التربية وإنشاء جيل جديد^(٢)، ولم تذكر غالبية المراجع هذا اللقب، ويعود ذلك إلى إلحاق هذه المرحلة بمرحلة سعيد الجديد، كما يعود إلى قلة الأحداث التي شهدتها هذه الفترة الزمنية.

٥. الأستاذ: وهو لقب تداوله طلابه فيما بينهم، ويظهر في جميع رسائل النور.

ولادته: اتفقت غالبية المراجع على أن تاريخ ميلاد الإمام النُّوزسي هو (١٢٩٤هـ-١٨٧٦م)^(٣)، إلا ما كان من اختلاف في بعض المراجع^(٤)، وتحديدًا يُمكن حصر الاختلافات المعتمدة المرجحة من

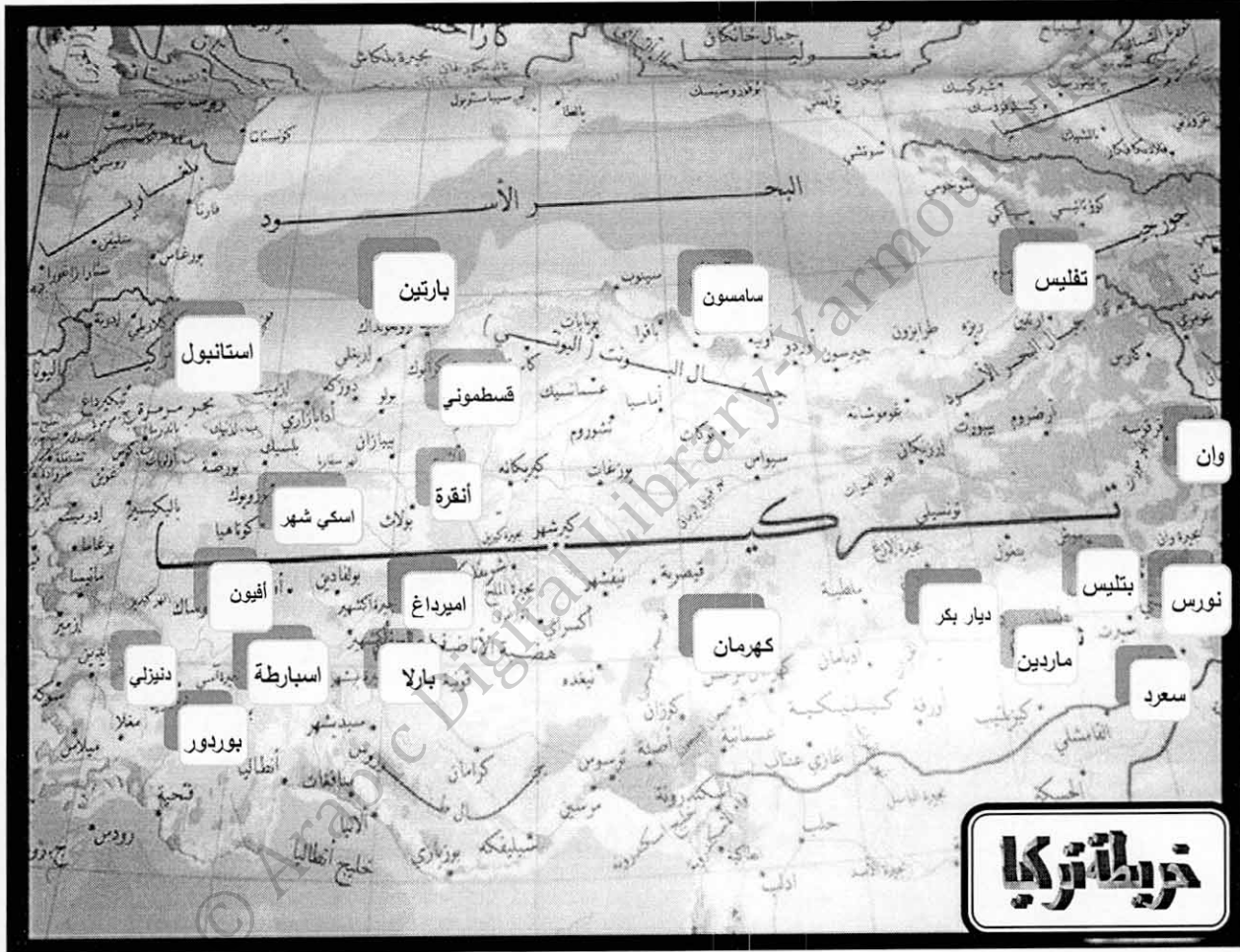
(١) وهي اللمعة السادسة والعشرون في مجلد اللغات من كليات رسائل النور، والتي كانت بعنوان رسالة الشيخ، بيّن فيها الإمام النُّوزسي أهمية الإيمان في الشيخوخة، ودوره في كشف جوانب مشرقة من هذه المرحلة في عمر الإنسان. راجع: النُّوزسي، اللغات، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ط٤، شركة سولز للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٤٠٢.

(٢) انظر: بكير، بديع الزمان سعيد النُّوزسي وأثره في الفكر والدعوة، بتصرف.

(٣) النُّوزسي، سيرة ذاتية، ص٣٥.

(٤) بيّن القرني أن الاختلاف في ولادة الإمام النُّوزسي كان محصوراً في التاريخ الهجري، وذكر المراجع التي اختلفت في تاريخ مولد الإمام النُّوزسي، ثم رجّح تاريخ (١٢٩٠هـ-١٨٧٠م)، انظر: القرني، المنهج القريبوي عند بديع الزمان سعيد النُّوزسي، ص١٧-١٨، بتصرف. ويُرَد عليه بأن الفارق بين التاريخ الذي رجحه وبين التاريخ الذي حدده الإمام النُّوزسي في سيرته الذاتية كبير، فلا يمكن اعتماده، أما ما ذكرته المراجع الأخرى من الاختلاف بين سنة (١٨٧٦م)، وسنة (١٨٧٧م)، فاختلف طبعي بسبب استخدام التاريخ الروماني رسمياً في أواخر الدولة العثمانية، حيث تبدأ السنة فيه أول مارت، وتوافق (١٢٩٤هـ) و (١٨٧٦م-١٨٧٧م).

قبل الباحثين بالأعوام الآتية: (١٨٧٠م، ١٨٧٣م، ١٨٧٦م، ١٨٧٧م، ١٨٧٨م)، غير أن الراجح هو التاريخ الذي ذكره الإمام في رسائله؛ لأنه الأصل وبقية المراجع ناقلة عنه، وقد ولد الإمام سعيد النُورسي في قرية نُورس^(١) بتركيا، والشكل (١) يُبين مواقع الولايات التركية الواردة في هذه الدراسة:



وأما ما ذكر في بعض المراجع من أن الإمام النُورسي ولد سنة (١٨٧٠) (١٨٧٣م)، أو سنة (١٢٩٥هـ-١٨٧٨م)، فلا مرجح له. انظر: إززال، حسن، بديع الزمان سعيد النُورسي ومشروعه الإصلاحية في التربية والتعليم، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، تركيا، العدد الثالث، ٢٠١١م، ص ١٥٤.

(١) قرية في ناحية إسباريت التابعة لولاية بتليس الواقعة في شرق الأناضول بکردستان تركيا. انظر: النُورسي، سيرة ذاتية، ص ٣٥، بتصريف.

■ أسرته: ولد الإمام سعيد النورسي في أسرة كردية متوسطة الحال، تشتغل بالزراعة، وعلى قدر كبير من التدين، والده "ميرزا بن علي"، لقب بالصوفي لتقواه وورعه، فلم يمدّ يده إلى حرام ولم يُطعم أولاده إلا حلالاً طيباً^(١).

وأما والدته "تورية بنت ملاً طاهر"، فعُرِفَت بالتقوى والصلاح، وتظهر هذه الصفات من روايتها حيث قالت: "ما أرضعت أولادي يوماً إلا وأنا على طهر ووضوء"^(٢).

ولم يتمكن الإمام سعيد النورسي من مشاهدة والدته منذ التاسعة من عمره بسبب وفاتها، وقضى حياته أعزباً، ولكنه كان مؤمناً بأن الله سبحانه وتعالى قد يسر له ألوف الوالدات والشباب من طلاب العلم الذين يُفيدون من رسائل النور^(٣).

ومع قصر الحياة التي عاشها الإمام النورسي مع والدته، إلا إنه يظهر تأثيرها في تكوين شخصيته العلمية والتربوية، فقد حوت ذاكرته مواقف قليلة لكنها ذات تأثير تربوي كبير.

■ نشأته وتثقله في طلب العلم: ظهرت على الإمام النورسي علامات الذكاء والنبوغ في وقت مبكر من حياته، وتَمَيَّز عن أقرانه بحبّ الاطلاع وكثرة الاستفسار ودقة الملاحظة، وكان يحرص على حضور مجالس الكبار التي كان يدعو إليها والده في بيته، ويناقش فيها مع علماء القرية مسائل كثيرة.

وقد اهتم منذ الصغر بمسائل فلسفية وفكرية عميقة، كانت تدعوه إلى التأمل والتفكير، ويقول عن نفسه:

(١) انظر: الوكيل، محمد السيد، استمرارية الدعوة نماذج من الدعاة من القرن السابع إلى القرن الرابع عشر، ط١، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٩٤م، ص٣٦٤، بتصريف.

(٢) انظر: النعيمي، أحمد نوري، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، ط١، عمان، دار البشير، ١٩٩٣م، ص٣٠٠، بتصريف.

(٣) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص٣٦-٣٧، بتصريف.

«لقد حدثتُ خيالي في عهد صباي أيّ الأمرين تُفضّل؟ قضاء عمر سعيد يدوم ألف
ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبتهتها، على أن ينتهي ذلك إلى العدم، أم وجوداً باقياً
مع حياة اعتيادية شاقّة؟ فرأيتُه يرغب في الثانية، ويضجر من الأولى قائلاً: إنني لا
أريد العدم بل البقاء»^(١).

وكان ميل النورسي إلى طلب العلم قوياً منذ نشأته الأولى، فشرع في تلقي علومه الأولى في
أكثر من منطقة، وكانت سمة التّفنل وتغيير أماكن التّعلم هي الأبرز في هذه الفترة الزمنية، ومن
أماكن تعلمه:

▪ قرية (تاغ) سنة ١٨٨٢ م على يد شيخ القرية محمد أفندي^(٢)، وفي نهاية كل أسبوع كان ينتهز
فرصة رجوع أخيه إلى البيت ليتلقى منه دروساً إضافية، غير أنه لم يستمر طويلاً في هذه القرية
بسبب حدة مزاجه وتخاصمه مع زملائه^(٣).

▪ ثم انتقل إلى قرية (بيرمس)، حيث نال إعجاب شيخ المدرسة، ولفرط إعجاب الشيخ به قام بزيارة
والديه كي يقف بنفسه على طريقة تشنته والبيئة التي نشأ فيها، وبعد ذلك انتقل إلى مراعي شيخان،
أي شيخ تاغي، ثم إلى قرية نورشين، وبعدها إلى قرية خيزان، حيث نال إعجاب شيخ المدرسة لأخلاقه
وشجاعته وعلمه حتى لقب «تلميذ الشيخ»^(٤).

كما تتقلّ الإمام النورسي إلى أماكن متعددة منها: (سعد وبتليس ووان)^(٥) وغيرها، وقد أثرت
كثرة الرحلات في تكوين شخصية الإمام النورسي العلمية والشخصية، حيث صقلت عقلية الإمام
النورسي العلمية، وعملت على تنمية مواهبه وقدراته الإبداعية، وتنوع ثقافته وتعدد مصادرها.

(١) النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤٠.

(٢) صاحب مدرسة الشيخ محمد أفندي، وكانت تعدّ مدرسة دينية على الطريقة النقشبندية. انظر: النعيمي،
الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، ص ٥١، بتصرف.

(٣) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤٣، بتصرف.

(٤) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤٣، بتصرف.

(٥) أسماء ولايات تركية مشهورة موضحة في الشكل رقم (١)، من هذه الدراسة، ص ١٥.

ثانياً: صفات الإمام سعيد النُوزسي: لقد جمع النُوزسي إلى حدة الذكاء وقوة الحافظة، الشجاعة والإقدام حتى ذاع صيته؛ ومن خلال القراءة الدقيقة لسيرة حياة الإمام النُوزسي، وجدتُ مجموعة من الصفات التي كانت انعكاساً مباشراً لنشأته، ومن جوانب شخصية الإمام الصفات الآتية:

١. سعة المعرفة والاطلاع: مكث النُوزسي في (سعد) مدة شهرين، وفي هذه المدة القصيرة اطلع على عدد كبير من أمهات الكتب وأتمها، فتعجب الأساتذة من أمره، وكان النُوزسي يقول لأساتذته: "أنا على استعداد للامتحان في الكتب التي ذاكرتها"، وكانت تدور المحاورات بينه وبين أساتذته، وممن شاهد هذه المحاورات "المُلا علي الصوران" الذي بدأ يتلقى الدرس من الإمام سعيد علماً بأنه كان أستاذاً لأستاذه^(١)، وما كان هذا الأمر ليتم لولا قناعة أساتذته بسعة علم الإمام النُوزسي، وتأكدهم بأنه قد فاق أقرانه.

٢. الإخلاص في العمل: وهذه السمة تجرد العمل من مظاهر النفاق والرياء، فكثير من الناس يتقن عمله ويجوّده إن كان مراقباً من رئيس، أو سعى إلى السمعة والشهرة، ولكن المراقبة الداخلية تجعله يؤدي عمله بإتقان في كل الحالات والظروف.

ومما يدل على إخلاص النُوزسي في إرشاد الناس إلى الحق، وحرصه على إيصال العلوم والمعرفة لهم ما كان في مضمون القصة الآتية: أخبره وزير الأمن بأن السلطان قد بعث إليه مرتباً شهرياً، لكن النُوزسي رفض المبلغ، معللاً ذلك بأنه إذا قبل المبلغ فسوف يتكرر استدعاء السلطان له، فأخبره وزير الأمن بأنه يتوقع أن تكون النتائج وخيمة، لكن النُوزسي بيّن للوزير بأنه حضر إلى استانبول لتقديم النصيحة لأبناء أمته، ولن تُحدث نصيحته أثراً إلا إذا كانت مخلصه خالية من شوائب الطمع، لذلك يرفض المرتب^(٢).

(١) انظر: النُوزسي، سيرة ذاتية، ص ٥١-٥٢، بتصرف.

(٢) انظر: النُوزسي، سيرة ذاتية، ص ٧٤-٧٥، بتصرف.

وهذه السمة هي سبيل إلى إيجاد الشخصية القيادية المثلى، الشخصية التي اتجهت حركة

المجتمع إلى إيجادها، لتتحقق تماسكه وقوته.

٣. الشجاعة والجرأة: فقد ظهرت علامات الشجاعة ظهوراً قوياً على الإمام النورسي منذ صباه، ووليدتها الجرأة التي فتحت أمامه الطريق لمعرفة كل ما يصبو إليه، ومن شواهد ذلك: ما روي عن مبادرته في دعوة مصطفى باشا^(١) إلى الهداية وإقامة الصلاة، فعندما وصل إلى خيمة مصطفى باشا لم يجده هناك، فجلس ليستريح، فلما جاء مصطفى باشا هبّ الحاضرون قياماً احتراماً له، إلا النورسي لم يحرك ساكناً، فسأله الباشا عن سبب حضوره فأجاب: جئت لأهديك إلى الحق، فإما أن تتخلى عن الظلم وتقيم الصلاة، وإما أن أقتلك.

ودار حوار بين مصطفى باشا وسعيد النورسي انتهى إلى الاتفاق على عقد مناظرة علمية بينه وبين العلماء، وتم الاتفاق فيها على أنه إن فاز العلماء ألقى سعيد النورسي في النهر، أما إن فاز سعيد وتفوق عليهم فله بندقية يقتل بها مصطفى باشا إن لم يُقم الصلاة.

وعند انعقاد المجلس بدأ العلماء بطرح ما يقارب الأربعين سؤالاً، فأجاب عنها الإمام سعيد إجابات وإقيه صائبة سوى سؤال واحد أخطأ في جوابه، دون أن ينتبه إليه العلماء، فاعترف له العلماء بعلمه، وبعد أن انفضّ المجلس، تبعهم سعيد ليعتذر عن جواب ذلك السؤال، مخبراً العلماء عن الإجابة الصحيحة، وجلس بعضهم لينهل من علمه، فأعطي سعيد البندقية، وأقام مصطفى باشا الصلاة^(٢).

ومما لا شك فيه أن التغييرات التي تحدث في سلوك الفرد ومظهره، والتي تؤكد للفرد ذاتيته، يكون لها أثر لا يُستهان به في إدراك الفرد لنفسه وإدراك الآخرين له أيضاً، فالشجاعة التي تتوّد

(١) رئيس عشيرة ميران إحدى الولايات التركية.

(٢) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص ٥٥-٥٦ بتصرف.

عن الثقة بالنفس تعمل على تحسين قدرات الفرد التوافقية الاجتماعية، بسبب وجود الضوابط الثابتة والواجبات المحددة، جزاء التخطيط والتنظيم، فلا وجود في هذه الشخصية للعبثية أو التردد.

٤. قوة الحافظة: ظهرت قوة حافظة الإمام واضحة في سنوات تحصيله الأولى، وبقيت له محفوظة إلى آخر عمره رحمه الله، وكانت خير عون له في تحصيله العلمي، وإسعاف مداركه العقلية النافذة، فلها أهميتها من بين الصفات، إذ فتحت أمامه الكنوز الفكرية وطريقة الإفادة منها، ووضعت يده على جذور العلوم وكيفية التعامل معها.

وقد انكبَّ النُّوزي على حفظ المتون من كل علم، فحفظ عن ظهر قلب خلال سنتين من متون الكتب "كالمطالع" و"المواقف" وأمثالها من الكتب فضلاً عن حفظه متون كتب علوم اللغة، كالنحو والصرف والمنطق وغيرها، ومتون كتب العلوم العالية كالحديث والفقه، وذلك لتصبح هذه المتون مفاتيح للحقائق القرآنية، ورداً للشبهات الواردة على الدين^(١).

هذه جملة من صفاته الخلقية، التي جمع الإمام النُّوزي محاسنها، فاستحق أن يكون قدوة لأسرته وتلامذته ومصلحاً لمجتمعه، حيث إن المسلم مهما كان مركزه الاجتماعي مطالب بحركة تلي حركة البناء المتعلق بشخصه، وهي الحركة التي لها صلة بالمجتمع، إذ يرتبط الفرد بمجتمعه بمنظومة من الواجبات التي لا تتفك عنه في أي من مراحلها الاجتماعية، وتبقى الواجبات الاجتماعية في تزايد وتكرار، حتى تُسهم بدورها في إبراز البعد التأثيري لمنظومة الإصلاح، للوصول إلى الارتقاء في سلم السمو والرفعة.

ثالثاً: المؤثرات الفكرية التي أسهمت في تكوين شخصية الإمام النُّوزي: تأثر الإمام النُّوزي

بنوعين من المؤثرات الفكرية التي أسهمت في إعداد شخصيته، وهي:

(١) انظر: النُّوزي، سيرة ذاتية، ص ٦٠، بتصرف.

١. أكد الإمام النورسي على تعلقه بفكر علماء سبقوه كان لهم أبرز الأثر في تكوين شخصيته العلمية، ومن أبرزهم:

أ. الشيخ عبد القادر الكيلاني^(١)، أستاذه الأول من خلال قراءة كتابه "فتوح الغيب"، حينما تصفحه متفائلاً، وكان صاحبه يُنبئه لمرض في نفسه، فقال:

«نعم، هكذا خاطبني الشيخ: أنت مريض.. ابحث عن طبيب يُداويك! وبدأت أقرأ ذلك الكتاب كأنه يخاطبني أنا بالذات.. كان شديد اللهجة يُحطم غروري، فأجرى عمليات جراحية عميقة في نفسي... واستفدتُ منه فوائد جليئة، وأمضيتُ معه ساعات طويلة، أصغي إلى أوراذه الطيبة، ومناجاته الرقيقة»^(٢).

ب. الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي^(٣)، من خلال كتابه "مكتوبات"، وقد وجد فيه عجباً فقال:

«حيث ورد في رسالتين منه لفظة (ميرزا بديع الزمان)، فأحسستُ أنه يخاطبني باسمي...، والإمام الرياني يُوصي مؤكداً في هاتين الرسالتين، وفي رسائل أخرى: أن وُحِدَ القبلة؛ أي اتبع إماماً ومرشداً واحداً لا تتشغل بغيره... وأخذتُ أفكر ملياً، أيهما أتبع! وحينما كنت أتقلب في هذه الحيرة الشديدة.. إذا بخاطر رحماني من الله يهتف بي: أن بداية الطرق جميعها... إنما هو القرآن الكريم»^(٤).

(١) الشيخ عبد القادر الكيلاني: هو عبد القادر ابن أبي صالح موسى الكيلاني أو الجيلاني، ولد في إقليم جيلان في القسم الشمالي من إيران سنة (٤٧٠هـ)، نشأ في أسرة يغلب عليها سمة الزهد والصلاح، درس الفقه على المذهب الحنبلي، وقرأ القرآن الكريم والأدب، ثم اتجه نحو الزهد وعلومه، صنف الشيخ عبد القادر مصنفات كثيرة في الأصول والفروع، وفي أهل الأحوال والحقائق والتصوف، منها: الفتح الرياني والفيض الرحماني، والغنية لطالبي طريق الحق، وفتوح الغيب، والفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، توفي سنة (٥٦١هـ)، انظر: الكيلاني، عبد الرزاق، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، ط١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤م، ص ٨٥-٨٦، بتصريف.

(٢) النورسي، المكتوبات، ص ٤٥٨، باختصار.

(٣) السرهندي: هو أحمد الفاروقي السرهندي، ولد سنة (٩٧١هـ)، في بلدة سرهند، بدأ بتعلم مبادئ العلوم عند والده، وحفظ القرآن الكريم في صغره، واستظهر عدة من المتون، ولم يبلغ من العمر سبعة عشرة سنة إلا وقد فرغ من تحصيل علومه الدراسية، ألف المكتوبات الربانية وهي عبارة عن ثلاثة مجلدات، وانتشرت مآثره العلمية والإصلاحية في سائر الأقطار فتهاقت عليه العلماء والفضلاء، وكان يحرض أصحابه التمسك بالشرعية وإحياء السنة النبوية والعمل بما فيها واجتناب البدعات المخالفة، انظر: الندوي، أبو حسن علي حسني، الإمام السرهندي، حياته وأعماله - رجال الفكر والدعوة، ط١، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣م، ص ١٢١-١٢٢، بتصريف.

(٤) النورسي، المكتوبات، ص ٤٥٨-٤٥٩، باختصار.

٢. استطاع الإمام النُّوزسي أن يُحيط بنسق متكامل من العلوم التي جعلت منه أحد العلماء

المجددين في عصره، وقد جمع الدكتور محسن عبد الحميد هذه العلوم بالآتي^(١):

أ. القرآن الكريم: المؤثر الأكبر في تكوينه الفكري والنفسي.

ب. العلوم الإسلامية: من حديث وفقه وتفسير وسيرة وأخلاق.

ج. علوم اللغة العربية: من نحو وصرف وبلاغة، وقد حفظ في شبابه متون أمهاتها.

د. العلوم الكونية: من فلك وفيزياء وكيمياء وجغرافيا وتاريخ ورياضيات.

هـ. علوم الغرب وفلسفته المادية سواءً فلسفة اليونان القدماء، أم الفلسفة الحديثة.

وبما أن النُّوزسي أولى جلّ اهتمامه للعلم والتعليم، فقد أتى عليه علماء عصره ومن تلاهم ممن قرأ له، فأنثوا على علمه وفكره وسلوكه، ووصفوه بما يليق بمكانته ومنزلته العلمية والفكرية، وقد ذكرت المراجع الكثير من الشهادات في شخصيته وعلومه، بعضها من شيوخه، وبعضها ممن قرأ له، بالإضافة إلى ثناء عدد كبير من العلماء والمفكرين من أساتذة الجامعات في العالم الإسلامي وخارجه، وذلك من خلال المؤتمرات العالمية التي نظمها طلابه، ومما قيل فيه: 'سعيد النُّوزسي، الإمام الممتحن، ورجل القدر، والداهية الرباني الحركي الثابت، وحكيم المرحلة الصعبة'^(٢).

كما ذكر القرني في دراسته عدداً من العلماء الذين أشادوا بالإمام النُّوزسي، منهم شيخه فتح الله أفندي، والشيخ حسن أفندي، والسيد حسن فهمي باشا أوغلو، والكاتب التركي ماهر إز، ومحسن عبد الحميد، وعباسي مدني، وغيرهم، الذين وصفوه بالبلاغة في الحديث، وبأنه خطيب مفوه، ومن أصحاب الذكاء الخارق الذي أنجبته المنطقة الشرقية للبلاد، ومن أعظم رواد الفكر الإسلامي القديم

(١) انظر: عبد الحميد، محسن، النُّوزسي الرائد الإسلامي الكبير، دط، مطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، الموصل، ١٩٨٧م، ص١٣، بتصرف.

(٢) عبد الحميد، محسن، التربية السلوكية عند النُّوزمي، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، تركيا، العدد الثالث، ٢٠١١م، ص١١٣، بتصرف.

والحديث، كما عدّوه من أولئك الذين عملوا على إصلاح المنهج التربوي الإسلامي، مثله مثل أبي حامد الغزالي، ومحمد بن عبد الوهاب، وغيرهم من أئمة السلف^(١).

رابعاً: أبرز المراحل والمحطات التي مرت بالإمام سعيد النورسي: حفلت حياة الإمام سعيد النورسي بكثير من الأحداث والتفصيلات^(٢)، غير أنني لن أقف عند كل الأحداث التفصيلية التي عاشها الإمام، بل سأبيّن بعض المحطات الكبرى التي لها علاقة بالمشكلات الاجتماعية السائدة في بلاده، حيث تأثر بها وأثر فيها، ومن أبرزها:

أولها: الانتقال من مرحلة سعيد القديم إلى مرحلة سعيد الجديد: تبدأ مرحلة سعيد القديم من السنوات المبكرة لشبابه، وخلال هذه المرحلة حاول النورسي خدمة الإسلام عن طريق الانخراط في الحياة السياسية ومحاولة التأثير فيها، وذلك بدعوته إلى الإصلاح السياسي والتعليمي في عهد السلطان عبد الحميد، وإلقائه الخطب في الجوامع والمساحات، ونشره المقالات السياسية، ومحاولته استمالة رجال الاتحاد والترقي وتسخيرهم لخدمة الإسلام، وتصديه للتيارات المعادية للدين^(٣).

ويلاحظ تأثر النورسي بالفترة العثمانية بطابعها الديني، وذلك من خلال كتاباته الدينية خاصة في كتابيه: صيقل الإسلام، وإشارات الإعجاز، وكذلك دفاعاته السياسية ومقالاته، إلا أنه بعد خسارة الدولة العثمانية في الحرب، ودخول العدو واستيلائه على مناطق مختلفة من أراضي الدولة تبيّن له أن المستهدف الحقيقي هو الإسلام مما أوجب التصدي للعدو بطرائق أخرى مغايرة^(٤).

(١) انظر: القرني، المنهج التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي، ص ٢٠-٢٣.

(٢) انظر الشكل رقم (٢) ص ٢٩، من هذه الدراسة.

(٣) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص ٨٢-٩١، بتصرف.

(٤) انظر: واحدة، شكران، الإسلام في تركيا الحديثة، بديع الزمان النورسي، ترجمة محمد فاضل، قراءة في كتاب، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، تركيا، العدد الأول، ٢٠١٠م، ص ١٧٦، بتصرف.

لكن انتقال الإمام النُّوزسي من المرحلة الأولى إلى الثانية لم يكن سريعاً؛ إذ مرّ بمرحلة انتقالية دامت أكثر من ثماني سنوات، أي من فترة وجوده في الأسر (١٩١٧م)، حتى نفيه إلى بارلا سنة (١٩٢٦م)، وهي المرحلة التي شهدت أخطر التحولات في الدولة العثمانية، حيث لفظت آخر أنفاسها، وأعقب ذلك هجوم قوي على عقيدة الإسلام ونظمه^(١).

أما مرحلة سعيد الجديد فتبدأ من وصوله منفياً إلى بارلا سنة (١٩٢٦م)، وتستمر إلى غاية خروجه من سجن آفيون سنة (١٩٤٩م)، وفي هذه المرحلة اتبع الإمام النُّوزسي منهجاً جديداً، اشتركت في تحديد معالمه ظروف السجن والنفي، ومن أهم الأسباب التي حولت سعيد القديم إلى سعيد الجديد ما يأتي:

١. تأثرت مرحلة سعيد الجديد بعهد الجمهورية، ويتضح ذلك بانعزاله وتركه السياسة وعكوفه على تأليف رسائل النور التي تتسجم مع المرحلة التي تمت فيها محاربة الدين وعلمنة الدولة، ولذلك نجد النُّوزسي قد انبرى للدفاع عن الإسلام، وتأليف الرسائل التي تحمل في طياتها براهين قاطعة على وحدانية الله تعالى وربوبيته، وصدق المفاهيم الدينية التي استهدفت بالحرب، والذود عن حقائق الإيمان والقرآن الكريم^(٢).

٢. الوعي التام بالواقع والتفاعل معه: فقد تألم من الأمراض الفكرية والعقلية التي أورتها مداومة النظر في كتب الفلاسفة، فحاول التخلص من هذه الأسقام والتغلب عليها.

٣. الصحوة الروحية: وهي مرحلة الشيخوخة وتذكر الموت، والوعي بحقيقة الدنيا واعتبارها متجراً مؤقتاً وداراً للضيافة، فكل ما فيها فان.

(١) انظر: النُّوزسي، سيرة ذاتية، ص ١٢٩ - ١٤٦، بتصرف.

(٢) انظر: واحدة، الإسلام في تركيا الحديثة، بديع الزمان النُّوزسي، ص ١٧٦، بتصرف.

٤. الرغبة في توحيد القبلة، واتباع منهج واحد ومرشد واحد لا يتشغل بغيره: فكان في القرآن الكريم توحيد للقبلة الحقيقية فهو أسمى مرشد، وأقدس أستاذ على الإطلاق، وكذلك السنة النبوية فهي مصباح الهدى، ومؤشر البوصلة الذي تُبين اتجاه حركة السفن، على حدّ تعبير الإمام النُّوزسي.

٥. القناعة التامة بضرورة اتباع القلب للعقل: واعتبار هذا المسلك هو الطريق للخروج من الأوهام والخرافات^(١).

ويعد عرض هذه الأسباب أضيف أن مرحلة التحوّل كانت تحت قاعدة لكل مقام مقال، أي إن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية كان لها أبرز الانعكاسات في آراء الإمام النُّوزسي وفي شخصيته، كما أن وصول الإمام إلى سنّ الشيخوخة، قد أيقظ عنده حسّ المراجعة الذاتية لتتبع مراحل حياته، ليرى ما قدّمه من انجازات خلالها.

ثانيها: الانتقال من مرحلة الجهاد بالسلاح إلى مرحلة الجهاد بالكلمة: تميزت مرحلة جهاد الإمام النُّوزسي بطولها وشمولها، فقد استمرت باستمرار حياة الإمام، كما شملت معظم أنواع الجهاد سواءً الجهاد بالسلاح أم بالكلمة أم بالقلم.

فقد قاد الإمام النُّوزسي قوات المجاهدين في حرب البلقان، وعندما دخل الجيش الروسي مدينة بتليس، كان النُّوزسي وطلابه يدافعون عن المدينة ببسالة، ولكنه جرح جرحاً بليغاً، ثم أسره الروس وأرسلوه إلى معسكر شرقي روسيا، وبقي في الأسر سنتين وأربعة أشهر، وبعد ذلك استطاع الهروب من المنفى - على أثر قيام الثورة البلشفية - إلى ألمانيا، ومنها إلى استانبول^(٢).

ثم اختار الإمام النُّوزسي منهجاً دعوياً آخر، ففي ظل ظروف نفي الإمام من بلده، وتقلبه من منفى إلى آخر حتى جاءه الأجل، ظلّ يعمل على نشر الفكر الإسلامي، وإنعاش الروح الدينية،

(١) راجع: النُّوزسي، سيرة ذاتية، ص ١٥٠-١٦٩، بتصريف.

(٢) انظر: بكير، بديع الزمان سعيد النُّوزسي وأثره في الفكر والدعوة، ص ٥٠-٥١، بتصريف.

وإعادة الثقة بالنبوة المحمدية العالمية في الشعب التركي والجيل المفتون بسحر الحضارة الغربية، واختار لذلك توجيه الرسائل التي تكون حاملة لأفكاره، محملة بالأسلوب الدعوي المؤثر، فنجح في تحوّل البلاد التي كانت سريعة الخطوات من الردة العامة إلى احترام الشريعة وتنفيذ أحكامها، وإعادة الثقة بالدين، وبهذه الطريقة أسهم في حفظ الأمة الإسلامية التركية من خطر الردة العقائدية والفكرية الشاملة^(١).

وقد حدّد الطنطاوي نظرية الإمام النورسي في الإصلاح والتغيير، فهي نظرية تتطور من العمل التربوي، إلى العمل السياسي، إلى العمل الجهادي إن تطلبت الظروف ذلك، وقد اتّسمت نظريته التغييرية بالسّمات الآتية^(٢):

١. التدرج في الإصلاح والدعوة إلى التغيير: فالنظام والتدرج هما أساس الوجود، لذا يدعو إلى التغيير المنظم، الذي يبدأ من القاعدة، ويصعد إلى القمة.
٢. الوسطية وعدم التعصب.
٣. الشمول: فرسائل النور تسعى لترميم جروح البلاد، وتداوي القلب العام، وتضمّد الأفكار العامة، وتداوي الوجدان العام.
٤. العالمية: فمنهجه لم يكن إقليمياً، لذا وضع أمله في العرب الذين إن وحدوا الصفوف امتد الإسلام إلى شتى بقاع الأرض.

ثالثها: الأيام الأخيرة من حياة الإمام النورسي. أقام النورسي في أواخر أيامه بمدينة إسبارطة، وبالرغم من تقدّمه في السنّ، وسوء حالته الصحية، كان يقوم بزيارات بعض المدن التي ينتشر فيها

(١) انظر: الندوي، أبو الحسن علي الحسني، النورسي ودعوته، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، تركيا، العدد الثالث، ٢٠١١م، ص ١٢، بتصرف.

(٢) انظر: الطنطاوي، عبدالله، منهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النورسي، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧م، ص ١٣٩-١٤٨، بتصرف.

طلابه، مثل: بارلا وأميرداغ، يتابع ما يجري في العالم الإسلامي، لكن كثرة تنقلاته بين المدن أزعجت الأوساط المعادية له في السلطة، فشنت عليه صحفها حملة عنيفة لإثارة الرأي العام ضده، والتهويل من دعوته، فما أن وصل إلى أنقرة سنة (١٩٦٠م)، حتى أبلغته الحكومة أن يستقر في أميرداغ، فتوجه إليها وأصبح يتنقل بينها وبين إسبارطة فقط^(١).

وفي شهر رمضان من عام (١٩٦٠م)، مَرِضَ النُّوزسي مرضاً شديداً ففارق الحياة، وبعد انتشار خبر وفاته في جميع أنحاء تركيا، تقاطر سيل من الناس للاشتراك في توديعه إلى مثواه الأخير^(٢).

وعقب وفاة النُّوزسي بشهرين حفرت السلطات قبره ونقلت جثمانه من أورفة إلى مكان مجهول إلى حد الآن، فقد طورد الإمام من قبلها حتى بعد وفاته.

وبذلك فارق الإمام النُّوزسي الحياة بعد عمر ناهز أربعاً وثمانين سنة، قضى جُلّها في صراع فكري وعقدي وسياسي ضدّ من حاولوا إبعاد الدين عن حياة المجتمع، لكن وفاة النُّوزسي لم توقف دعوته؛ إذ ظل موجوداً ومؤثراً بمؤلفاته ورسائله التي حملت أفكاره واستمرت من بعده في أداء وظيفته.

(١) انظر: النُّوزسي، سيرة ذاتية، ص ٤٦٨، بتصرف.

(٢) انظر: النُّوزسي، سيرة ذاتية، ص ٤٦٨، بتصرف.

الشكل رقم (٢) يبين أبرز الأحداث والتفصيلات المهمة في حياة الإمام التُّوزسي.

التاريخ	أحداث مهمة في حياة التُّوزسي
١٨٧٦م	ولادة الامام التُّوزسي وأيام طفولته.
١٨٨٥م	خطواته الأولى نحو العلم، وتلقيه العلم في قرية (تاغ).
١٨٩٢م	مناظرة العلماء للإمام في (سعد)، ومنحه لقب بديع الزمان.
١٨٩٤م	الذهاب إلى (ماردين) واهتمامه بالسياسة، وتحديه لظلم مصطفى باشا.
١٨٩٧م	ذهاب الإمام إلى (وان) بدعوة من واليها، واطلاعه على العلوم الحديثة في مضيئه، ثم حفظه لمتون تسعين كتاباً.
١٩٠٧م	تقديم الإمام طلباً للسلطان عبد الحميد حول إصلاح الأوضاع في المنطقة الشرقية، وإنشاء مدرسة الزهراء.
١٩٠٨م	إعلان المشروطية الثانية، فعمل الإمام على شرح المفهوم الصحيح للحرية والمشرولية.
١٩٠٩م	عمل الإمام على تهدئة طلاب الشريعة في ميدان بايزيد، وتأسيس جمعية الاتحاد المحمدي، وتهدئة الفوضى الناشئة من الأحداث السياسية وإرجاعه ثمانية أفواج عسكرية إلى الطاعة.
١٩١١م	ذهاب التُّوزسي إلى الشام، فألقى خطبة في المسجد الأموي، وبعد عودته وضع الحجر الأساس في مدرسة الزهراء
١٩١٤م	تصدي الإمام لعصابات الأرمين، وتدريبه لطلابه المجاهدين مع الاستمرار في النشاط العلمي.
١٩١٦م	تأليف (إشارات الإعجاز)، وسقوطه أسيراً بيد الروس، وسوقه إلى (قوستانورما)، واستمراره بدروس الإيمان هناك.
١٩١٨م	هروبه من الأرمين وعودته من (استانبول)، وتعيينه عضواً في دار الحكمة الإسلامية.
١٩٢٠م	احتلال الانجليز لاستانبول، فنشر الإمام رسالة "الخطوات الست" بالتركية والعربية، ثم اعتزل دوام في دار الحكمة
١٩٢١م	بداية تحول الإمام إلى مرحلة معيد الجديد.
١٩٢٢م	سفر الإمام إلى أنقرة، وقد حفل باستقبال مجلس النواب (المبعوثان).
١٩٢٣م	عمل الإمام على نشر رسالة "حباب" وذيلها، ومغادرته أنقرة وعودته إلى وان في حزيران.
١٩٢٤م	قضاء الإمام سنتين في جبل أرك.
١٩٢٥م	تصدي الإمام للثورات، ثم نفيه من وان إلى بورودور.
١٩٢٦م	تأليف الإمام رسالة "المدخل إلى النور" في بورودور، وقد وصل إلى منفى بارلا، حيث أنجز فيها القسم الأكبر من مؤلفاته فكان منها رسائل الكلمات (Sozler)، والمكتوبات (Mektubat)، واللغات (Lemaler)، فأكد على بيان حقائق الإسلام.
١٩٢٩م	تمّ التعدي على مسجد التُّوزسي، ومداومة مسجده مرة ثانية سنة ١٩٢٢م.
١٩٣٥م	توقيف التُّوزسي وطلاب النور، فعمل التُّوزسي على الدفاع عنهم، ثم حكم عليه بالسجن بسبب رسالة "الحجاب"، وبعد سنة تمّ الإفراج عنه ونُفي إلى قسطنطيني للإقامة الجبرية.
١٩٤٣م	مداومة بيت الإمام ثلاثة مرات وتوقيفه وإرساله إلى أنقرة.
١٩٤٤م	محاكمة الإمام في محكمة دنيزلي، وتدقيق رسائل النور من قبل الخبراء ثم إعلان براءته.
١٩٤٨م	إرسال الإمام وطلابه إلى محكمة أفيون، والحكم عليهم بالسجن، وأُخلي سبيلهم بعد تسعة أشهر.
١٩٥٠م	فوز الحزب الديمقراطي برئاسة الجمهورية، ورفع الحظر عن الأذان الشرعي.
١٩٥٢م	تقديم الإمام للمحاكمة في استانبول حول رسالة "مرشد الشباب".
١٩٥٣م	براعته من قضية مرشد الشباب، وتبعتها سفرات متقطعة بين (اسبارطه، ويارلا، واميرداغ، وأفيون، وأسكي شهر).
١٩٥٦م	براءة رسائل النور من محكمة أفيون.
١٩٥٨م	قضية أنقرة.
١٩٥٩م	السفريات الوداعية (من اميرداغ إلى أنقرة إلى إسبارطة إلى قونيا والعودة إلى أنقرة).
١٩٦٠م	وفاة الإمام، وقد نُسب قبره من قبل السلطات وأخذ جثمانه إلى مكان مجهول .

خامساً: النُّوزسي بين التأييد والنقد: كان للإمام النُّوزسي مئات الآلاف من طلاب مدرسة النور،

الذين نهلوا من معارفها، وحاولوا السير على خطى أستاذهم في خدمة القرآن الكريم، وهم من مختلف الفئات العمرية، منهم الشباب الذين تتلمذوا على يديه مباشرة يسمعون كلامه، ويقومون بتدوينه، ثم نسخه ونشره بين الفئات الأخرى، ومنهم الأولاد والشباب والشيوخ والنساء وغيرهم من المرضى وأصحاب المصائب، الذين تتلمذوا على مؤلفاته عن طريق قراءة رسائل النور^(١).

وقد ذُكرت بعض المراجع عدداً من الانتقادات الموجهة إليه تارة، وإلى جماعات النور تارة

أخرى، ويُمكن إجمال هذه الانتقادات ومناقشتها بالآتي:

الانتقاد الأول: أشار بعض الباحثين إلى ما لوحظ على النُّوزسي رحمه الله أثناء حياته من أنه لم يهتم بإعداد طلابه عملياً للقيام بالمهمة بعد وفاته، ولذلك فإن وفاته أحدثت فراغاً كبيراً في حياة طلابه الذين عاصروه، حيث حدث التفرق والاختلاف، مما جعلهم غير قادرين على مواجهة الغزو الفكري والنفسي الذي مُنبت به تركيا^(٢).

وإذا أردتُ مناقشة هذا الانتقاد لا بدّ من الاعتراف بأن عدم تأهيل القيادات الحكيمة التي تقوم

بدور القيادة لأي حركة إصلاحية خلل واضح، غير أن المطلع على ظروف النُّوزسي من سجن ونفي وعزل عن طلابه وعن المجتمع يستطيع إدراك السبب، فلا بدّ من معرفة الظروف السياسية والاجتماعية التي عاش فيها.

أما بالنسبة لدور طلابه وأثرهم وانقسامهم إلى وجهات متعددة، فإن ذلك لا يكون أمراً سلبياً في

كل الأحوال، خاصة إذا لم تفقد الجماعات المنبثقة مصداقيتها في التعبير عن الفكرة، واستمراريتها

(١) انظر: القرني، المنهج التربوي عند الإمام النُّوزسي، ص ٢٩.

(٢) الوكيل، استمرارية الدعوة، ص ٤٢٨.

في الدعوة إليها، أما في حال الاختلاف والدخول في منازعات أو تغيير مسار الحركة الأصلية ومبادئها، فإن ذلك يستوجب النقد والرفض.

وفي حال اتحدت الجماعات في الأسس العامة التي يسيرون وفقها كضرورة التغيير التربوي والإصلاحي في البلاد الإسلامية، فإن الاختلاف في الفروع لا يضر، بل قد يعني تعدد الأساليب التربوية المؤثرة في المجتمعات ذات الثقافات المتنوعة.

كما أن التفكير الموضوعي يفرض النظر الجاد لما قُدم من إنجازات رائدة لجماعات النور، فهي ظاهرة للعيان عبر مؤسساتهم، بل إن العناية التي قَدّموها لقائد حركتهم ومؤسسها فاق كثيراً ما قَدّمه غيرهم لمؤسسي الحركات الإسلامية الأخرى.

الانتقاد الثاني: يتهم بعض الباحثين طلاب النور بأنهم ينظرون إلى الإمام النُوزي نظرة فيها نوع من العصمة والتقدّيس، وترتب على هذا جمود في إطار رسائل النور وعدم الاهتمام بغيرها من المؤلفات من قبل طلابه، وقد أجاب بكير عن ذلك، بأن هذا يخالف ما كان النُوزي يُلحّ عليه من ضرورة التعلق بأفكار رسائل النور وليس بشخصه، ورسائله مليئة بعبارات التواضع والاعتراف بالخطأ والتقصير، وأن تلك العبارات لا يجدر بالباحث العناية بها^(١).

وأتفق مع الباحث في تأكيده على إصرار الإمام النُوزي على عدم العناية بشخصه، وضرورة الاهتمام برسائل النور، وهذا واضح في أقوال النُوزي الكثيرة، ومن ذلك قوله:

«لقد شاهدتُ في بعض الرسائل المرسلّة أوصافاً مفرطة بحق أستاذهم، ونظرتُ إلى نفسي ورأيتهَا لا تستحق حتى زكاة تلك الأوصاف، وليس من حقي امتلاكها، فقلت: ثرى ما المصلحة والفائدة التي يحصل عليها إخواني هؤلاء الناشدون للحق في غلوهم في حسن الظن واستمرارهم عليه مع تنبيهاتي المستمرة لهم»^(٢).

(١) انظر: بكير، بدیع الزمان سعید النُوزي وأثره في الفكر والدعوة، ص ٢٢٥، بتصرف.

(٢) النُوزي، الملاحق، ص ٢١٧.

وكذلك قوله:

«إني أشكر ربي كثيراً أن جعلني لا أعجب بنفسي، ناهيك عن الإطراء والمزايدة
لنفسى، وأعلمني نقائصي وذنوبي فأطلب العفو عنها والخجل بتملكني راجياً أن
يكون إخلاص الطلاب الميامين لرسائل النور وتفانيهم في الخدمة الإيمانية
وشفاعتهم المعنوية لي، كقارة لذنوبي»^(١).

ومع أن الإمام التوزسي لم يُرد لنفسه شيئاً من ذلك، إلا أن طلابه على مراتب ودرجات،
وبينهم فروق فكرية وعلمية، بالإضافة إلى تأثير البيئة التي يتواجدون فيها؛ أي بيئة متعطشة للتدين
في ظل عدم توافر المثل الأعلى في الكتابات التركية، وفي ظل ندرة الترجمات لسير سلفنا
الصالح، هذا كله جعل بعض جماعات النور تميل إلى الانكفاء على رسائل النور دون غيرها من
المؤلفات، وحتى لو لم تتواجد هذه الصورة فلا بدّ من التنبيه على ضررها، خوفاً من نقوص الفكر
الإنساني إلى طور التعلق بالأشخاص في فترات لاحقة.

لذا ينبغي التنبيه على قارئ رسائل النور خاصة من الأتراك أو من الأكراد، بأن لا يتعلّق
بشخص الإمام التوزسي، فرسائل النور مرتبطة بالفكرة المنبثقة من القرآن الكريم، وبذلك يتوقف عند
طور التمييز، بل لا بدّ من تجاوز هذه المرحلة العمرية، حتى يتمّ تصحيح مسار تفكيره؛ لتصبح
الفكرة ذات قيمة في عقله بحدّ ذاتها، فيكون التعلق بها والعمل من أجلها، وبهذا ترقى أمته
الإسلامية وحضارته.

ومن الواجب أيضاً عدم تبرير جميع الأعمال التي يقوم بها الإمام بطريقة تنفي التقصير أو
الخطأ بالكلية فنحن بشر، ولنا قدوة في قول التوزسي عن نفسه عندما بيّن سبب عدم إطلاق لحيته:

«إنّ إطلاق اللحية سنّة نبوية، وليست خاصّة بالعلماء، وقد نشأت منذ صغري عديم
اللحية، وعشتُ في وسط أناس تسعين بالمائة منهم لا يُطلقون لحاهم، وكثير من
الأخوان قد أغار عليهم الأعداء، فحلقوا لحاهم،... ونسألته تعالى أن يكون قضاؤنا

(١) التوزسي، الملاحق، ص ٢٤٩.

طوال عشرين سنة حياة أليمة أشبه بالسجن الانفرادي، كفارة لترك تلك السنة النبوية»^(١).

وموضوعية الإمام ظاهرة في إقراره بداية بالحكم الصحيح للفعل الذي خالفه، ثم بيان الأسباب التي دعت للمخالفة، وأخيراً كان تضرعه إلى الله وحسن ظنه به أن يعفو عنه بصلاح عمله وصبره على الابتلاء.

الانتقاد الثالث: وردت بعض الانتقادات الموجهة إلى الإمام النورسي شخصياً، ناشئة من قلة الاطلاع على تفاصيل الأحداث والظروف التي عاشها بديع الزمان من جهة، أو لسوء فهم لبعض آرائه ومواقفه من جهة أخرى، ومثال ذلك: إن تأسيس بديع الزمان لجمعية الاتحاد المحمدي ليس أكثر من ردود فعل سرعان ما حُلت، مما استعدى الاتحاديين عليه، بالإضافة إلى تخلي بديع الزمان عن مساندة ثورة الشيخ سعيد بيران ضد نظام أتاتورك سنة (١٩٢٥م)^(٢).

ومن خلال قراءة تاريخ تلك الفترة الزمنية، يظهر أن التوسع الأوروبي والتأثير الثقافي خلال القرن التاسع عشر سبب أزمات جديدة، حدت المضامين الأيديولوجية للحركات الدينية الاجتماعية التي ظهرت في هذه المرحلة، فإما أن تتحول الحركة الدينية إلى حركة دينية عسكرية كما في المغرب العربي، أو إلى حركة دينية إصلاحية كما في مصر^(٣)، ولهذا فقد اختار الإمام النورسي أساليب تتناسب مع المكان والزمان.

وأخيراً يبقى أن أذكر عدداً من القواعد التي تقرنا من حكم موضوعي مقارب للصواب أثناء

البحث في سيرة المجددين والمصلحين، مُلخصه في النقاط الآتية:

(١) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤٩٦.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأيمان والمذاهب المعاصرة، ط ٢، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٩٨٩م، ص ٥٢٥، بتصرف.

(٣) انظر: عضيات، الدين والتغيير الاجتماعي في المجتمع العربي، ص ٧٠، بتصرف.

١) ينبغي أن تتطلق الأحكام من أقوال المصلح والمجدد، وتناقش بناءً على تصريحاته المباشرة،

أخذين بالحسبان مجمل الظروف والأحوال التي قيلت فيها.

٢) لا بدّ من النقد البناء الإيجابي النابع من الإخلاص للدعوة الإسلامية، فكل حركة إصلاحية لها

بعض السلبيات لأنها نتاج البشر الذين يعترهم النقص، لكن التركيز أولاً وأخيراً يجب أن يكون

على أثارها الإيجابية في المجتمع.

٣) ينبغي أن تهدف الحركة النقدية إلى البناء التربوي التراكمي، وأن تتصف بالأخلاقيات العلمية

مثل: دقة الملاحظة، الموضوعية في النقد، والقدرة على التقييم وإصدار الأحكام، والإمام الثقافي

المتنوع لحفقات التاريخ وللظروف والأحوال المرافقة للحركة.

المطلب الثاني: التعريف بتراث الإمام سعيد النورسي الفكري

توفي النورسي مخلفاً تراثاً علمياً تحدثت عنه المصادر التي اطلعتُ عليها من خلال قسمين

رئيسيين يمثلانه، وهما:

القسم الأول: ما خلفه الإمام النورسي من أفكار وآراء علمية في بطون الكتب، جمعت باسم رسائل

النور، بعضها باللغة العربية وبعضها الآخر باللغة التركية، وتزيد على ثلاثين ومئة رسالة متميزة

في أسلوبها ولغتها وموضوعاتها، التي تُناسب كثيراً من المسلمين على اختلاف ثقافتهم، وهدفها

معالجة مشكلات المجتمع الإسلامي.

القسم الثاني: ما خلفه الإمام النورسي من أفكار وآراء في عقول طلابه، وهو متمثل في إنجازاتهم

وتأثيرهم في المجتمع، وللتعريف بالتراث الفكري للإمام النورسي ينبغي التفصيل فيه بالآتي:

القسم الأول: التعريف بكليات رسائل النور وأهميتها ومحتواها ودواعي تأليفها

أ. تسمية رسائل النور وأهميتها: هي مجموعة من الرسائل التي ألفها بديع الزمان سعيد النورسي من عام (١٩٢٦م) حتى عام (١٩٦٠م)، وقد اشتملت على تفسيرات قيّمة لآيات القرآن الكريم، وتوجيهات دعوية لإرشاد المسلمين باللغتين التركية والعربية، وتبلغ أكثر من مئة وثلاثين رسالة، فُجِّعت في كتاب واحد ضمن تسعة مجلدات عُرفت بكليات رسائل النور، وهي: الكلمات، المكتوبات، اللغات، الشعاعات، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، المثوي العربي النوري، الملاحق، صيقل الإسلام، وسيرة ذاتية، ويقول النورسي في بيان سبب تسمية رسائله:

«إن سبب إطلاق اسم رسائل النور.. إن كلمة "النور" قد جابهتني في كل مكان طوال حياتي، منها: قريتي اسمها: نورس، اسم والدتي المرحومة نورية، وأستاذي في الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد، وأستاذي في الطريقة القادرية: نور الدين، وأستاذي في القرآن: نوري، وأكثر من يلازمي من طلابي من يُسمون باسم: نور، وأكثر ما يوضح كتبي وينورها هو التمثيلات النورية، وأول آية كريمة التمعت لعقلي وقلبي وشغلت فكري هي: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ...﴾^(١)»^(٢).

أما عن الاهتمام الكبير الذي نالته الرسائل فمرجعه إلى صعوبة الظروف التي ظهرت فيها،

وهذا ما يوضحه النورسي نفسه بقوله:

«إذ إن سبب الاهتمام الذي نالته رسائل النور نابع من أهمية الزمان نفسه، ومن شدة الهدم الذي أحدثه هذا العصر في الشريعة المحمدية والشعائر الأحمدية، ومن فتنة آخر الزمان الحالية التي استعادت منها الأمة الإسلامية منذ القدم، ومن زاوية إنقاذ إيمان المؤمنين من صولة تلك الفتنة»^(٣).

(١) سورة النور: آية ٣٥.

(٢) النورسي، سيرة ذاتية، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٣) النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ط٤، شركة سولز للنشر، القاهرة،

٢٠٠٤م، ص ٢٢٣.

فقد ألف رسائل النور في عصر التحولات والتغيرات الاجتماعية السريعة في بداية القرن

التاسع عشر، حيث شهد العالم الإسلامي هجوماً على الإسلام والقرآن الكريم خاصة في

تركيا، فعملت على إنقاذ إيمان المجتمع التركي والإسهام في الحفاظ على اللغة العربية من

العلمانيين والعنصريين؛ وذلك بإحياء معاني القرآن ومقاصده في النفوس والعقول.

ب. محتوى رسائل النور: تضم كليات رسائل النور تسعة أجزاء في شكلها الحالي، سجل فيها

النُّورسي كل ما استلهمه

من نور القرآن الكريم، وأملاها على تلاميذه في ظروف عسيرة، بقصد إنقاذ الناس، وقد وفق الله

تعالى إحسان قاسم الصالحي^(١) لترجمتها إلى اللغة العربية، وتوضيح هذه المجلدات بالآتي:

■ المجلد الأول: الكلمات: تضم مجموعة الكلمات ثلاثاً وثلاثين رسالة، جُمعت في كتاب واحد

بعنوان "الكلمات"، وترجمها إحسان قاسم الصالحي إلى العربية، وتقع في (٩٤٨) صفحة، توجز

أهم معاني العبادة والعقيدة، ووظيفة الإنسان في الوجود، وإثبات الحشر في ضوء تجليات الأسماء

الحسنى، تعقبها مهمة الإنسان في الحياة والموازنة بين حكمة القرآن والفلسفة، وإيراد نظائر من

الكون للحقائق القرآنية، وقد عملت على إيضاح التوحيد الحقيقي، ورسالة في المعجزات، تعقبها

رسائل في لطائف الجنة، وفي بقاء الروح والملائكة ودلائل الحشر والرسالة الأخيرة نافذة حول

إثبات التوحيد، كل ذلك بأسلوب قصصي هادف^(٢).

■ المجلد الثاني: المكتوبات: تتكون مجموعة المكتوبات من ثلاث وثلاثين رسالة أو مكتوباً، وتقع

في (٦٨٨) صفحة، تستهل بأجوبة عن أسئلة حول موضوعات متعددة؛ مثل حياة الخضر عليه

السلام، وحكمة الموت وموقع جهنم، والفرق بين الإيمان والإسلام، والحكمة في إخراج آدم عليه

(١) إحسان قاسم الصالحي: مؤلف ومترجم عراقي، عمل بالتدريس في العراق، ثم انتقل إلى تركيا، واهتم بمؤلفات بديع الزمان حيث ترجم أغلبها إلى اللغة العربية وحققه، وهو يدير حالياً مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، التي تهتم بفكر النُّورسي وتقوم بمهمة نشره عالمياً.

(٢) راجع: النُّورسي، سعيد، الكلمات، ترجمة: إحسان الصالحي، ط، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٤م.

السلام من الجنة، وحكمة خلق الشياطين والشُرور، والتفصيل في أهمية الإيمان بالله ومعرفة محبته، وكيفية رعاية حقوق الآباء والشيوخ، وبيان أضرار الدعوة إلى العنصرية، وأجوبة عن أسئلة متنوعة حول إعجاز القرآن ومعرفة حقائقه، ورسالة في حكمة الصيام، وتبنيه حملة القرآن إلى دسائس الشيطان، والرد على المبتدعة الذين يحاولون تغيير الشعائر الإسلامية، وفي الختام رسالة في التصوف وبيان محاسنه ومزالقه^(١).

■ المجلد الثالث: اللمعات: يشتمل هذا الكتاب على ثلاث وثلاثين رسالة أو (لمعة)، وقد جمعت في مجلد واحد، في (٦٤٠) صفحة، وتشتمل على دروس مستخلصة من الحياة اليومية، ومنها: بيان الحاجة إلى الصبر على المصائب والبلاء، وأن المصيبة الحقيقية هي التي تصيب الدين، حديث عن مسألة الإمامة، وبيان الخلاف بين أهل السنة والشيعة مع محاولة التوفيق بينهما، بيان وجه من وجوه الإعجاز وهو الإخبار بالغيب، مرض البدعة، حكمة الاستعاذة، ورسالة الإخلاص، ورسالة في الاقتصاد، ورسالة المرضى، ورسالة الشيخوخ، ورسالة التفكير الإيماني النافع^(٢).

■ المجلد الرابع: الشعاعات: وهي المجموعة الرابعة من كليات رسائل النور، تضم خمس عشرة رسالة في مجلد واحد، وتقع في (٧٤٥) صفحة، وتبدأ من الرسالة الثانية أو الشعاع الثاني: ومن موضوعاتها: أسرار الإيمان، وثمرات التوحيد، وأشراط الساعة، وبيان أن عقيدة الآخرة أساس لحياة الإنسان الاجتماعية، وبيان معاني التشهد، ورسالة الثمرة، كما وضع الثورسي أنه كتبه في السجن بعد أن أفرج عن أصدقائه وبقي هو وحيداً، وذكر دفاعاته أمام المحكمة، وختمت برسالة الحجج الإيمانية في (لا إله إلا الله وحده)، وسرد خمسة عشرة دليلاً على العلم الإلهي^(٣).

(١) راجع: الثورسي، سعيد، المكتوبات، ترجمة: إحسان الصالح، ط٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٤م.
(٢) راجع: الثورسي، سعيد، اللمعات، ترجمة: إحسان الصالح، ط٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٤م.
(٣) راجع: الثورسي، الشعاعات، ترجمة: إحسان الصالح، ط٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٤م.

▪ المجلد الخامس: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: ألفه الإمام النُّورسي بالعربية، وهو تفسير قِيم لفاتحة الكتاب وثلاثين آية من سورة البقرة، يُبين فيها بعبارات موجزة الإعجاز النظمي للقرآن الكريم، أي مناسبة الآيات، وتناسق الجمل، معتمداً في ذلك على أدق قواعد علم البلاغة، وعلى أصول النحو والصرف، وقوانين المنطق وعلم أصول الدين، وقد جمعت هذه الرسائل في مجلد واحد، في (٣٢٧) صفحة، ويُعد الآن الجزء الخامس من سلسلة كليات رسائل النور العربية^(١).

▪ المجلد السادس: المثنوي العربي النوري: ويضم اثنتي عشرة رسالة، وقد جُمعت هذه الرسائل في مجلد واحد، في (٥٥٢) صفحة، وقد سماه بالمثنوي: لأنه يخاطب الوجدان أساساً، وهذا شبيه بمثنوي جلال الدين الرومي الذي هو أصلاً بالفارسية، وسمي بالعربي: لتمييزه عن سابقه، وبالنوري: لأنه أساس رسائل النور، وهذه الرسائل بمجموعها ترشد إلى دروب النفس الأمانة بالسوء، وتكشف عن مسالكها، وتضع العلاج لأمراضها المتنوعة، وتوضح دلائل التوحيد ومعرفة النبي ﷺ، ومن ثم تُبين منابع الإيمان وأنوار القرآن، وضرورة الإنسان في الكون، وأساليب التزكية والتربية، ويُعد الآن الجزء السادس من كليات رسائل النور العربية^(٢).

▪ المجلد السابع: الملاحق في فقه دعوة النور: عبارة عن مجموعة مكاتيب جرت بين الإمام النُّورسي وطلابه الأوائل، طابعها العام توجيهي إرشادي، وقد ضُمّت هذه الأجزاء في مجلد واحد في (٤٥٩) صفحة، يُبين فيها أهمية رسائل النور، ومنهجها في الدعوة إلى الله، تكتفها مكاتيب ودية، يُبين فيها الطلاب مدى استفادتهم العقلية والروحية من رسائل النور، وكيف أنها حولت مجرى حياتهم، وفتحت أمامهم آفاقاً معرفية واسعة، وتتضمن أيضاً توجيهات لتقويم السلوك وكيفية التعامل مع الآخرين، والحث على الإيمان العميق والعمل المتواصل والترابط الوثيق والاعتصام بالكتاب

(١) راجع: النُّورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ٢٠٠٤م.

(٢) راجع: النُّورسي، سعيد، المثنوي العربي النُّوري، ترجمة: إحسان الصالح، ط٣، دار موزلر، استانبول، ٢٠٠٣م.

والسنة، وتتضمن الملاحق ثلاثة كتب مستقلة، هي: ملحق بارلا، وملحق قسطنطيني، وملحق أميرداغ، وسميت بذلك نسبة إلى أسماء الولايات التركية التي تواجد فيها طلاب النور، وكل ملحق من هذه الملاحق الثلاثة يُبين مرحلة معينة من مراحل حياة النُورسي، مثلما يُبين مرحلة مميزة من تاريخ دعوة النور منذ انبثاقها من تركيا، ويُعد الآن الجزء السابع من سلسلة كليات رسائل النور العربية^(١).

■ المجلد الثامن: صيقل الإسلام: وهو مجلد يضم مجموعة من الرسائل تسلط الأضواء على الأوضاع الاجتماعية والسياسية في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، حيث تعاني الدولة العثمانية في أيامها الأخيرة، وقد دبت فيها أمراض وعلل متنوعة، لذا تضمن الحلول الوافية والعلاجات الشافية لها، كما تتضمن دفاع النُورسي أمام المحكمة العسكرية العرفية في عهد الاتحاديين، ورسالة هي خطبة النُورسي في الشام بين فيها أمراض الأمة الإسلامية ووسائل علاجها، ورسالة الخطوات الست والتي تشد من عزائم المسلمين أيام الاحتلال، بالإضافة إلى الرسالة التي سميت بمحاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة، وقد جُمعت المؤلفات السبعة السابقة في كتاب واحد بعد ترجمتها وتحقيق جزء كبير منها، وسُمي باسم أول مؤلف فيه وهو صيقل الإسلام، ويقع في (٥٩٤) صفحة، ويُعد الآن الجزء الثامن من كليات رسائل النور العربية^(٢).

■ المجلد التاسع: سيرة ذاتية: وهو مجلد مستخلص من جميع مؤلفاته، ويقع في (٥٨٤) صفحة، وهو مرتب حسب التسلسل التاريخي، ويروي مجريات الأحداث والتفصيلات التي مرت في حياة الإمام النُورسي^(٣).

(١) راجع: النُورسي، سعيد، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة: إحسان الصالحي، ط٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٤م.

(٢) راجع: النُورسي، سعيد، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان الصالحي، ط٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٤م.

(٣) راجع: النُورسي، سيرة ذاتية، ٢٠٠٤م.

ج. أبرز معالم منهج رسائل النور: نتيجة لتتوع موضوعات الرسائل واختلاف دواعي تأليفها وظروف كتابتها فإنه يصعب الوصول إلى معالم منهجها، وعلى الرغم من ذلك فإنها تشترك جميعاً في خدمة القرآن الكريم، ولبيان أبرز معالم منهجها ينبغي توضيح دواعي كتابتها، ودلالة عناوينها، وأسلوبها البياني، وتوضيح ذلك يكون بالآتي:

■ دواعي كتابة رسائل النور: تختلف الدواعي إلى كتابة كليات رسائل النور، كما يختلف المخاطب بها أحياناً، وأما الدواعي التي دفعت النُورسي إلى كتابة رسائله فهي: إما جواباً عن سؤال بعض طلابه، أو رداً على المعادين للدين، وبحضاً لادعاءاتهم المنافية للحقائق الإيمانية، أو تنكيراً لنفسه وزجراً لها، أو تفسيراً لآية قرآنية من خلال النظر في دلالاتها وحكمها، أو تفسيراً لحديث شريف، أو بياناً لحكمة، أو تسلياً للمصابين والمبطلين، أو مخاطبة لرجال الدولة والمسؤولين، أو دفاعاً عن قضية أثناء المحاكمات.

ومع هذا الاختلاف فهي تشترك في السعي لخدمة هدف واحد من خلال عمليتين متوازيتين: عملية بناء لترسيخ أركان الإيمان وتكوين جيل محصن ضد كل أنواع الغزو الفكري والثقافي، وعملية هدم للنظريات المعادية للدين^(١).

■ دلالة العناوين والتسميات في رسائل النور: أول ما يلاحظه قارئ رسائل النور عناوينها وتسميات موضوعاتها، نحو: الكلمات، واللمعات، والشعاعات، وإشارات الإعجاز، وسنوحات، وقطرة من بحر التوحيد، وزهرة من رياض القرآن الكريم، وذرة من شعاع هداية القرآن، وشعلة من أنوار القرآن، ونقطة من نور معرفة الله...، ويقول النُورسي بشأن عناوينها:

«لقد امتزج قلبي بعقلي منذ ثلاثة عشر عاماً ضمن انتهاج مسلك التفكير الذي يأمر به القرآن المعجز البيان،...، ولقد تواردت في غضون هذه السنوات الثلاثين على عقلي وقلبي أنوار عظيمة وحقائق متسلسلة طويلة، فوضعت بضع كلمات - من

(١) انظر: بكير، بديع الزمان سعيد النُورسي وأثره في الفكر والدعوة، ص ٩٦، بتصرف.

قبيل الإشارات - لا للدلالة على تلك الأنوار، بل للإشارة إلى وجودها ولتسهيل التفكير فيها وللمحافظة على انتظامها»^(١).

■ التمثيل والخيال في رسائل النور: لا تكاد تخلو رسالة من كليات رسائل النور من التمثيل والتصوير القصصي، وقد هدف الإمام النُوزي من أسلوب القصة وضرب المثل إلى تقريب الحقائق القرآنية من أذهان القراء، فالحكايات ليست مقصودة بحد ذاتها، وإنما المقصود هو تلك الحقائق التي تنتهي إليها عن طريق التشبيه والتمثيل^(٢).

وقد بيّن الإمام أنه تأثر بالقرآن الكريم، فيقول في خلاصة حديثه عن ضرب الأمثال:

«إنه مهما يظهر من قوة التأثير والجمال في أسلوب كتاباتي، فإنها ليست مني ولا مما مضغه فكري، بل هي من نعمات ضرب الأمثال التي تتلأأ في سماء القرآن الكريم»^(٣).

إن منهج الإمام النُوزي وأسلوبه التربوي يكشفان جوانب مهمة من شخصيته، كإمامه بكثير من مجالات المعرفة، وسعة خبراته الحياتية، كما أنه يراعي أحوال النفس فهي تَمَلّ الرتبة في الأسلوب، وتَمَلّ الحديث الطويل.

القسم الثاني: تلاميذ الإمام النُوزي (طلاب النور)

كوّن النُوزي النواة الأولى لجماعة النور، وسرعان ما تطورت الجماعة وضمت إلى صفوفها العمال والموظفين والفلاحين والجنود ورجال الدولة، وقد واصل طلاب النور مسيرة أستاذهم، فقاموا بتنظيم عمل الجماعة، وركزوا جهودهم على نشر الدعوة من خلال ما أنشأه من المدارس الخاصة والشقق والبيوت التي أعدت للتعليم، وقراءة مؤلفات أستاذهم بشكل منتظم^(٤).

(١) النُوزي، اللغات، ص ٤٥٦.

(٢) انظر: النُوزي، الكلمات، ص ٤٧.

(٣) النُوزي، المكتوبات، ص ٤٨٧.

(٤) انظر: بكير، بديع الزمان سعيد النُوزي وأثره في الفكر والدعوة، ص ٢٢٥، بتصرف.

وقد ظلت جماعة النور متماسكة بعد وفاة التُّوزسي بسنوات، إلا أن الاختلافات في الآراء

ووجهات النظر بين أعضائها كثرت لعدة أسباب، يمكن إجمالها بالآتي:

١. اتساع جماعة النور وضخامة أنشطتها.

٢. الاختلاف في وجهات النظر بشأن الانغلاق على أقوال الإمام التُّوزسي أو الانفتاح على غيرها،

مع أن الظروف تُحتم على الجماعة الانفتاح بالقدر الذي يتطلبه التعامل مع المستجدات، وهذا ما

حدث لدى بعض الجماعة، ولم يحدث لدى الآخرين من أعضائها؛ لذا أدى إلى الانقسام.

٣. تطور الأحداث السياسية في تركيا، فقد اختلفت الجماعات بسبب تباين وجهة النظر في مسألة

المشاركة السياسية، فانقسم طلاب النور إلى فئات ثلاث، هي:

١. قسم من الجماعة رأى ضرورة تشجيع حزب العدالة - وريث الحزب الديمقراطي - لإبراز كيان

الحركة الإسلامية وتقويتها حتى تستطيع مواجهة التيار العلماني، وقد رأى هذا القسم أن تأييد

التُّوزسي للحزب الديمقراطي في بداية نشأته، إنما كان لضرورة الظروف المعروفة التي شهدتها

تركيا آنذاك، حيث لم يكن هناك أي قوة سياسة إسلامية منظمة، فسعى التُّوزسي بذلك إلى كسر

شوكة الحزب الجمهوري من خلال تأييده للحزب الديمقراطي^(١).

٢. وقسم ثانٍ عارض هذا الرأي، محتجاً بأن تشجيع بديع الزمان للحزب الديمقراطي - الذي

أصبح فيما بعد حزب العدالة - إنما كان لمميزات هذا الحزب، فنظرته إلى هذا الحزب كانت نظرة

مطلقة وليست مقيدة بزمن.

٣. وقسم آخر اعترض على تأييد أي اتجاه سياسي، وقصّل البقاء بعيداً عن معترك السياسة، مستنداً

بأن بديع الزمان كان يستعيز بالله من الشيطان ومن السياسة^(٢).

(١) انظر: بكير، بديع الزمان سعيد التُّوزسي وأثره في الفكر والدعوة، ص ٢٢٥، بتصرف.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٥٢٥، بتصرف.

وبهذا يتبين أن أسباب الاختلاف والانقسام ناشئة من اختلاف في فهم بعض أقوال النُورسي، وتباين في تأويل بعض آرائه ومواقفه، فقد حالت ظروف النفي والاعتقال والمراقبة المستمرة دون توضيحه لخطط الجماعة. لكن هذه الانقسامات لم تُعق استكمال ما بدأه النُورسي من مشاريع، بل إن نشاط طلاب النور أصبح أكثر تنظيماً وتطوراً، وهم يقومون حالياً بدور فعال ومؤثر في تركيا، ومن أهم أقسام جماعة النور:

▪ جماعة كولن (GULEN)

نسبة إلى زعيمها الحالي "فتح الله كولن"^(١)، انفصلت هذه الجماعة سنة (١٩٧١م)، لرفضها الانحياز لأي حزب سياسي، ومنذ ذلك الحين وهي تعمل لتطوير نشاطها مع التركيز على التدريس، وإعداد عدد كبير من خريجي كليات الإلهيات لتولي قيادة الجماعة مستقبلاً.

▪ جماعة الجيل الجديد (YENI NESIL)

تضم هذه الجماعة كثيراً من الطلاب القدامى الذين رافقوا النُورسي من أمثال: سعيد أوزدمير، ومصطفى صنغور، وأحمد آيتمور، وعبد الله يكين، ويايرام يوكسل، وهم يعلنون أنهم لا يؤيدون أي حزب سياسي، ويعملون على النهج القديم لجماعة النور، إذ يركزون على دراسة رسائل النور وترجمتها إلى لغات أجنبية كثيرة.

(١) فتح الله كولن: ولد محمد فتح الله كولن في ٢٧ نيسان عام (١٩٤١) في قرية صغيرة تابعة لقضاء (حسن قلعة) المرتبطة بمحافظة أرضروم في تركيا، ونشأ في عائلة متدينة، درس في المدرسة الدينية في طفولته وصباه، وكان يتردد إلى (التكية) أيضاً، أي تلقى تربية روحية إلى جانب العلوم الدينية التي بدأ يتلقاها أيضاً من علماء معروفين من أبرزهم، عثمان بكتاش الذي كان من أبرز فقهاء عهده، حيث درس عليه النحو والبلاغة والفقه وأصول الفقه والعقائد، بدأ عمله الدعوي في أزمير في مدرسة تحفيظ القرآن، ثم عمل واعظاً متجولاً، وفي عام (١٩٩٠م) بدأ بحركة الحوار والتفاهم بين الأديان وبين الأفكار الأخرى، وله كثير من المؤلفات. انظر: موقع فتح الله كولن، نبذة عن حياة الأستاذ فتح الله كولن، مقال منشور على شبكة الانترنت، بتاريخ 2006.09.28.

▪ جماعة وقف الزهراء (ZEHRA VAKFI)

يتولى قيادة هذه الجماعة الأستاذ عز الدين يلدرم، ولعل من أهم أعمالها تبنّي مشروع إنشاء جامعة باسم الزهراء، وهو المشروع الذي ظلّ النُوزسي يحاول إنجازه، وقد أنجزت جزءاً مهماً من المشروع، كما تؤكد على نشر الدعوة الإسلامية، وتُعدّ الأقرب إلى آراء النُوزسي، ولها عدة أنشطة ثقافية جيدة، كما تهتم بالدراسات الإسلامية، فتمتاز بسعة الأفق في مناقشة آراء الإمام وقبول النقد الموضوعي.

▪ جماعة الخدمة (HIZMET VAKFI)

يرأسها الأستاذ عبد الله يكين، أحد طلاب النُوزسي القدامى، وتقوم هذه الجماعة بنشاط تربوي وتعليمي جيد، ولها مراكز في كثير من المدن التركية وبعض المدن الأوروبية.

▪ جماعة آسيا الجديدة (YENY ASYA)

نسبة إلى جريدة (آسيا الجديدة) الناطقة باسمها، وهي الجماعة، ومع أن هذه الجماعة تعلن عدم تدخلها في السياسة، فإنها تُدلي بأصواتها لصالح حزب العدالة الذي أصبح: حزب الطريق القويم العلماني، وتُشجع كل تصرفاته المنافية للمبادئ الإسلامية، وهذا ما جعل أغلب طلبة النور يخرجون عليها^(١).

(١) انظر: بكير، بديع الزمان سعيد النُوزسي وأثره في الفكر والدعوة، ص ٢٢١-٢٢٤، بتصرف.

المبحث الثاني

خصائص البيئة التركية وانعكاساتها التربوية على المجتمع

تتناول الدراسة الفترة الانتقالية الممتدة من عهد الدولة العثمانية الأخير، إلى بداية عهد الجمهورية، وذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، فهذه الفترة تحديداً متشعبة الأطراف في جميع مجالاتها ومُعقّدة، سياسياً، واقتصادياً، وعسكرياً، إذ شهدت أهم الأحداث والتحويلات التي عرفها العالم الإسلامي، حيث كانت مرحلة ضعف الدولة العثمانية، كما شهدت عملية القضاء على الخلافة الإسلامية، وما تلا ذلك من هجوم على عقيدة الإسلام ونظمه، وقيام النظام الجمهوري العثماني في غالبية المجالات الحياتية، إلى أن تراجعت هذه الهجمة نسبياً بفعل الصحوة الإسلامية.

وقد نجح الاستعمار في تمزيق وحدة الأمة الإسلامية، وفي وضع حواجز بين شعوبها، وتجهيل أبنائها، بما يموج في بلدانهم من تيارات وظواهر ومشكلات متنوعة، لذا قسّمُ هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: خصائص البيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في تركيا وانعكاساتها التربوية.

المطلب الثاني: خصائص البيئة العلمية في تركيا وانعكاساتها التربوية.

المطلب الأول: خصائص البيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في تركيا وانعكاساتها التربوية

إن فهم الأوضاع الاجتماعية يقتضي دراسة جذورها السياسية والاجتماعية والاقتصادية دراسة علمية موضوعية، وهذه الجذور تمتد إلى زمن الخلافة العثمانية في تركيا، وحتى بداية عهد الجمهورية، ويأتي فهم الخصائص العامة لأحداثها خطوة أساسية في محاولة فهم واقع الصحة الإسلامية المعاصرة، والتي كانت بقيادة مجموعة من المفكرين من أبرزهم الإمام النورسي.

وتُصنّف مثل هذه الفترة في علم الاجتماع بأنها من أشد الفترات الزمنية صعوبة على المجتمعات، لأنها تعرضت للتغيير الاجتماعي السريع الذي يؤدي إلى تصارع القيم والتباين فيما بينها، وتُسمى "ظاهرة عدم اكتمال التنظيم الاجتماعي"، وهي ظاهرة تتميز بعدم اكتمال القواعد التي تكفل تنظيم سلوك الأفراد، فلا يمكن للمجتمع تشربها وجعلها من القيم التي يخضع لها^(١)، مما يُسبب اختلاط الأمر على الأفراد فلا يُميزون الصواب من الخطأ، والحق من الباطل، وهذا ما حدث للدولة التركية في الفترة الانتقالية المشار إليها.

وقد ارتأيت عرض خصائص الدولة العثمانية في عهدها الأخير، وخصائص عهد الجمهورية في صورة سمات متقابلة، لتظهر التغيرات الاجتماعية السريعة في كل المجالات، والتي أدت إلى انعكاسات تربوية متنوعة على أفراد المجتمع التركي في ذلك الزمان.

أولاً: خصائص البيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في تركيا

تحولت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر من كيان واحد إلى دويلات متنافرة، لكل منها حاكم وعلم ونشيد، وقد تولى الحكم سلاطين ضعاف همهم الملذات والترف، وأصبح ولاء الأمة يدور في فلك الزعماء والقادة، ورجال الحكم والسياسة، مما أدى إلى تمزق الخلافة الإسلامية

(١) انظر: التير، مصطفى عمر، المشكلات الاجتماعية تحديد الإطار العام، مجلة الفكر العربي، العدد ١٩، ١٩٨١م،

وأطمع فيها النَّصارى الذين أطلقوا عليها اسم الرجل المريض، كما أن للتأمر اليهودي دوراً مهماً في إضعاف الدولة العثمانية، لتحقيق آمالهم في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، خاصة يهود الدونمة^(*)(^١).

وقد ظهرت في هذه الفترة الزمنية تغييرات جذرية وتحولات في تاريخ الحضارة الإسلامية، يمكن إجمالها بالآتي:

• الانتقال السريع من سيادة الدين على الحياة الاجتماعية والاقتصادية إلى سيادة العلمانية: تتكون مفردات الحياة الاجتماعية من عادات وقيم وتقاليدها بحسب نظام الحكم السائد، فوجود الخلافة الإسلامية وإن انتابها الضعف، يجعل جميع المؤسسات الاجتماعية والأنظمة تتبع النظام الرسمي في الدولة، لذا صبغت بصبغة الإسلام.

"فلقد حرص علماء الدولة العثمانية على أن يكون نظامها السياسي على عقيدة التوحيد، وتطبيق شريعة الله، وتقوم على الشورى، وأن يقوم نظامها الاقتصادي على التعامل بالذهب والفضة، وعدم التعامل بالربا، وعدم الاستغلال والاحتكار، وعدم الاتجار بما حرم الله، وأن يقوم نظامها السلوكي والأخلاقي الاجتماعي على أساس عقيدة الإسلام، وأن يقوم نظامها التعليمي والإعلامي على قاعدة من العلوم الشرعية"^(٢).

(*) الدونمة: تعني ذو الملتين، يهودي في السرّ، ومسلم في الظاهر، ومؤسسها اليهودي الإسباني سباتاي زيفي، وقد أعلن أنه مسيح بني إسرائيل المنتظر، سكنوا منطقة الغرب من آسيا الصغرى، وأسهموا في تقويض الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة، عملوا ضمن مخططات الصهيونية العالمية ولهم علاقة وطيدة بالماسونية، وكانوا وراء تكوين جمعية الاتحاد والترقي. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٥٩٩ - ٥٦١، بتصرف.

(١) انظر: الزبيدي، مفيد، العصر العثماني موسوعة التاريخ الإسلامي، د.ط، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م، ص ٥٢، بتصرف.

(٢) الصلابي، علي محمد حمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، د.ط، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٧٧.

ومن الشاهد السابق يظهر بجلاء الأساس الحاكم على كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والأخلاقية، وإن كانت هناك بعض التجاوزات، إلا أن النظام المطبق بشكل علني يبقى هو النظام السائد، ألا وهو النظام الإسلامي.

ثم جاءت العلمانية التي تُعدّ من أخطر سمات مرحلة قيام الجمهورية، وتعني حصر الدين في المساجد، إذ ترى أنّ الأمور الحياتية يجب أن تتحرر من النفوذ الديني، وقد نشأت العلمانية في الغرب نشأة طبيعية نتيجة ظروف ومعطيات تاريخية ودينية واجتماعية وسياسية واقتصادية، خلال قرون من التدرج، حتى وصلت لصورتها الحالية، وكان من نتائج الفكر العلماني أو الثقافة العلمانية ظهور النزعة الوطنية والقومية، بمعنى أن يصبح ولاء المسلم لرقعة معينة من الأرض، أو عنصر خاص من الناس^(١).

فمع الانقلاب الكمالي صدرت قوانين معادية للشريعة الإسلامية، وممهدة لتتصير مسلمي تركيا باسم التقدم والحضارة، فأصبح من المحرمات؛ الطلاق، وتعدد الزوجات؛ والحجاب الشرعي، وروج للخلاعة والمجون والفساد بدعوى الفن والأدب^(٢).

وقد عدّ الإمام التورنسي انعكاسات العلمانية السلبية، من جهل وتقليد وتعصب وسيطرة القس، من أخطر العوامل التي أدت إلى كسوف شمس الإسلام، والتي أدت إلى اضطراب الأحوال وسوء الأخلاق^(٣)، وهذا لأن العلمانية قد نشأت في الغرب نتيجة ظروف ومعطيات خاصة بهم، ثم ظهرت في الشرق كوافد أجنبي يُطبّق تحت تهديد السلاح، لذلك فهي لا تتناسب مع المجتمع

(١) انظر: مقدم، فتحي رضوان، مصطفى كمال أتاتورك، د.ط، دار ومطابع المستقبل، الاسكندرية، ١٩٨٣م، ص ٧٩، بتصرف.

(٢) انظر: مقدم، مصطفى كمال أتاتورك، ص ٩٥، بتصرف.

(٣) انظر: التورنسي، سعيد، صيقل الإسلام، ترجمة: إسمان الصالحي، ط ٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٤م، ص ٢٣، بتصرف.

الإسلامي ولا تُسهم بأي تقدّم يُذكر، فلم تورث إلا الفساد؛ لأن الظروف التي نشأت فيها العلمانية تختلف اختلافاً جذرياً عن ظروف البلدان التي جُلبت إليها.

• التحول من الكفاح المسلح ضد الاستعمار إلى تشكيل جماعات الحركة الإسلامية: قام العالم الإسلامي بما فيه الخلافة العثمانية بآخر حركة مقاومة تجاه الغرب الأوروبي في العهد الأخير لها، فشهدت بذلك الانعكاسات النظرية والعملية للكفاح ضد الاستعمار في ظل مرحلة تميّزت بعلاقات دولية مؤسسة على المنافسة الاستعمارية^(١).

ثم بدأت المرحلة الثانية بعد إلغاء الخلافة وقيام عهد الجمهورية، إذ فقدت جميع المؤسسات والمفاهيم الإسلامية التقليدية فاعليتها في هذه المرحلة، وألغيت الخلافة التي كانت تمثل وحدة المسلمين، واستُعمرت جميع البلدان الإسلامية بالقوة السياسية والاجتماعية والفكرية^(٢).

وقد شهدت الأعوام التي تلت تغيّرات مهمة في العالم الإسلامي، فاكتسبت البلدان الإسلامية استقلالها السياسي بسرعة كبيرة، وكان نمط الكفاح لإحراز الاستقلال يُحدّد إلى درجة كبيرة طبيعة التنامي والتوسع في الساحة الدينية، فبدت تركيا في الخمسينات كبلد يحاول تجربة بعض أنواع الانبعاث الديني، الذي كان مثار نقاش وجدل في معظم التطورات السياسية آنذاك^(٣).

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية دخلت تركيا عهد جمهورية ذات برلمان مكوّن من أحزاب متعددة، وكان الفوز الذي حققه "الحزب الديمقراطي" في انتخابات عام (١٩٥٠م) مفتاح طريق التغيير في السياسة المتعلقة بالدين، فمثلاً سُمح للأذان باللغة العربية، وهُجِر الأذان باللغة التركية، كما سُمح بحرية أوسع لتدريس الدين، وقد عرف هذا العصر مجموعة من المفكرين والقادة الفكريين

(١) انظر: أوغلو، أحمد داود، سياسة العالم الإسلامي في القرن العشرين في نظر النُورسي، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، استانبول، العدد الثالث، ٢٠١١، ص ١٥، بتصرف.

(٢) انظر: أوغلو، سياسة العالم الإسلامي في القرن العشرين في نظر النُورسي، ص ١٦، بتصرف.

(٣) انظر: وول، جون أوبرت، حركة التجديد والإصلاح في أواسط القرن العشرين، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، استانبول، العدد الثاني، ٢٠١٠، ص ٨-٩، بتصرف.

الأتراك الذين نذروا أنفسهم لبيان المبادئ الإسلامية في ظل ظروف العصر الحديث، وكان على رأس هؤلاء الإمام "بديع الزمان سعيد النورسي"، الذي لم يكن معروفاً خارج تركيا، ولكنه يُعد من أهم الشخصيات التي أسهمت بجهد بارز في هذه التطورات^(١).

وبذلك اختارت المجتمعات الإسلامية التي فقدت مركزها، طريق الدفاع عن الإسلام تجاه الإيديولوجيين المعاصرين الذين يسعون لإقامة دينهم في المجال النظري، بوساطة تشكيل هيئات جماعية لمواجهة ضغوط الإدارة الاستعمارية، فكان من نتائج هذا السعي أن تشكلت جماعات إسلامية في مصر وباكستان وتركيا والتي تعرف اليوم بالحركات الإسلامية^(٢)، ومن أبرز هذه الحركات الإصلاحية الإسلامية:

١. حركة محمد بن عبد الوهاب، المصلح الذي ركز على قضايا العقيدة وتنقيتها مما لحق بها من الشبهات، وقد تركت هذه الدعوة أثراً واضحاً في باقي الدعوات التي تلتها، فقد تركت بصماتها على دعاة الإصلاح بعده^(٣).

٢. حركة حسن البنا^(٤): حركة إصلاحية، وهي كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة، أسسها الإمام حسن البنا في مصر سنة ١٩٢٨م، وسرعان ما انتشر فكر هذه الجماعة في مصر وعديد من الدول، هدفت إلى تطبيق الشريعة في واقع الحياة، وتنادي بإصلاح سياسي اجتماعي اقتصادي من منظور إسلامي، وفتت متصدية لموجة المد العلماني في المنطقة العربية، ولها دور في دعم عدد من الحركات الجهادية ضد الاستعمار والتدخل الأجنبي.

(١) انظر: رول، حركة التجديد والإصلاح في أواسط القرن العشرين، ص ٨-٩، بتصرف.

(٢) انظر: أوغلو، سياسة العالم الإسلامي في القرن العشرين في نظر النورسي، ص ١٦، بتصرف.

(٣) انظر: السحمراني، مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، ص ١٠٨، بتصرف.

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٢٣، بتصرف.

٣. حركة النُوزي التربوية، التي تُحضر لمرحلة أخرى أو أكثر، وينتقل فيها العمل إلى الجهاد، ولا تتفك إلى العمل السياسي^(١)، وعلى الرغم من عدم ذكره ضمن حركات التغيير سابقاً^(٢)، إلا أن العالم الإسلامي أدرك أهمية هذه الحركة وأثرها من خلال الإطلاع على تراثه الفكري.

ولهذا التنوع في أساليب الحركات الدعوية واختلاف مناهجها فائدة تكاملية، فقد كان العالم الإسلامي في حاجة إلى فكر ثوري، من أجل إعادة البناء، وفي حاجة إلى فكر منهجي، قائم على أساس مرسوم في عصر لم يتعود فيه العالم على التفكير في مشكلاته، قد أدت جميعاً إلى ما شهدته النهضة الحديثة من بعث فكري^(٣).

• التحول من الغزو الخارجي والتدخل الأجنبي في النظام السياسي والاقتصادي إلى الغزو الاجتماعي باقتباس مظاهر الحياة الغربية من قبل المجتمع التركي: عملت الدول الغربية المستعمرة على إثارة الحروب المتعددة ضد الدولة العثمانية، واستولت على أجزاء من أراضيها، وقد ظلت الخلافة تتدهور، وتسقط أجزاءها حتى آلت الولاية إلى السلطان عبدالحميد الثاني^(٤).

ولم تكن الثورات نابعة من شعوب هذه المنطقة بالدرجة الأولى، وإنما كانت بتحريض من روسيا، ولما زادت هذه التمردات وأحدثت تأثيراتها عالمياً، تقرر عقد اجتماع دولي تشترك فيه كل من: انكلترا، وفرنسا، وألمانيا، والنمسا، وسُمي هذا المؤتمر بـ"مؤتمر الترسانة عام ١٨٧٦م"^(٥)، وانتهى بإقرار انسحاب القوات العثمانية من الصرب والجبل الأسود، ومنح الحكم الذاتي لبلغاريا

(١) انظر: الطنطاوي، منهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النُوزي، ص ١٣٨، بتصرف.

(٢) راجع شفيق، منير، في نظريات التغيير، ط ١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٥٧، بتصرف.

(٣) انظر: بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص ٥١-٥٢، بتصرف.

(٤) السلطان عبدالحميد الثاني: هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، ولد عام ١٨٤٢م،

وتلقى تعليماً منتظماً في القصر السلطاني على أيدي نخبة مختارة من أشهر رجالات زمنه علماً وخلقاً، وكان مهتماً بالسياسة العالمية وارتقى العرش عام ١٨٧٦م، ققاد البلاد قيادة حازمة، وتوفي سنة ١٩٠٩م. انظر: حرب، محمد، السلطان عبد الحميد الثاني، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٠م، ص ٣١-٣٤، بتصرف.

(٥) انظر: حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، ص ٣٧-٣٩، بتصرف.

وللبوسنة والهرسك، وعلى إثر هذا المؤتمر قامت الحرب الروسية العثمانية، وتم إجبار الدولة العثمانية على توقيع معاهدة أبا ستفانوس (١٨٧٨م)^(١).

وقد شملت السيطرة الأوروبية النظام السياسي الذي بدوره يتحكم ببقية مجالات الحياة خاصة الاقتصادية منها بسبب تبعية النظام الاقتصادي وغيره من الأنظمة للنظام السياسي، والظاهر أن مرحلة الضعف قد تزايدت في هذه الفترة الزمنية حتى آلت الدولة العثمانية إلى السقوط، مما فتح المجال أمام الدول الاستعمارية لتزيد من هيمنتها على النواحي الاقتصادية والاجتماعية بفعل سيطرتها على الناحية السياسية.

وبذلك ساد التدخل الأوروبي ثم جاءت الحرب العالمية الأولى لتنفذ الدولة العثمانية إلى جانب دول الوسط، فهزموا أمام الحلفاء، وخضعت استانبول والمدن العثمانية نفسها للاستعمار والسيطرة الأوروبية، إلى أن جاء كمال أتاتورك الذي أعلن الجمهورية ١٩٢٣م، لينهى العمر الطويل للدولة العثمانية ولتتحول إلى دولة علمانية على نمط أوروبي^(٢)، وقد تحدث الإمام النورسي عن القيود التي كانت تتحكم بالعالم الإسلامي، فقال:

«إن استبداد حكومة روسيا مثلاً قيد، وتحكم الشعب الروسي قيد آخر، وتغلب العادات الكفرية الجائرة على العادات الإسلامية قيد ثالث، والحكومة الانجليزية وإن كانت غير مستبدة إلا أن أمتها متحكمة مسيطرة وعاداتها مهيمنة»^(٣).
ويلاحظ من كلام الإمام النورسي أن التدخل والهيمنة سمة خفية غير معلنة أمام الناس في هذه الفترة الزمنية، لذا يُنبه إلى الاستعمار غير المباشر ويُعلن خطورته على المجتمع الإسلامي في مجالات حياتية متعددة.

(١) معاهدة بين العثمانيين والروس، تقرر فيها إنشاء مملكة بلغارية تُقْتَطع من الدولة العثمانية، وحصول رومانيا على الاستقلال، كما تدفع الدولة العثمانية إلى جانب هذا مبلغاً كبيراً تعويضات للحرب. انظر: حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، ص ٣٩، بتصرف.

(٢) انظر: الزبيدي، العصر العثماني موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ٥٢، باختصار.

(٣) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٣٩٦.

ثم شهدت المرحلة الثانية بروز تغيرات اجتماعية وخطية خطيرة في المجتمع التركي، حيث ظهر التقليد واضحاً لمظاهر الحياة الغربية في مختلف المجالات.

وقد صدرت قوانين جديدة باسم تحرير المرأة، وأصبح يحق للمرأة المسلمة التركية الزواج بالنصراني أو اليهودي أو غيرهما من ذوي الديانات الأخرى، وأصبح من المباحات بنص القانون شرب الخمر، ولعب الميسر، وأكل الخنزير، والارتداد عن الإسلام، وارتكاب الفاحشة^(١).

وتغيرت أوضاع المرأة إثر الانقلاب تغييراً جذرياً، فخلعت الحجاب وارتكبت الفواحش دون لوم أو قيد، وكذلك الرجل أحلت له المحرمات بنص القانون، كل ذلك في سبيل تقليد الغرب، للحصول على الرقي والحضارة الوهمية.

وأخيراً يلحظ المتتبع للأحداث التي شهدتها الفترة الانتقالية، أنها أكبر من أن تُختزل في سطور، وإنما اكتفيتُ بعرض سريع للأوضاع العامة في تركيا وانعكاساتها التربوية؛ حتى يتيسر فهم الظروف التي نشأ فيها الإمام سعيد النورسي وغيره من الجيل المثقف المؤثر، والتي أسهمت بشكل كبير في تكوين شخصياتهم، ومدى تأثير ذلك كله في فكرهم وجهودهم العملية، الأمر الذي أدى إلى ظهور جيل من المصلحين، الذين يحاولون بعث الحياة في الأمة، وإيقاظها من سباتها لتستعيد مكانتها في العالم تحت راية الإسلام.

ثانياً: الانعكاسات التربوية للبيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع التركي من خلال تحليل الخصائص التي مرّ ذكرها للدولة العثمانية في عهدها الأخير وبداية عهد الجمهورية، تظهر الانعكاسات الآتية:

(١) انظر: مقدم، مصطفى كمال أتاتورك، ص ٩٥، بتصرف.

١. تعدد الحركات الطائفية والقومية: أدى كثرة الحركات الطائفية والعرقية والقومية إلى وجود حالات التمرد والخروج على الحكم، كما أن وجود هذه الحركات انعكس سلباً على الفرد من عدة نواحٍ هي:

■ من الناحية النفسية، حيث عاش الفرد في تناقض، وتجاذبه تيارات متعددة جعلت سلوكه في تذبذب بين التواصل والتناذب، وعملت على تلوث أفكاره السليمة فحلت محلها الأحقاد والمنازعات، مما انعكس على سلوكياته وعلى طرائق تفكيره، فعاق ذلك تفاعله الثقافي مع غيره.

■ من الناحية الاجتماعية، أدى وجود الحركات الطائفية والعرقية والقومية إلى تمزيق الوحدة الإنسانية، مما سبب انعدام الأمن، فظهرت مشكلات العنف والعنصرية، والخلافات بين فئات المجتمع.

■ من الناحية الاقتصادية، قلّت قدرة الأفراد على الإنتاج، حيث تراجع الاقتصاد، وساد التخلف في التعليم والصحة وغيرها من مجالات الحياة.

٢. تدخل الدول الأجنبية: أدى تدخل الدول الأجنبية الصليبية إلى إشعال الفتن، ووجود الظلم والاستبداد، وصاحب ذلك انتشار العدوان والقتل، فحُرمت بذلك الأمة من أجيال قد يكون الكثير منهم قادة مؤثرين، وحلّ مكانهم قادة ضعاف تولّوا المناصب السياسية والإدارية.

ومن انعكاسات ذلك التدخل في البيئة الاجتماعية، وجود مشكلات الفوضى والتوتر والكسل والانتكالية، حيث فقد الأفراد الوعي بإنسانيتهم، وأصبحوا قطعان مدجّنة للدول الأوروبية، وعليه تفككت العلاقات الاجتماعية، فقضت على علاقة الأخوة الإيمانية، ذلك أن سياسة الاستعمار لا تكتفي بنهب ثروات البلاد وسلبها استقلالها، وإنما تسعى إلى إعادة تشكيل تكوينها الاجتماعي والثقافي والبيئي والتربوي والعائدي والديني، بغية إحكام السيطرة عليها وترويض أهلها، وإعادة

البشرية إلى عصور الرقّ، وتحويلها إلى قطعان بشرية لا ترتفع هممها لأكثر من حاجاتها الفسيولوجية.

أما عن الانعكاسات السلبية في البيئة الاقتصادية، فقد تدنّت مستويات التنمية في البلاد، وتفشّت مشكلات الفقر والبطالة، وفُقدت شروط الحياة الكريمة، فأحدث ذلك هوة ضخمة بين طبقات المجتمع، وساد الفكر النفعي مع تزايد آثاره السلبية في مجالات الحياة، بحيث أصبح الاستهلاك هو الهدف النهائي.

٣. العلمانية والتحرر من الدين: من أخطر انعكاسات العلمانية والتحرر من الدين، وجود قضايا سلبية متطورة على مرّ العصور، مثل: قضايا البيئة، والإيدز، والانحلال من الأسرة، وتشجيع العنصرية وغيرها، فالعلمانية تجعل رفض الدين هو المرجع الرئيس للأمور الحياتية، وخصوصاً السياسية منها، لأنها تعتمد على ما هو مادي ملموس وليس على ما هو غيبي، وبحسب رؤيتها فإن حياة الإنسان تستمر بشكل أفضل ؛ لأنه سيتمكن من الاستمتاع بالملذات الدنيوية.

٤. ولادة حركة الوعي في العالم الإسلامي: وقد ولدت هذه الحركة مبكرة في القرن العشرين، إذ أيقظت قضية فلسطين هذا الوعي، فانطلق العالم الإسلامي للبحث عن اتجاه إيجابي، وبدل على ذلك ردّ السلطان عبد الحميد على مشروع توطين اليهود في فلسطين بقوله: "فليحتفظ اليهود بملايينهم، فلو قدر لإمبراطوريتي أن تتمزق فقد يحصلون على فلسطين بلا مقابل، ولن يتم ذلك إلا إذا مزقت أوصالنا، ولن أوافق على أن تتمزق وأنا حي"^(١).

وبدأت الصّحة الإسلاميّة مشروعها الكبير في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، في ظل الظروف السياسيّة والاجتماعيّة التي كانت سائدة في بلدان العالم الإسلاميّ في

(١) انظر: قدورة، زاهية، تاريخ العرب الحديث، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م، ص ١٩٠.

ذلك الوقت؛ حيث الأنظمة الفاسدة، واستعمار جائم، ومنظومة تربوية واجتماعية وثقافية تغريبية تسعى إلى محو هوية الأمة، واستبدالها بهوية غريبة لا تراعي القيم أو الدين أو التاريخ.

ثم نشأت حركات وجماعات في العالم الإسلامي تباينت في أدواتها وأساليبها، ما بين من تبنى أسلوب الثورة، وبين من تبنى أساليب التغيير الاجتماعي التدريجي؛ إلا أنها اشتركت جميعها في مرجعيتها وفي غاياتها؛ حيث كانت المرجعية كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، ومنها حركة الإمام النورسي، حيث كان الهدف منها هو محاولة العودة بالمجتمع إلى الجذور الإسلامية^(١).

٥. تأثير البيئة الاجتماعية على شخصية الفرد سلباً وإيجاباً:

ظهر المصلحون للدفاع عن الدين في عصر عاش فيه غالبية الناس على هامش الواقع، أو بطن في متابعته، وأصبحوا فئة ملاحقة من قبل الدولة، لأنهم امتلكوا رؤية جديدة للأهداف والأساليب والوسائل، واستطاعوا تسليط الوعي على التحديات المتجددة، وتجاوزوا النماذج الشائعة، وعادوا إلى الأصول والأهداف الكبرى في كل المسائل والمشكلات الإنسانية.

وقد اختلفت مواقف الأفراد في الدول الإسلامية بحسب التحديات^(٢)، فقد كانت الظروف الاجتماعية في تركيا في الفترة المشار إليها سابقاً من نوع التحدي المنتج بالنسبة للمصلحين والمجددين، لذا أسهم الإمام النورسي بنفسه ويكل ما يملك في سبيل إنقاذ تركيا من الكفر والإلحاد.

(١) انظر عضيات، عاطف العقلة، الدين والتغيير الاجتماعي في المجتمع العربي، د.ط، الهيئة المعرفية العلمية للكتاب، دم، ١٩٩٠م، ص ٦٩.

(٢) يرى بكار أنه يمكن تصنيف مواقف الأفراد في الدول الإسلامية بحسب التحديات في درجات ثلاث، هي:

- التحدي المُعجز: وهو مواجهة المرء لصعوبات تفوق طاقاته وإمكاناته، بسبب ضخامة الصعوبات أو بسبب سوء ظروف المواجهة الجماعية أو الذاتية، فيتحول التحدي إلى مجيئ للإمكانات.
- التحدي الضعيف: وهو التحدي الذي لا يتطلب منا طاقات إضافية وهو مطلوب، وضعفه يُسبب التخلف.
- التحدي المُنتج: هو التحدي الذي نملك مقومات الاستجابة له، وتكون المقدمات التي نملكها غير كافية، ونحتاج إلى إضافات على الصعيد الفكري والسلوكي، فعلى المجتمعات توفير الظروف التي تجعل التحديات منتجة. انظر: بكار، عبد الكريم، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩م، ص ١٤-١٥، بتصرف.

وأخيراً وبعد هذا العرض الموجز لأهم الانعكاسات التربوية لما ذكرته من ظروف وأحداث،

أنبه على الحقائق الآتية:

- إن ما ورد من أوصاف وخصائص إنما هي الوضع العام لتركيا، ولا يُراد منها الأفراد.
- إن حالة السلبية التي ظهرت من الخصائص السابقة للبيئة التركية لا تعني خلو الأمة من الخيرية، فهي باقية في الأمة الربانية إلى يوم القيامة.
- إن في الخصائص والانعكاسات تأثيراً متبادلاً بين الأسباب والمسببات، فالانعكاس هو سبب ونتيجة في آن واحد، وكلها إفرازات للظروف السياسية والاقتصادية والعلمية في البلاد.

المطلب الثاني: البيئة العلمية في تركيا وانعكاساتها التربوية

تأتي خصائص البيئة الفكرية والعلمية على درجة من الأهمية والخطورة بسبب تأثيرها على التكوين الفكري للجيل الجديد، فهي من أكثر القضايا التي نالها الإهمال رغم المحاولات المتعددة للارتقاء بمؤسسات التعليم، وكغيرها من بلدان العالم الإسلامي كانت تركيا، فقد مرّت بالكثير من التغييرات خلال المرحلتين العثمانية والكمالية، وتفصيل هذه الخصائص وانعكاساتها التربوية في الآتي:

أولاً: خصائص البيئة العلمية في تركيا

- تميّز العهد الأخير للدولة العثمانية بوجود محاولات متعددة لإصلاح التعليم، غير أن سمة الاتباع للغرب كانت غالبية، ويمكن إجمال أبرز التحولات في النقاط الآتية:
- الانتقال السريع من محاولات إصلاح التعليم الإسلامي إلى إشراف الغرب على التعليم: كانت عناية السلطان عبد الحميد الثاني بنظام التعليم والتربية كبيرة، حيث عمل على إصلاحه، وتطوير ما يحتاج إلى تطوير، وإبقاء القديم الصالح على ما هو عليه، ومن الشواهد التاريخية على ذلك:

- أدخل السلطان عبد الحميد الثاني تدريس الفلسفة في مدرسة ملكية، وهي تعادل كلية العلوم السياسية في وقتنا الحاضر، بعد تغيير اسمها من الفلسفة إلى الحكمة، كما بذل جهده لكي يرى في كل قرية مسجداً وبجانب المسجد مدرسة، كما طبعت عديد من الكتب في عهده^(١).

- تم إنشاء عديد من الكليات في عهده وكان من أهمها: دار العلوم السياسية، الجامعة الإسلامية بفروعها: العلوم، والحقوق، والآداب، وكلية الهندسة العالية، ومدرسة اللغات، ومدارس الطب^(٢).
ويُلاحظ من الشواهد السابقة أن محاولات الإصلاح كانت جادة، وقد شمل إصلاح التعليم الجمع بين المواد الشرعية والمواد العلمية، بسبب الفصل بين العلوم الشرعية وغيرها من العلوم التي كانت قائمة آنذاك.

وفي المرحلة الثانية أثناء العهد الجمهوري تم استقدام غربيين للعمل في الكليات العسكرية والمدارس المدنية، وبالتالي استطاعوا نشر الأفكار الغربية في تلك المؤسسات، وكانت من المناهج التي تدرس في هذه المؤسسات كتب الفلاسفة الماديين، وتقوم الدراسة في هذه المؤسسات على أسس غربية خالصة، حيث أخذ الغرب يوجهها، ويراقبها ويضع لها أهدافاً، بالإضافة إلى ذلك كان التضييق على المدارس والمؤسسات الوطنية الخالصة، خاصة تلك التي تحافظ على عقيدة الأمة وثقافتها وهويتها^(٣).

• الانتقال السريع من الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية إلى الغزو الثقافي الغربي الكامل: تكوّن الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية نتيجة عوامل متعددة قائمة في كيان الدولة العثمانية، ففكرة الاهتمام بالعلم بغرض خدمة الأهداف السياسية لا يمكن أن يستمر نجاحها،

(١) انظر: الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م، ص ٥٩٠، بتصرف.

(١) انظر: حرب، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، ص ١٠٥-١٠٦، بتصرف.

(٢) انظر: قنديل، أثر بديع الزمان سعيد النورسي في إحياء الاتجاه الإسلامي المعاصر في تركيا، ص ٣٠، بتصرف.

لأنه سيتم الإقتصار على جوانب محددة بحسب الحاجات، وإهمال بقية الحقائق والمعارف التي تخدم الأنظمة الباقية، فأدى ذلك إلى القصور وعدم القدرة على التوفيق بين العلم والقوة، وبالتالي ظهرت الحاجة إلى فكر جديد.

وقد كان لدخول النظريات والأفكار الغربية على الدولة العثمانية آثارها السيئة على حياة المجتمع التركي، فلم تستطع الدولة العثمانية أن توفق بين العلم والقوة؛ لأنها دولة قامت على الجندية، وانشغلت بالحروب مع دول كثيرة وقوية، وكان توجهها نحو العلم في الأساس لخدمة الأغراض العسكرية، فالعلوم الرياضية والطب ... إنما نشأ كل ذلك في المدارس العسكرية^(١).

ويعدّ السلطان عبد المجيد أول سلطان عثماني يُضفي على حركة تغريب الدولة العثمانية صفة الرسمية، إذ إنه أمر بتبني الدولة لهذه الحركة، وأمر بإصدار فرماني التنظيمات عامي (١٨٥٤م)، (١٨٥٦م)، وبهما بدأ في الدولة العثمانية ما سُمي بعهد التنظيمات^(٢)، ثم بدأت الدولة في التقنين وإقامة المؤسسات^(٣).

وقيام المؤسسات التعليمية على هذا النظام كبديل للفكر السابق على اختلافهما في الفلسفة والمحتوى والأهداف، أدى حتماً إلى التصارع بينهما، وظلّ الصراع قائماً إلى أن كانت السيادة للفكر الغربي بعدما تولّى مُناصروه الحكم والقيادة.

ويبلغ هذا التيار أقصى مداه بعد الانقلاب الكمالي الذي قرر المناهج الغربية في جميع مراحل التعليم دون نقد أو تعديل، والسماح بإقامة مؤسسات تعليمية أجنبية بإشراف الحكومات الأوروبية

(١) انظر: الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ص ٤٧٧، بتصرف.

(٢) التنظيمات: اصطلاح يعني تنظيم شؤون الدولة وفق المنهج الغربي، وبهذين فرمانين تم استبعاد العمل بالشرعة الإسلامية. انظر: الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص ٦٣٩، بتصرف.

(٣) انظر: الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص ٦٣٩، بتصرف.

مباشرة، وقويت حركة ترجمة الفكر الأوروبي، وألغى التعليم الديني، ليقطع صلة الشعب التركي بعلوم الإسلام ومناهجه التعليمية؛ فنشأت بذلك أجيال لا تؤمن إلا بالعلوم المادية^(١).

وبعد أن ألغيت الخلافة (١٩٢٤م)، صدر قانون بالحكم بالإعدام على من يتأمر على لإعادتها، وفي نفس العام صدر قانون بإلغاء التعليم الديني، وجعل التعليم مدنياً فقط، ثم ألغيت المحاكم الشرعية، وأصبحت اللغة التركية هي لغة البلاد، واستبدل الطربوش بالقبعة^(٢).

فكان تغيير طرائق اللباس والمظهر الخارجي نابعاً من تغيير طرائق التفكير، وهناك من الشواهد الدالة على تحول المفاهيم والمصطلحات بحسب التحولات الثقافية وتياراتها، وقد حاول المصلحون والمفكرون الوقوف في وجه التيار المعادي للإسلام، وفي ذلك يقول الإمام النورسي:

«إن إسناد محاسن المدنية إلى النصرانية التي لا فضل لها فيها، وإظهار التذني والتقهقر قريناً بالإسلام الذي هو عدو له، دليل على دوران المقدرات بخلاف دورتها، وعلى قلب الأوضاع»^(٣).

• الانتقال السريع من السيادة الدينية على التعليم إلى علمنة التعليم: كانت تبعية المؤسسات التعليمية في زمن الخلافة العثمانية للأوقاف، وكانت شبه مستقلة، وغير مقيدة بمقررات أو مناهج تعليمية معينة، ولم تستطع هذه المؤسسات بمناهجها الجامدة أن تصمد أمام متغيرات العصر، فقد قاومت المشاريع الإصلاحية التي دعا إليها بعض العلماء في فترات مختلفة، كما عارضت فكرة إقامة المطبعة؛ لأنها قادمة من الدول النصرانية^(٤).

(١) انظر: قنديل، أثر بديع الزمان في إحياء الاتجاه الإسلامي المعاصر في تركيا، ص ٥٧-٥٨، بتصرف.

(٢) انظر: مقدم، مصطفى كمال أتاتورك، ص ٩٣-٩٤، بتصرف.

(٣) النورسي، المكتوبات، ص ٦٠٦.

(٤) انظر: حسون، علي، الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، ط ٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٧٧-

٧٨، بتصرف.

ونتيجة لما سبق انتشر الجهل والفساد في أنحاء الدولة، مما أدى إلى تطلع الشباب التركي إلى مدارس الغرب وكلياته، وكانوا هم الجسر الذي نقل أفكار الغرب في الاستهانة بالقيم وبالدين وإدخالها إلى مجتمعاتهم

ونجد الإمام النورسي يُشير إلى الأسباب التي أدت إلى تأخر المسلمين، فيذكر أهمها بقوله:

«إن من أهم أسباب تأخرنا في مضمار المدنية بعد الاستبداد هو تباين الأفكار واختلاف المشارب لدى منتسبي ثلاث شعب كبيرة... وهم منتسبو المدارس الحديثة والمدارس الدينية والتكايا»^(١).

ثم بدأت مرحلة علمنة التعليم في حكم أتاتورك تمشياً مع الدستور الجمهوري، ومن الإجراءات التي سادت في هذه الفترة الزمنية أن ألغيت الحروف العربيّة، فقطعت صلة المسلم بماضية الإسلامي، وحُذفت دروس الدين من المدارس بناءً على القاعدة الأساس في سمة العلمانية وهي فصل الدين عن الدولة، وكذلك تمّ تجفيف منابع الثقافة الدينية، وذلك بانتشار هياكل تعليمية منفصلة عن التربية الدينية، سعياً إلى تكوين أشخاص قادرين على إدارة عملية التحديث بفاعلية كاملة، وقد قام كمال أتاتورك بإصدار قانون توحيد التعليم، وإغلاق المدارس الدينية ووكالة الأوقاف الشرعية، وأدخل التعليم المختلط، والموسيقى الكلاسيكية الغربية، وأوقف التقويم الهجري وأمر باستخدام التقويم الميلادي^(٢).

ولقد رفض النورسي هذا التوجه العلماني، وتمسك بثوابت العلم والتعليم الإسلامي، فتعرّض إلى الاضطهاد والظلم على يد سلطات الحكم، ولكنه ظل متمسكاً بمبادئ القرآن فكراً وعملاً، وآمن بأن التربية الإسلامية هي جوهر صنع الإنسان المسلم^(٣).

(١) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٤٧٢-٤٧٣، باختصار.

(٢) انظر: مقدم، مصطفى كمال أتاتورك، ص ٩٥، بتصرف.

(٣) انظر: هدهود، ناجي عبد الباسط، التربية عند النورسي بالقرآن والدعوة والحرية، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبيدع الزمان سعيد النورسي، استانبول، ٢٠١٠م، ص ٢٦٩، بتصرف.

ثانياً: الانعكاسات التربوية للبيئة العلمية في المجتمع التركي

ومن الانعكاسات التربوية على الجيل في تركيا إبان هذه الفترة الزمنية ما يأتي:

١. ظاهرة التغريب: تفسى ظاهرة التغريب على الصعيدين الأخلاقي والاجتماعي، إذ يذهب المسلم شرقياً ويعود علمانياً بأفكار وقيم غربية، والتغريب تيار مشبوه يهدف إلى نقض عرى الإسلام والتحلل من التزاماته، والدعوة إلى التبعية للغرب في كل توجهاته وممارساته.

وقد استطاع هذا التيار استقطاب كثير من المفكرين العرب، فمسخوا هويتهم، وحاولوا قطع صلتهم بدينهم، والتضحية بولائهم وانتمائهم لأمتهم الإسلامية، من خلال موالة الغرب والافتخار بكل ما هو غربي، وهي أمور ذات خطر عظيم على الشباب المسلم.

وللعقل أن يتصور حال ذلك المبعوث الشاب الذي غرر به في بيئة تسودها الإباحية والتحلل الأخلاقي، كم هي الآثار السلبية المنعكسة على شخصيته وحياته ومعرفته، بل يؤدي ذلك إلى نشوء أجيال تشكك في الألوهية والوحي والنبوة، واعتراضات على صلاحية الإسلام لقيادة الحياة^(١).

٢. النظام التعليمي الغربي: كان للأساتذة المستقدمين من الغرب أثر واضح في غسل أدمغة الطلاب وسلخهم من دينهم، بهدف تشويه صورة الإسلام في أعين النشء، كي يسهل عزلهم عن الثقافة الإسلامية الأصيلة، وكبداية لإحداث أي تغيير لا بد من البدء من الجذور العميقة، للإطاحة بالمخزون الديني والثقافي، ليتم استبداله بالأنظمة والقوانين والشرائع الجديدة، لذا عملت الدول الاستعمارية على بتر الأصول العقدية والأخلاقية والثقافية والتربوية، بهدف تدمير الهوية الإسلامية التي تكفل رفض الاستجابة لثقافة الاستعمار ولأخلاقه وقيمه.

إن إحساس المسلمين بهويتهم يتفاوت تفاوتاً كبيراً بمقدار الفهم لأصول الحضارة الإسلامية ومعالم التجربة التاريخية للأمة، وبحسب الانغماس في معايشة الواقع واستيعابه، ومحاولات التأثير

(١) انظر: بكار، عبد الكريم، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، ص ٢٢-٢٣، بتصرف.

فيه من قبل الغرب يُشكل أزمة الهوية، والحلّ لن يكون إلا من خلال إعادة تنظيم الحياة الأخلاقية والعقلية في ضوء ثوابت المنهج الرباني.

ومن الآثار السلبية لفقدان الهوية الإسلامية ما يأتي^(١):

١. انحرافات في مفاهيم العقيدة الأساسية سواء فيما يتعلق بالذات الإلهية، أو في ما يتعلق

بالنبوة والرسالة، وهذه الانحرافات متباينة من بلد إلى آخر.

٢. الجهل المطبق بأحكام الدين، نظراً لانتشار الأمية.

٣. سيادة النزعة المادية وسيطرتها على مشاعر المسلمين؛ نتيجة للتأثر بالحضارة الغربية

المادية.

٤. ظهور القيم السلبية في منظومة القيم الاجتماعية: سبب التغير السريع في منظومة القيم

غالبية الانحرافات السلوكية، حيث أصبحت الفتاة التركية صورة للمرأة الغربية في التكشف والتعري

باسم الموضة، مما يؤدي إلى انتشار الاختلاط بين الرجال والنساء في المدارس والجامعات وأماكن

العمل، ثم انتشار الزنا والفواحش، واستحلال المحرمات بحجة التقدم والرفق.

بالإضافة إلى التبعية في مظاهر الحياة الغربية، سواء التبعية في الحياة الاجتماعية، أم

التبعية في الحياة التعليمية، وقد شملت مظاهر الطعام واللباس وبقية سلوكيات الأفراد، ونتيجة

للتبعية تظهر الكثير من المشكلات، مما يدفع البعض إلى إثارة الصمت، وتجاوز البعض الآخر

إلى تزيين الخطأ، مما جعل المشكلات تتراكم وتتزايد.

ومن خلال ما سبق ذكره من ممارسات وقوانين يُلاحظ التخبط في نظام القيم السائد الذي لا

ينتمي إلى الإسلام في أي شيء، ويجدر هنا التنبيه على أن هذه التغييرات كانت دفعة واحدة دون

(١) انظر: بكار، عبد الكريم، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، ص ٣١-٣٣، بتصرف.

تدرّج، مما سبب صدمة قيمية حضارية، أدت إلى وقوع أضرار كبيرة في فكر غالبية أفراد المجتمع التركي وأخلاقهم.

وفي نهاية هذا المبحث ينبغي التأكيد على أن الإمام سعيد النورسي واحد من الأعلام الذين شهدوا أهم هذه الأحداث والتحوّلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فكان له موقفه المؤثر والتميز في بلاده، فعاين الدولة العثمانية في آخر مراحل حياتها حين حاصرتها القوى الغربية واقتطعت أجزاء كثيرة من ممتلكاتها، كما عايش النورسي حرب الاستقلال التي استثمرها أتاتورك للسيطرة على السلطة وإلغاء الخلافة، واستمر الإمام النورسي في المشاركة السياسية والاجتماعية بأساليب مختلفة في هذه المراحل كلها، متأثراً بها مؤثراً فيها، داعياً في مراحل حياته كلها إلى الإصلاح والتجديد، وبناء الدولة على الإسلام، واتجه بعد ذلك إلى البناء الداخلي، وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف تعرّض لمحن متواصلة بين السجن والنفي.

وقد مهدت الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة الزمنية لوجود مشكلات متعددة في كل المجالات الحياتية، مثل مشكلة العنصرية ومشكلة الفقر ومشكلة الظلم والاستبداد وغيرها.

المبحث الثالث

تأثر موضوعات كليات رسائل النور بالبيئة التركية ومشكلاتها

تميّز الإسلام بأنه منهج حياة متكامل وما زال، وهذا ما جعله يتقدم الأديان الأخرى، ويتبوأ المقام الأول، لأنه ليس مجرد مجموعة آراء وقناعات، وإنما هو عقيدة وعمل، ومن سنة الله تعالى، ألا تعالج المشكلات الواقعة، إلا بحقائق تقابلها وتغيّرها، لذا أراد المصلحون إنقاذ البشرية بالإسلام، فانطلقوا من إدراك واع لطبيعة هذا الدين العملية، وفهم عميق لحياة الناس وهمومهم، من خلال تقديم الحلول لمشاكلهم كلها، اعتماداً على عملية تربية شاملة، فاستطاعوا الإصلاح والنهوض.

وقد أشرتُ فيما سبق إلى أن الإمام النورسي تنبّه إلى واقع العالم الإسلامي ومشكلاته المعاصرة، بل تعدّت نظرتَه وسعة أفقه إلى قضايا المستقبل، فنّبّه من خلال كلياته إلى ضرورة الوعي بالمشكلات والقضايا التي عانى منها المجتمع التركي، سواءً المشكلات الفكرية، والسياسية، والعقدية، والاجتماعية، الحاضرة أم المستقبلية، وتأسيساً على ما سبق قسمتُ هذا المبحث إلى مطلبين، هما:

المطلب الأول: كليات رسائل النور وتشكيل الوعي بالمشكلات المعاصرة.

المطلب الثاني: كليات رسائل النور وقضايا المستقبل ومشكلاته.

المطلب الأول: كليات رسائل النور وتشكيل الوعي بالمشكلات المعاصرة

للشخص درجات متفاوتة في الفهم والوعي والتفكير، وكثير من المشكلات تُصنّف بحسب وعي الإنسان نفسه بها، فما يُشخص كمشكلة عند بعض البشر قد لا يكون له أهمية عند الآخرين، ولقد كان للوعي الإنساني ودرجة الإلمام بالظروف المحيطة، دور مهم في فهم المشكلة وتشخيصها ومحاولة حلها، وبالمقابل فإن تناقص الوعي الإنساني العام، يقابله تضائل واضح في الإحساس بالمشكلات التي تكون ذات أثر كبير على البشرية.

وفي ذلك صدق بكار حينما بيّن أنّ القابلية في الوقوع في أسر اللحظة الحاضرة، والمعطيات الجاهزة والبيئة المحيطة، من أخطر المشكلات التي تواجه الوعي الإنساني، وقد كان كبار المفكرين والمصلحين، يحاولون إيجاد مداخل تجعل الوعي يفتتح على الماضي والمستقبل، وعلى القريب والبعيد، وعلى الكلي والجزئي^(١).

فالوعي محصلة عمليات ذهنية وشعورية معقدة؛ إذ تشترك عمليات التفكير والحدس والمشاعر والإرادة والضمير، بالإضافة إلى القيم ومرتكزات الفطرة، وحوادث الحياة والنظم الاجتماعية، فيتناغم الخليط الهائل من مكونات الوعي، لتعمل معاً في تشكيل الخبرة، وهي أداة الوعي للتعرف على الوجود الطبيعي والاجتماعي^(٢).

وهناك مستويات عليا من الوعي لا يملكها كثير من الناس، كالتي امتلكها الإمام النورسي والتي كانت حصيلة انعكاسات البيئة الاجتماعية، وقد أفرغ الإمام حصيلة وعيه بحاضره في رسائله، فكانت وصفة طبية لأمراض العصر الذي عاش فيه، ومن خلال القراءة الواعية لكليات رسائل النور يُلاحظ تحديد مظاهر تشكيلها للوعي بالمشكلات المعاصرة بمظهرين:

(١) انظر: بكار، عبدالكريم، تجديد الوعي، ط١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م، ص١١٥، بتصرف.

(٢) انظر: بكار، تجديد الوعي، ص١٠، بتصرف.

أولاً: تحديد دوائر المحنة التي يعاني منها المسلم في المجتمع التركي.

ثانياً: تحديد الأهداف الثابتة التي يتخطى بها المسلم المشكلات المعاصرة.

وتفصيل ذلك يكون بالآتي:

أولاً: تحديد دوائر المحنة التي يعاني منها المسلم في المجتمع التركي: تبدأ معاناة المسلم مع حضارة عصره يوم يفقد ذاكرته الحضارية، ويتخلى عن ذاته ويقطع صلته بقيمه الفاعلة، والصالح من تراثه فتزول مقاومته، وتقل مناعته، فيقع فريسة السيئ من السلوك والمبادئ باسم التقدم والتطور.

وقد حدّد الإمام النُّوزي محنة الإنسان المسلم في كلياته في دوائر متصلة، بعد أن حلّل واقع العالم الإسلامي، مبيّناً أنه تعلم هذا التحليل في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية^(١)، وقد حدد هذه الدوائر عن طريق ثلاث دوائر فرعية، وهي:

الدائرة الأولى: تشخيص الإمام النُّوزي أمراض العالم الإسلامي، والتي سببت تأخر البلاد الإسلامية، وهي^(٢):

١. اليأس الذي وجد أسباب حياته في نفوسنا.

٢. موت الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية.

٣. حب العداوة.

٤. الجهل بالروابط السامية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

٥. سريان الاستبداد، وسريان الأمراض المعدية المتنوعة.

٦. حصر الهمة في المنفعة الشخصية.

(١) انظر: النُّوزي، صيقل الإسلام، ص ٤٩١، بتصرف.

(٢) انظر: النُّوزي، صيقل الإسلام، ص ٤٩٢.

ويعتقد النُوزسي أن أخطرهما هو الاستبداد السياسي، ويقول في ذلك:

«إن من أهم أسباب تأخرنا في مضمار المدنية بعد الاستبداد، هو تباين الأفكار واختلاف المشارب لدى منتسبي ثلاث شعب كبيرة يعدون مرشدين عموميين للجميع، وهم منتسبو المدارس الحديثة، والمدارس الدينية، والتكايا»^(١).
وبالرغم من اعتراف النُوزسي بالآثار السلبية لهذه الأمراض، فلم ييأس من محاولة الإصلاح والتغيير، فقدم وصفات متعددة لعلاج أمراض المجتمع الإسلامي، مثل: الأمل، والصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية، والمحبة في تقوية الصلة والترابط بين أفراد المجتمع، ويختم وصفته بالحث على الشورى الإسلامية، التي هي مفتاح السعادة للمسلمين في حياتهم الاجتماعية والسياسية^(٢).
الدائرة الثانية: تحديد العنصر الرئيس لمحنة المسلم المعاصر، وهي خمول العقل المسلم وغيابه عن مجريات الأحداث بسبب الخوف من الظروف السياسية والاجتماعية.
فإذا كان هذا واقع حال المسلمين فإن النتائج ستكون وخيمة، لذلك نَبّه الإمام النُوزسي مجتمعه إلى خطورة حالهم بقوله:

«إن من يتوجس خيفة على دينه من انقلاب سياسي، فليس له نصيب من الدين إلا الجهل الواهي -كبيت العنكبوت- الذي يدفعه إلى الخوف، وليس له إلا التقليد الذي يرميه في أحضان الاضطراب والارتباك»^(٣).
فما أصاب العقل المسلم من ركود وخمول عن مجريات الأحداث في المجتمع التركي، ترتب عليه خروجه من دوائر التحدي، والاكتماء باليأس والمشاهدة، فأسقط بذلك عن نفسه واجب التكليف، واكتفى بالحد الأدنى من التفكير والتنظيم، وعكس ذلك حالة من اللامبالاة، إلى جانب الأثنية الفردية، التي عادةً ما تقود الشخص إلى التمسك بما يملك من فكر موروث، أو متاع الدنيا

(١) النُوزسي، صيقل الإسلام، ص ٤٧٢ - ٤٧٣.

(٢) انظر: النُوزسي، صيقل الإسلام، ص ٤٩٢ - ٥١٥، بتصرف.

(٣) النُوزسي، صيقل الإسلام، ص ٣٨٨.

والمندنية، ويحرص على الاكتفاء بأدنى ما يستطيع من المشاركة في إنتاجية مجتمعه؛ لأنه إنسان مضطرب مقلد لا يمتلك قدرات فاعلة تؤهله لتحديد موقعه وموقع مجتمعه على خارطة الحضارة.

الدائرة الثالثة: الاعتراف بعلاقة المجتمع مع الحضارة، وهي بين موقفين لا ثالث لهما:

أولها: موقف الانبهار بحضارة العصر فيفكر بطريقتها ويتعلم علومها، وكل هذا دفع المسلم إلى التقليد والمحاكاة ليجد نفسه في نهاية المطاف منقاداً طواعية إلى الرضوخ لسلطان تلك الحضارة فيصبح تابعاً لها.

وثانيها: الإفراط في التغني بالماضي، كرد فعل غير مباشر لذلك الانبهار، مما يقود المسلم المعاصر إلى الاتكاء على التراث، فلا يحس بما حوله من متغيرات، فإذا لم يستطع أن يستوعبها يبدأ في مقاومتها، بدلاً من أن يحتويها، وينقيها من شوائبها.

وقد عبّر الثورسي عن واقع الحال هذا، وبين حال المجتمع في عصره بقوله:

«إن كثيراً لم يمحسوا الإسلام وما عرفوا إلا ظواهره بالتقليد، والتقليد يتشتت ويتمزق بإلقاء الشبهات والشكوك، فانظروا مثلاً إذا خاطبتم بعضهم: بأنكم لا دين لكم، وبخاصة من كان منهم سطحياً في الدين ومتوغلاً في الفلسفة المادية، فربما يتردد ويشك في أمره بوساوس من أن مسلكه خارج عن الإسلام، فيشرع بالقيام بأعمال وحركات منافية للإسلام، ناشئة من اليأس والعناد، ولسانه يردد: ليكن ما يكون فلا أبالي»^(١).

ومما أوضحه الإمام الثورسي أن الناس في عصره كانوا قد تأثروا بعلوم الحضارة المادية كالفلسفة، وتغنوا بظواهر الدين، وفقدوا القدرة على الدفاع عن هويتهم وثقافتهم، فخرجوا بلا هوية، وانعكس ذلك سلباً على ردود أفعالهم باللامبالاة والخمول التي سببت كثيراً من المشكلات.

(١) الثورسي، صيقل الإسلام، ص ٤٠٥.

ثانياً: تحديد الأهداف الثابتة التي تتخطى بها أسباب المشكلات المعاصرة: سعت كليات رسائل النور إلى مجموعة من الأهداف الثابتة رغم التغييرات الجذرية التي شهدتها العالم الإسلامي، وقد عملت أهدافه على تشكيل الوعي بالحاضر، فشككت الحجر الأساس في البناء الفكري للإمام التُّوزسي، ومن هذه الأهداف:

١. الدفاع عن القرآن وتعاليمه ودفع الشبهات عن العقيدة والشريعة: كانت بداية نتاج التُّوزسي الفكري كتابة رسالة: نقطة من نور معرفة الله جل جلاله^(١)، وكان إثبات وجود الله الشغل الشاغل للإمام التُّوزسي في رسائل النور كلها، فكانت بدايته رد فعل للفكر الذي ساد آنذاك من اعتبار إنكار وجود الله علامة تقدم.

وكل ما عرضه الإمام من قضايا كان يُعرض في مرآة القرآن وبأسلوب لين، وهذا ما جعل كل من له صلة بالرسائل يعلم صدق الإمام التُّوزسي في حرصه على عقيدته ودينه، ومن الشواهد على ذلك:

▪ كانت الكلمة الثامنة لبيان قيمة الدين في حياة الإنسان^(٢)، وهذا رد فعل لفصل الدين عن الحياة واتهامه بأنه سبب تخلف المسلمين.

▪ الكلمة الثالثة عشرة تنقسم إلى قسمين: الفائدة التي تعود من الالتزام بالقرآن، وإنقاذ الآخرة إزاء ما يحيط بنا من فتنة الإغراء وجاذبية الهوى، وخداع الهوى وقد سادت أوضاع اجتماعية جعلت الناس يغفلون الآخرة ويغرقون في الهوى والمجون^(٣).

(١) راجع: الرسالة الحادية عشرة بعنوان: نقطة من نور معرفة الله جل جلاله، وتوضح هذه الرسالة براهين التوحيد من خلال حقيقة الرسول ﷺ، وكتاب الكون، والقرآن الكريم، ووجدان الإنسان وفطرته، كما تبين حقيقة الكفر ومجالاته، انظر: التُّوزسي، سعيد، المثنوي العربي النوري، ترجمة: إحسان الصالح، دار سوزلر، استانبول، ط ٣، ٢٠٠٣م، ص ٤١٩.

(٢) راجع: التُّوزسي، الكلمات، ص ٣١-٣٧.

(٣) راجع: التُّوزسي، الكلمات، ص ١٥٠-١٥٥.

٢. شرح مقاصد الإسلام وحقائقه وبيان وسائله وطرائقه: وهنا تكلم النورسي في رسائله عن: الصلاة وبيان قدرها وأهميتها وأسرارها ومنافعها، وشرح الكثير من مهمات أذكارها^(١)، حتى أظهر جلياً للعقل السليم أن الصلاة من أهم حقائق الدين، وكذلك تحدث عن الصوم وآثاره وفضله وعظيم تربيته للروح والجسد، وعن الأسرار والحكم الكثيرة فيه، وقد تمت الإشارة لكثير من حكم بقية الشعائر الدينية ولكن مقدار ورودها في الرسائل أقل من السابقتين.

٣. شرح مفصل لوظيفة الإنسان في الحياة والمراد منه: وهذا هو المقصد الأكبر للرسائل، فمجملة رسائل النور كانت لبيان وظيفة الإنسان تجاه نفسه ومحيطه وخالقه عز وجل، ولهذا فهو يسعى إلى تربية الفرد المسلم لإنقاذه من عالم الظلمات الذي يرقد فيه في عصره، والشواهد على ذلك كثيرة، منها:

■ في القسم الثاني من الكلمة الثالثة عشرة في مجلد الكلمات^(٢)، يرشد الإمام النورسي الإنسان إلى كيفية إنقاذ آخرته.

■ ويختم رسالة الكلمة الرابعة عشرة^(٣)، بتذكير الإنسان المستغرق في المشاكل الدنيوية لإيقاظه من غفلته.

■ وكذلك في الكلمة الثالثة والعشرين^(٤)، يقوم بتفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٥)، مبيناً محاسن الإيمان وتأثيره في الإنسان روحياً ومادياً، وأسباب سعادته وشقاؤه.

(١) راجع: النورسي، الكلمات، ص ٣٨.

(٢) راجع: النورسي، الكلمات، ص ١٥٠.

(٣) راجع: النورسي، الكلمات، ص ١٨٥.

(٤) راجع: النورسي، الكلمات، ص ٣٤٨.

(٥) سورة التين: آية ٤.

■ أما الكلمة الثلاثون^(١)، فكانت تبحث في الأناية الإنسانية ونتائجها في ضوء قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٢).

والمنتبع للمواضع التي بين فيها الإمام النورسي هذا المقصد يجدها كثيرة، فقد خصص قسماً كبيراً من كلياته لمعالجة قضايا الإنسان وإنقاذ دينه وديناه، فهو محور أساس فيها.

٤. المحافظة على الوحدة الإسلامية وعلى سلامة المجتمع: فقد أحس الإمام النورسي بأن الحاجة ملحة إلى مفهوم الوحدة، كي لا يكون المنعزل فريسة للأمم والشعوب المتحدة، التي تبنى نفسها وتاريخها وتراثها على حساب غيرها من الأمم الضعيفة المنعزلة والمتفرقة، ومن مظاهر دعوة الإمام النورسي إلى الوحدة الإسلامية المظاهر الآتية:

أ. الدعوة إلى روح الجماعة والعمل الجماعي، وفي ذلك يقول الإمام النورسي:

«فلسنا في الزمن الغابر، حيث كان الحاكم شخصاً واحداً ومفتيه ربما شخص واحد أيضاً، يصحح رأيه ويصوبه، فالزمان الآن زمان الجماعة، والحاكم شخص معنوي ينبثق من روح الجماعة فمجالس الشورى تملك تلك الشخصية»^(٣).
ويؤكد الإمام النورسي في دعوته على أن روح الجماعة تُشكل فرداً معنوياً له من الخصائص والمؤهلات ما لا يمتلكها غيره من أشخاص حقيقيين، مثل: القيادة الحكيمة، والوقوف في وجه التحديات بصلاية، وهذه السمات يفتقدها الآخرون بسبب الأناية الفردية وحب الذات، والتي سادت ذلك الزمان.

ب. دعوة المسلمين سنة وشيعة إلى تجاوز أسباب الفرقة والاختلاف، فدعا الجميع إلى نبذ الإفراط والتفريط في زمانه، ودعا إلى الاستقامة على الحد الوسط الذي اختاره أهل السنة في محبة آل البيت، بقوله:

(١) راجع: النورسي، الكلمات، ص ٦٣٤.

(٢) سورة الشمس: آية ٩.

(٣) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٣٥٢.

«فيا أهل الحق الذين هم أهل السنة والجماعة، ويا أهل الشيعة الذين اتخذتم محبة أهل البيت مسلماً لكم، ارفعوا فوراً هذا النزاع فيما بينكم، هذا النزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه، وإن لم تزيلوا هذا النزاع فإن الزندقة الحاكمة الآن حكماً قوياً تستغل أحدكما ضد الآخر، وتستعمله أداة لإفناء الآخر، ومن بعد إفنائه تحطم تلك الأداة أيضاً؛ فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير النزاع؛ لأنكم أهل التوحيد، بينكم منات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والاتحاد»^(١).

أراد الإمام النورسي اتخاذ منهج الأولويات في الزمان الذي عاش به، فكانت نداءاته المتكررة بمظاهر الوحدة الإسلامية، دالة على هدفه في تبنى مشروع نهضوي رسالي يقوم على تحليل الواقع العالمي، ومعرفة طبيعة الصراعات والنزاعات فيه، ويعمل على تحديد النقطة التي توصل البشرية في الشرق والغرب إلى إيجاد البديل الأنفع للناس جميعاً.

المطلب الثاني: كليات رسائل النور وقضايا المستقبل ومشكلاته

لجأ الإمام النورسي أمام الظروف التي آل إليها العالم الإسلامي وضخامة موجة العداة للإسلام، إلى أسلوب آخر مكمل لأسلوب التوعية بالحاضر المعاش، وهو التعريف بقضايا المستقبل ومشكلاته، إذ اعتمد في الأساس على مراجعة الماضي ودراسة الحاضر، لوضع لبنة في بناء المستقبل، مستعيناً في ذلك بطول النفس ويُعد النظر، والأمل في الجيل القادم.

فقد برهنت التجربة على أمرين: أن الفكرة الإسلامية لم يُعد لها في سلوك الفرد ذات الفاعلية في العصور الأولى، وأن الفكرة الدينية لا زالت تحتفظ بوجودها داخل المنابر، وفي محيط المسجد فقط، لذا فنحن في حاجة إلى إعادة تنظيم طاقات المسلمين، وتوجيهها وهذا يستوجب تنظيم تعليم القرآن الكريم، بحيث تشكل الحقيقة القرآنية في ضمير المسلم كما لو كانت نازلة من فورها من

(١) النورسي، اللغات، ص ٣٨.

السماء، وكذلك يجب تحديد رسالة المسلم الجديدة في العالم، وهذا يستوجب احتفاظه باستقلاله الأخلاقي الثابت في أي مجتمع عاش به^(١).

وقد تنبّه الإمام التّورسي إلى خلاصة الماضي وحقيقة الحاضر، فضمّن كليات رسائل النور رؤية واضحة حول المستقبل، ولم يغفل الباحثون عن بيان هذه الرؤية في مؤلفاتهم^(٢). ولكن بيان موقف الرسائل من المشكلات المستقبلية لا زال بحاجة إلى إضافات، أقتصر في عرضه على محورين، هما:

الأول: عناية رسائل النور بتكوين سعة الأفق بقضايا المستقبل.

الثاني: تحديد أساليب التعامل مع المشكلات المستقبلية.

وتفصيل هذين المحورين يكون بالآتي:

المحور الأول: عناية رسائل النور بتكوين سعة الأفق بقضايا المستقبل: من خلال عناية كليات رسائل النور بالإنسان وقضاياها المتنوعة، وخصائصه المتعددة وحاجاته، فقد ركزت على بيان حاجة الإنسان إلى استمرار العلاقة بالمستقبل كاستمرارها بالحاضر والماضي، فهذه الحلقات الثلاث لا يمكن فصلها، لذلك سعت إلى تكوين سعة الأفق لدى الإنسان بمستقبله من خلال الآتي:

١. بيان ضرورة التفكير في المستقبل: فالإنسان في نظر رسائل النور مميّز بشمول علاقته لحلقات التاريخ الثلاث، الماضي والحاضر والمستقبل، وكشفه لترتيب العزل الظاهرية؛ لذلك يسبح خالقه لنسيان الماضي والحاضر والمستقبل^(٣)، وطالما هذه الميزة للإنسان دون بقية المخلوقات، فمن لا يدرك ضرورة الحلقات الثلاث والمستقبل بالذات يفقد إنسانيته من جهة، ويقع فريسة الخوف

(١) انظر: بن نبي، مالك، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، د.ط، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦، ص ١٠٤-١٠٦، بتصرف.

(٢) للاطلاع راجع: جبدل، عمار، اهتمام رسائل النور بالمستقبلات، المؤتمر العالمي التاسع ببيع الزمان سعيد التّورسي، استانبول، ٢٠١٠م، ص ١٥١.

(٣) انظر: التّورسي، المثنوي العربي النوري، ص ٣٣٨.

والقلق على المستقبل من جهة ثانية، وهذا المرض يكون سبباً في الاضطراب وتكدر الحياة بالأحزان^(١).

وترتقي هذه الضرورة سمواً إذا علمت أن الإمام النورسي يقرنها بأصالة الأمة ورفعته لمدى بعيد من السنين^(٢)، لذلك يوجه نداءاته للصغار والكبار أن يكونوا طلاب النور في المستقبل.

٢. تحفيز الإنسان بقدرته على صناعة المستقبل: يؤكد النورسي في رسائله على أن الإنسان مكلف بإصلاح واقعه وفق مقتضيات الإيمان بالآخرة، وهي مستقبله الخالد، ويضرب في ذلك مثلاً لتأمله للمذيع مستبشراً بقدره الإنسان على إدراك خطئه من جعله أداة للهو إلى إمكانية تحويله مدرسة إيمانية في المستقبل^(٣)، وبما أن المستقبل كما يقول النورسي: «حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله»^(٤)، فهو انعكاس لجهود الإنسان، وثمرة من ثمراته، فعليه البذل والعطاء والاستعداد الدائم لإصلاح مستقبله ودفعه نحو الرقي.

وفي ذلك يقول الإمام بعد أن تحدث عن اتصال الإنسان مع أبناء جنسه بعد تأمله للماضي لما سماه: "أمواج البرقيات التاريخية" فقد قال:

«ونتعلم العبر والأحداث التي وقعت في تلك الزوايا الآفلة، ونصنع منها قطاراً للأفكار ثم نرجع عاندين ونزور أبناء جنسنا ونتوجه إلى مشرق المستقبل، لنرى - ونرى الآخرين - فجر سعادته الصادق الذي يتراءى من بعيد، ثم نركب قطار الرقي والتقدم "وسفينة السعي" المسماة بالتوفيق، حاملين في أيدينا مصباح البرهان وندخل معه "الزمان" الذي يبدو مظلم البداية، إلا أن وراءه سطوعاً، لكي نصافح أبناء المستقبل، ونهنئهم بسعادتهم التي يرقنون فيها»^(٥).

(١) انظر: النورسي، الكلمات، ص ١٦٠.

(٢) انظر: النورسي، صيقل الإسلام، ص ٥٤.

(٣) انظر: النورسي، الملاحق، ص ٣٥٠.

(٤) النورسي، الكلمات، ص ٢٧٩.

(٥) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٦٨.

فيهذا الأسلوب المشوق والمليء بالتشبيهات التي تُلامس خيال القارئ، يُكوّن التُّوزسي صورة فوتوغرافية للمرحلة التي سيمير إليها في رحلته نحو المستقبل المزهر، فإذا امتك العبرة من الماضي، والإيمان بتصحيح الحاضر، من المؤكد أنه سيصل إلى الرقي والتقدم في المستقبل، فعلى الإنسان الجد والعمل الدؤوب ليصل إلى المستقبل المنشود.

المحور الثاني: تحديد الأساليب المناسبة للتعامل مع القضايا والمشكلات المستقبلية: توجه رسائل النور نداءات متعددة للقادمين في المستقبل، وتُبين لهم أنهم معنيون بمحتوى هذه الرسائل، ومنها قول الإمام التُّوزسي:

«وأتوجه بالخطاب إلى القادمين في المستقبل: أيا من اختفى خلف عصر شاهق لما بعد ثلاثمائة سنة، يستمع إلى كليات النور بصمت وسكون،... ارفعوا هاماتكم وقولوا: لقد صدقت، وليكن هذا التصديق ديناً في أعناقكم»^(١).

وقد حدّد التُّوزسي في رسائله الأسلحة التي يجب أن يمتلكها المسلم لمواجهة ما يعترضه من مشكلات وقضايا في المستقبل، وهذه الأساليب يمكن استخلاصها من أسسه التي يمكن أن تكون قواعد للتقدم الحضاري في المستقبل، ومنها:

أولاً: الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر: أكدت رسائل النور على وجود نوعين للمستقبل: المستقبل العاجل وهو المستقبل الدنيوي، والمستقبل الآجل وهو المستقبل الأخروي، والأول طريق للثاني، والعدة التي يحملها المؤمن أساسها الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر فلا مستقبل أخروي من غير تفكير منطقي وواقعي في المستقبل الدنيوي^(٢).

ولسلاح الإيمان بالله واليوم الآخر أثر عظيم في رفع الهمم وتقوية العزائم، لمواجهة ما يعترض المسلم في المستقبل من قضايا، لذلك يوجه الإمام التُّوزسي المسلم بقوله:

(١) التُّوزسي، سيرة الذاتية، ص ١١٥.

(٢) انظر: جيبيل، اهتمام رسائل النور بالمستقبلات، ص ١٦٨، بتصرف.

«إن الإسلام سيظهر على الأرض كافة مبيناً أن أعظم رقي مادي ومعنوي سيحققه الإسلام، وستتجلى الحضارة الإسلامية بأبهى مظهرها وستطهر الأرض من اللوثات»^(١).

ولهذا السلاح أيضاً قيمة عظيمة في توليد الدافعية لمزيد من السعي والبذل مهما كان طريق المستقبل وعراً، فالجزء بقدر المشقة التي تعترض طريق المسلم، وبذلك يستعد لبذل أعلى طاقاته وأقصاها، وقد نبّه النُوزسي إلى ذلك بقوله:

«فلا شك أن كل ساعة من ساعاتكم تحت هذه الشروط والأحوال الصعبة تُصبح في حكم عبادة عشرين ساعة، والعشرين ساعة من العمل في خدمة القرآن والإيمان تكسب أهمية مائة ساعة»^(٢).

وهذا يدلّ على أن من أثار الإيمان بالله واليوم الآخر عنده بناء الثقة بالقدرة على تحسين المستقبل وإصلاحه، وتوليد القوة المعنوية اللازمة لتحمل قضايا الحاضر والمستقبل.

ثانياً: التقدم العلمي والعقلي: يُعدّ العلم من أقوى الأسلحة التي يحتاجها المسلم في مواجهة قضايا مستقبله، وفي ذلك يقول النُوزسي: «اهجموا على الجهل والفقر بالعلم والصناعة»^(٣)، وكذلك يقول:

«إن القرآن العظيم، حكيم يُعطي لكل شيء قدره من المقام، ويرى القرآن من ثمرات الغيب التقدم الحضري البشري قبل ألف وثلاثمائة سنة، المستترة في ظلمات المستقبل أفضل وأوضح مما نراها نحن وسنراها، فالقرآن إذاً كلام من ينظر إلى كل الأزمنة بما فيها من الأمور والأشياء في آنٍ واحد»^(٤).

إن التسليم بعلوم القرآن الثابتة لحدود الزمان والمكان من أقوى الأساليب التي تُكوّن الثقة والقدرة على صناعة المستقبل، وهذه الأسلحة متكاملة، فهي تكون القوة المادية والمعنوية، والتي تؤكد على أن رسائل النور تجمع بين العلم والعمل لأجل المستقبل.

(١) النُوزسي، صيقل الإسلام، ص ٤٩٢.

(٢) النُوزسي، سيرة ذاتية، ص ٥١٠.

(٣) النُوزسي، صيقل الإسلام، ص ٤٦٣.

(٤) النُوزسي، الكلمات، ص ٢٩٦.

ويرى التُّوزسي أن أهم عناصر التكامل بين البشر تكاملهم في علومهم، فالتقدم العلمي هو
حصيلة تلاحق الأفكار، وفي ذلك يقول:

«إن العلوم نتيجة تلاحق الأفكار، وتتكمّل بمرور الزمن، وإن البديهي في المستقبل
قد يكون نظرياً في الماضي، وأن معلوم المدني قد يكون مجهول البدوي، وأن قياس
حال الماضي على المستقبل قياس خادع مُضَلَّ»^(١).

وتؤكد فكرة التلاحق أثر الدراسات والبحوث المستقبلية على صياغة التعريف بالحقائق^(٢).

ويتم من خلالها أيضاً عمليات الاستدراك، وفرز التخصصات العلمية، وإيجاد المؤهلين معرفياً
وأخلاقياً ومنهجياً، وبذلك يمتلكون القدرة لمواكبة متطلبات عصرهم، ولإدراك تطبيقاتها الميدانية،
فيتخلصون من مشكلاتها ويعدون العدة المادية والمعنوية لمشكلاتهم المستقبلية.

ثالثاً: الجمع بين العلم والدين: وفي هذا المجال قدّم التُّوزسي تشخيصاً دقيقاً لما آلت إليه مناهج
التعليم ومؤسساته، وقد أبان عن الفجوة الواضحة بين التعليم الديني والتعليم المعاصر، وهذه الفجوة
أدت إلى علاقة عدائية بين العلم والإيمان، فقام بدعوة الناس إلى الجمع بين تدريس العلوم الدينية
في المدارس الحديثة، وإدخال العلوم الحديثة إلى المدارس الدينية، في نسق منسجم يظهر التكامل
بين المنهجين، وقد ظهر طموح التُّوزسي هذا من خلال قوله:

«لتتصافح العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين، وتتصالح الحضارة الأوروبية مع
حقائق الإسلام مصالحة تامة، ولتتفق المدارس الحديثة وتتعاون مع المدارس
الشرعية في الأناضول»^(٣).

(١) التُّوزسي، صيقل الاسلام، ص ١٥١.

(٢) انظر: جيدل، اهتمام رسائل النور بالمستقبلات، ص ١٦٧.

(٣) التُّوزسي، الملاحق، ص ٤١٧.

كما بين العلاقة الصحيحة بينهما؛ بأن ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، وبامتزاجهما تظهر الحقيقة، وبافتراقهما يتولد التعصب في العلوم الدينية، والحيل والشبهات في العلوم الحديثة^(١).

وفي نهاية هذا الفصل تبين لنا أن موضوعات كليات رسائل النور قد تأثرت بالبيئة التركية وأحداثها، لذا كانت امتداداً لسيرة الإمام النورسي في زمن آخر غير زمانه الذي عاشه، لئسهم في تمهيد الطريق لمن يأتي مستقبلاً، فيكمل تجديد المنهج الإصلاحى السليم.

كما أن كليات رسائل النور تضم مادة تربية خصبة يمكن تقديمها كتوجيهات للمصلحين والمشرفين والمربين على اختلاف جهاتهم؛ لتكون تربيتهم تربية إسلامية رائدة، حيث تضم منهجاً مميزاً يمكن للباحثين معرفة جوانب هذا المنهج بدراسة متأنية للرسائل، خاصة في معالجة المشكلات الاجتماعية، إذ إن الإمام النورسي يحمل فكراً جامعاً لها، ومنهجاً مميزاً في أساليب معالجتها، ويطمح إلى تحقيق رؤية خاصة لتفسيرها.

(١) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٤١٧.

الفصل الثاني

مفهوم النُّوزسي للمشكلة الاجتماعية واتجاهات تفسيرها وأساليب معالجتها في ضوء الفكر التربوي المعاصر (علم المشكلات الاجتماعية)

بعد معرفة ما سبق من ظروف البيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية التي سادت تركيا في زمن الإمام النُّوزسي، ومعرفة تأثيرها على المجتمع التركي وأوضاعهم الفكرية والمادية، ما كان من الإمام النُّوزسي إلا موقف التصدي للمشكلات التي عانى منها الأفراد والجماعات، فكان له مفهومه الخاص للمشكلة الاجتماعية ومنهجه وبرامجه المبنوثة في كليات رسائل النور، والتي تحتاج إلى الجمع والتحليل والخروج بأطر واضحة مبنية على آراء الإمام النُّوزسي.

ولا بدّ من الاطلاع على ما أنتجه الفكر التربوي المعاصر في علم المشكلات الاجتماعية من تصورات وجهود في هذا المجال، وبذلك تتكون ملامح صورة علم المشكلات الاجتماعية المنطلق من التصور الإسلامي، وعليه قُسمتُ الفصل إلى ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: مفهوم الإمام النُّوزسي للمشكلات الاجتماعية وأنواعها في ضوء الفكر التربوي المعاصر

المبحث الثاني: اتجاهات تفسير المشكلات الاجتماعية عند الإمام النُّوزسي في ضوء الفكر التربوي المعاصر

المبحث الثالث: منهج الإمام النُّوزسي في معالجة المشكلات الاجتماعية في ضوء الفكر التربوي المعاصر.

المبحث الأول

مفهوم الإمام النُّوزسي للمشكلات الاجتماعية وأنواعها في

ضوء الفكر التربوي المعاصر

نال مفهوم المشكلات الاجتماعية حيزاً واسعاً في رسائل النور، فاعتمد الإمام النُّوزسي منهجاً خاصاً في تحديد مفهومها، معتمداً على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، التي تحدد القيم الثابتة التي تحكم الأنماط السلوكية للمجتمع الإسلامي.

كما أشار الإمام النُّوزسي إلى أنواع المشكلات الاجتماعية من حيث مجالها ومن حيث متعلقها، ومن حيث أسلوبها، لذا قسّمتُ المبحث إلى مطلبين هي:

المطلب الأول: مفهوم الإمام النُّوزسي للمشكلات الاجتماعية وعناصرها في ضوء الفكر التربوي المعاصر.

المطلب الثاني: أنواع المشكلات الاجتماعية عند الإمام النُّوزسي في ضوء الفكر التربوي المعاصر.

المطلب الأول: مفهوم الإمام النُّوزسي للمشكلات الاجتماعية وعناصرها في ضوء الفكر التربوي المعاصر

اتفق كثير من التربويين بما فيهم المصلحون وعلماء النفس وعلماء الاجتماع على أهمية دراسة المشكلات الاجتماعية، غير أنهم اختلفوا في تحديد مفهوم واضح وثابت لها، وهذا الاختلاف واضح حتى عند علماء الاجتماع أنفسهم، فقد اختلفوا في تحديد مفهوم سوسيولوجي^(١)، قاطع للمشكلة الاجتماعية، ونظراً لهذا الغموض ينبغي إظهار صورة المشكلات الاجتماعية في التربية المعاصرة وتاريخها، ثم توضيح مقصود الإمام النُّوزسي لمفهوم المشكلات الاجتماعية ورؤيته له.

أولاً: تطور علم المشكلات الاجتماعية

على الرغم من تطور المجتمعات البشرية وزيادة وعي الناس بضرورة الرقي والتقدم في مجالات الحياة المختلفة، فإن مشكلاتهم في تزايد مستمر، ومع حلول القرن العشرين كان هناك مفهوم يجمع إطاره المشكلات، وهو مفهوم الباثولوجيا الاجتماعية^(٢).

(١) سوسيولوجيا، أو علم الاجتماع: وفيه يُدرس المجتمع كنسق كلي موحد، وكذلك المؤسسات والعمليات والجماعات، الاجتماعية المفردة، المأخوذة من ارتباطها بالكل الاجتماعي، وقد أدخل مصطلح السوسيولوجيا أوغست كورنت في أواسط القرن التاسع عشر، ويتشعب هذا العلم اليوم إلى أكثر من أربعين فرعاً منها: علم الاجتماع الحضري، علم الاجتماع الريفي، علم الاجتماع المعرفة، علم اجتماع العنف، علم الاجتماع الطب، علم الاجتماع التربوي، أنظر: يفرموف، ناتاليا. سلوم، توفيق، معجم العلوم الاجتماعية، بيروت، دار التقدم- موسكو، ط١، ١٩٩٢، ص٤٠٨، بتصرف.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن "المقدمة" للعلامة ابن خلدون، تُمثل علماً جديداً وسوسيولوجيا صريحة شكلاً ومضموناً، وقد نعت هذا العلم "بعلم العمران البشري". انظر: عيسى، إبراهيم عبدالله، المنهجية المعاصرة لدى ابن خلدون، د.ط، اتحاد الأدباء العرب، صنعاء، ٢٠٠٦م، ص٨٩.

(٢) الباثولوجيا الاجتماعية Social Pathology: يقابل علم الأمراض (الباثولوجي) في الطب، لأنه يقوم بتشخيص الأمراض الاجتماعية الناجمة عن التغيرات التي تحصل دائماً وبشكل مستمر، ويُسمى علم المشكلات الاجتماعية بعلم العلل الاجتماعية، انظر: كمال، طارق، العلاقات المشتركة بين علم الاجتماع والمشاكل الاجتماعية، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ٢٠٠٩م، ص٨، بتصرف.

ثم تبعه في الظهور مفهوم التفكك الاجتماعي^(١)، وقد تزايدت الحاجة إلى دراسة المشكلات الاجتماعية بعد الحرب العالمية الثانية وما أفرزته من تطورات سريعة، إذ ألف أول كتاب خاص بالمشكلات الاجتماعية عام (١٩١٠م)^(٢)، ثم تجدد الاهتمام بالمشكلات الاجتماعية مع تأسيس جمعية دراسات المشكلات عام ١٩٥٠م، وهو تنظيم يجمع بين علماء الاجتماع الذين تخصصوا في دراسة المشكلات الاجتماعية^(٣)، ويمثل علم المشكلات الاجتماعية الوجه الواقعي العملي للمعرفة الاجتماعية، لذا يحتاج إلى فريق من الباحثين، وقراءة عديد من الكتب والبحوث^(٤).

ورغم إدراك كثير من المختصين لأهميته، فما زالت العقبات ظاهرة في طريق بلورة هذا العلم وإخراجه بالصورة التي ينبغي له أن تكون، فمنذ عام (١٩٧١م) ومقولة: "ظهور نظرية شاملة في دراسة المشكلات الاجتماعية في سبيلها إلى التحقق"، قائمة وتنتظر من يحققها، ولغاية الآن لم يصل علماء الاجتماع إلى فهم متكامل لأي مشكلة، بل يتداولونها بمدخل منفصلة لا توصلهم إلى تكوين النظرية الشاملة^(٥).

إن تحديد إطار عام للمشكلات الاجتماعية لا زال مشكلة بحد ذاته، وهذا ما أكدته بعض الكتابات الحديثة في علم المشكلات الاجتماعية، من أن تحديد مفهوم المشكلات الاجتماعية بحد

(١) التفكك الاجتماعي: حالة يوجد فيها المجتمع أو الجماعة، تتميز بتصادم بعض المشكلات الاجتماعية كالجريمة، والإدمان. انظر: حليبي، علي عبد الرزاق. السيد، السيد عبد العاطي. بيومي، محمد أحمد. البديري، محمد علي محمد، علم الاجتماع والمشكلات الاجتماعية، د. ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٣م، ص ١٠.

(٢) انظر: عمر، معن خليل، علم المشكلات الاجتماعية، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين، ١٩٩٨م، ص ١١، بتصرف.

(٣) انظر: حليبي وآخرون، علم الاجتماع والمشكلات الاجتماعية، ص ١٠.

(٤) انظر: عمر، علم المشكلات الاجتماعية، ص ١٧، بتصرف.

(٥) انظر: الجوهري، محمد محمود. السمري، عنلي محمود، المشكلات الاجتماعية، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠١١م، ص ١٣-١٤، بتصرف.

ذاتها مشكلة معقدة، ولا يكفي الإحساس بها بل لا بدّ من الوعي^(١).

وتتعرض المجتمعات إلى نوعين من المشكلات: طبيعية، واجتماعية، وتحدث المشكلات الطبيعية بفعل عوامل الطبيعة، كالزلازل والفيضانات والرياح والبراكين، وهذه مشكلات لا يتسبب فيها الفرد، ولا يستطيع السيطرة على أسبابها، أما المشكلة الاجتماعية فللفرد علاقة بظهورها، ولذلك يسعى أفراد المجتمع للقضاء عليها^(٢).

ومن التعريفات الاصطلاحية لمفهوم المشكلة الاجتماعية:

- عُرِفَت المشكلة الاجتماعية بأنها: موقف يتطلب معالجة إصلاحية، وينجم عن ظروف المجتمع، أو يتحتم معه تجميع الوسائل الاجتماعية لمواجهته ولتحسينه^(٣).
- وعُرِفَت بأنها: "المشكلة التي تنشأ نتيجة وجود تناقض كبير بين ما هو كائن، وبين ما يعتقد الناس أنه يجب أن يكون، أي بين الأوضاع القائمة والقيم والمعايير الاجتماعية".
- والمشكلة الاجتماعية: "هي الوضع الذي يتفق عدد معين من الناس على كونه مشكلة"^(٤).
- وتُعرف بأنها: "طريقة السلوك التي ينظر إليها النظام الاجتماعي، علماً أنها تُمثل تعدياً على أحد أو بعض المعايير والقيم الاجتماعية المتعارف عليه"^(٥).
- وعرّف بعضهم المشكلة الاجتماعية بأنها: الحالة الاجتماعية التي ستعكس انتهاكاً لقيم الأفراد أو تعاكس أحكامهم عليها شاعرين بها، فيحكمون عليها بأنها تمثل مشكلة لهم وتحتاج إلى حل^(٦).

(١) انظر: عمر، علم المشكلات الاجتماعية، ص ٨٠، بتصرف.

(٢) انظر: التير، المشكلات الاجتماعية تحديد الإطار العام، ص ١٣-١٤، بتصرف.

(٣) انظر: الجولاني، فادية عمر، تشخيص وعلاج المشكلات الاجتماعية والنفسية، د.ط، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ٢٠٠٣م، ص ١٨، بتصرف.

(٤) الدباغ، المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية، ص ١٩٨.

(٥) قنوص، صبحي محمد، دراسات في علم الاجتماع، ط ١، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٢٧٢.

(٦) انظر: عمر، علم المشكلات الاجتماعية، ص ٨٠-٨٤، بتصرف.

• كما عُرِّفت بأنها: "الانحراف عن معايير المجتمع وقيمه، فالمجتمع وحده هو الذي يُحدد المشكلة التي توجد، حينما يكون هناك تناقض بين مُثل المجتمع وواقعه، والفجوة بينها هي المسؤولة عن حدوث المشكلات الاجتماعية"^(١).

• وعرفها التير: "حالة أو ظاهرة يراها غالبية الأفراد، بما في ذلك ذوو النفوذ الاجتماعي في مجتمع وفي زمن معينين انحرافاً عن قيم اجتماعية يحترمها ويخضع لها أفراد المجتمع، وتتحكم في جوانب من أنماط السلوك العام"^(٢).

وقد حدّدت بعض الكتابات الحديثة أركان المشكلات الاجتماعية وأبرز عناصرها، ومن ذلك:

١. الضرر المادي والمعنوي لقطاع كبير من الناس، فقد يقع الضرر على حياة الإنسان، أو على دينه، أو على ماله وعرضه وممتلكاته^(٣).

٢. تحديدها بموقف أو حالة أو سلوك.

٣. ظهور الفعل وإثارته لانتباه الأفراد.

٤. الإشارة إلى تهديدها للقيم والمعايير في المجتمع^(٤).

٥. أن تكون واقعية فعلاً في حياة الناس وليس من نسيج الخيال^(٥).

٦. الشعور بالمشكلة وإدراك اقتضاء حلها جماعياً: ففهم المشكلة ينقلها من الجانب الموضوعي،

إلى الجانب الذاتي.

(١) جبارة، عطية جبارة. علي، السيد عوض، المشكلات الاجتماعية، ط١، دار الوفاء، الاسكندرية، ٢٠٠٣م، ص٧.

(٢) التير، المشكلات الاجتماعية تحديد الإطار العام، ص١٥.

(٣) انظر: العموش، أحمد. العليمات، حمود، المشكلات الاجتماعية، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، القاهرة، مصر، د.ط، ٢٠٠٨، ص٧-١١، بتصرف.

(٤) انظر: الجوهري، المشكلات الاجتماعية، ص٢١-٢٣، بتصرف.

(٥) انظر: التير، المشكلات الاجتماعية تحديد الإطار العام، ص١٦، بتصرف.

ونظراً لذلك فالحاجة الملحة تُحتم أن يكون لدى دارسي المشكلات الاجتماعية خلفية إسلامية، تساعدهم على القيام بأبحاثهم الاجتماعية، وتأصيل مدرسة اجتماعية مستقلة، أساسها العقيدة الإسلامية، وتتسلح بالمهارات الأساسية من علوم اللغة وأصول الفقه ومصطلح الحديث، ويكون هدفها دراسة المشكلات التي لم تتجس النظريات الغربية في حلها نظراً لأسباب قيمية وأيدلوجية^(١).

ثانياً: مفهوم الإمام النورسي للمشكلات الاجتماعية وعناصرها

لم يكن الإمام النورسي مفهوماً محدداً للمشكلات الاجتماعية، ولكنه اعتنى بها عناية مقصودة، إذ انصب اهتمامه على تعريف الناس بمشكلاتهم في عصره، ومحاولة معالجتها بعدة طرق ووسائل مبنوثة في كلياته، بهدف مد يد العون للمجتمع بمختلف شرائحه ومؤسساته.

وإذا أمعنا النظر في كليات رسائل النور نجد أنها عُنيت بالمشكلات الاجتماعية فهماً وتحليلاً وتحديدًا للأسباب والدوافع والإجراءات المناسبة للمعالجة، لذا يُمكنني القول بأن المشكلة الاجتماعية في نظر الإمام النورسي: هي كل حالة أو ظاهرة تتناقض مع قيم الإسلام ومثله العليا الثابتة، وفيه مخالفة للسنن الاجتماعية، مما يؤثر على المجتمع تأثيراً سلبياً، لذا تتطلب المشكلة الاجتماعية حلاً جذرياً من جميع أفراد المجتمع كل حسب قدراته وإمكاناته.

والدلائل المكوّنة لهذا التعريف كثيرة في رسائل النور، يُمكن إثباتها من خلال عدة أمور هي:
الدليل الأول: إن المطلع على كليات النورسي يلاحظ وجود العناصر الواجب توافرها في مفهوم المشكلات الاجتماعية، وهي:

١. بين النورسي تأثير المشكلة الاجتماعية في حياة المجتمع ومدى خطورتها، إذ أشار إلى الانعكاسات السلبية للمشكلة، وبذلك حقق أول شرط لاعتبارها مشكلة.

(١) انظر: الجندي، أنور، الفكر الغربي دراسة نقدية، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٩٨٧م، ص٢٣٨، بتصريف.

٢. نظر التُّوزسي إلى جذور المشكلة الاجتماعية، والظروف التي أدت إلى وقوعها، مما أحدث صدعاً في البناء الاجتماعي، وبذلك كوّن صورة في ذهن القارئ بأن أسبابها ودوافعها واقعية من فعل الإنسان والتي سببت له معاناة.

٣. أشار التُّوزسي أيضاً إلى أن للمشكلة حلوّاً اجتماعية، فكوّن منظومة من الحلول التي تمنع وقوعها.

٤. خاطب الإمام التُّوزسي جميع فئات المجتمع للقيام بواجب معالجتها، ابتداءً من النفس الإنسانية، والأفراد، وأنظمة الحكم، والمؤسسات، والفرق، فالجميع معنيّ بالمعالجة وتقديم الحلول.

وقد أكدت هذه الأركان الكتابات الحديثة في علم المشكلات الاجتماعية، بعنوان: "الشروط التي يجب توافرها لتحديد المشكلة الاجتماعية"^(١).

الدليل الثاني: أضاف الإمام إلى تلك العناصر وجود معيار ثابت، يُحكم من خلاله على وجود مشكلة اجتماعية في سلوك فردي أو جماعي، وكذلك يحكم من خلاله على صلاحية الحلّ المُقدم للمشكلة، ألا وهو معيار القيم الإسلامية المنطلقة من الكتاب والسنة النبوية، في ظلّ استخدام غالبية الكتابات الحديثة في علم المشكلات الاجتماعية كلمات غامضة، فاستخدموا كلمة قيم المجتمع وأعرافه، ولم يحدّدوا ما هي القيم الحاكمة أو ما هو مصدرها، وكيف تُعرّف القيم الإيجابية من السلبية، بل زادوا الأمر تعقيداً عندما تحدّثوا عن تبدّل القيم بتبدل الأزمان والأمكنة، فأقروا بذلك بنسبية القيم.

وهذا راجع إلى الدعوات التي حملت لواءها الفلسفة المادية، وقد قصدت من وراء ذلك

تدمير القيم الإنسانية، وإحلال مفهوم التطور المطلق والحرية غير المحدودة، نظراً إلى تطور

(١) راجع: الجوهري، المشكلات الاجتماعية، ص ١٧-٢٠.

المجتمعات الاقتصادية والاجتماعية التي من شأنها أن تُقيم أخلاقاً جديدة^(١).

الدليل الثالث: أكد الإمام التُّوزمي على تعلق المشكلة بالأحكام الشرعية، فلا وجود لحكم الإنسان

على وجودها وعدمه، بعكس ما بيّنته نظرة علم المشكلات الاجتماعية من تصوير أفراد المجتمع

بالفئة الحاكمة على وجود المشكلات الاجتماعية؛ فهم من يُحسّنون بها ويتأثرون ويحكمون عليها

بأنها مقبولة أو غير ذلك! فإذا وجدت هذه الصورة فمن هم؟ ومن أي فئة؟ وهل هناك أوصاف

معينة لهم؟ وهل هم الفئة الغالبة في مجتمع ما أم غير ذلك؟

والخلل الذي أوقع الكثير من علماء الاجتماع في الخلط والأخطاء في علومهم هو المصدر،

حيث جعلوا مصدر علم الاجتماع وأساسه المجتمع، فأفراد المجتمع هم من يُحددون وجود مشكلة

ما، وهم من يُحدّدون القيم الحاكمة، وهذا بسبب اتّباعهم لما كتبه الغرب حرفياً دون تفكير أو وعي،

في ظل العلاقة العدائية التي تجمع الدين والعلم، مما أدى إلى الانعكاسات الآتية:

▪ التغييب الديني وتغييب مصدر القيم من تعريفات المفهوم الاجتماعي للمشكلات.

▪ غياب الصبغة التربوية من غالبية كتاباتهم، فلم تُشدد التعريفات على ضرورة الإصلاح وحاجة

الأفراد له وواجبهم كذلك.

كما قررت الكتابات الحديثة في علم المشكلات الاجتماعية أن المشكلة الاجتماعية لا تنشأ

فجأة، بل تمرّ عبر مراحل، هي^(٢):

١. إدراك فرد أو جماعة لظاهرة اجتماعية تُمثل خطراً على حالة التوازن في البناء المجتمعي.

٢. انتشار الإحساس بها بين عدد كبير من أفراد المجتمع.

٣. اهتمام مؤسسة رسمية أو غير رسمية بها بعد تنبيه فرد أو مجموعة أفراد بوجودها.

(١) انظر: الجندي، أنور، مشكلات العصر في ضوء الإسلام، د.ط، د.م، ١٩٧٢م، ص ٣٣-٣٤، بتصرف.

(٢) انظر: التير، المشكلات الاجتماعية تحجيد الإطار العام، ص ١٧-١٨، بتصرف.

٤. ضعف حماس الفرد أو الجماعة الذين نبّهوا إليها بدايةً.

٥. تطور اهتمام أفراد الهيئة أو المؤسسة التي أوكل لها مهمة معالجة المشكلة الاجتماعية.

فيلاحظ أن الفرد عندهم يُحسّ بالمشكلة الاجتماعية ويعيها، ثم يتناقص ذلك بعد تولّي هيئة

معينة مسؤولية حلّها، وهذا بدوره يُضعف استمرارية وعي الفرد للمشكلة ومتابعتها.

ثالثاً: أنموذج تطبيقي لبيان عناصر المشكلة الاجتماعية في رسائل النور

لتوضيح عناصر المشكلة الاجتماعية عند الإمام التوزسي، لا بدّ من ضرب مثال من رسائل

النور، ومثال ذلك: مشكلة انحراف الشباب^(١).

دخل التوزسي في حوار مع فريق الشباب، فافتتحه بقوله: "جاءني -ذات يوم- فريق من الشباب، يتدفقون نضارةً وذكاءً، طالبين تنبيهات قوية، وإرشادات قويمة تقيهم من شرورٍ تتطايّر من متطلبات الحياة، ومن فتوة الشباب، ومن الأهواء المحيطة بهم"، واستمر الحوار في خمس صفحات متتالية أخصها بالنقاط الآتية:

١. ذكّر الإمام التوزسي الشباب بأن شبابهم ذاهب لا محالة، ولذلك عليهم لزوم الأحكام الشرعية؛ لأن شبابهم سيجرّ عليهم أنواع البلياء والمصائب إن تبعوا شهواتهم، أما إن لزموا الأحكام الشرعية وشكروا الله على نعمه، فإن شبابهم سيدوم لهم بالفوز الدائم في الجنة.
٢. ذكّروهم بالمشكلات الناتجة من انحرافهم، مثل القلق والاضطراب وغير ذلك، فهو في حكم العسل المسموم، وضرب لهم مثلاً لذلك بالإنسان الذي يغرق في الشهوات وقد نزل إلى دركة أقل من الحيوانات.
٣. أضاء لهم نور الأمل وبين "ما إذا أصبح الإيمان حياة للحياة" فستضيء الأزمنة الماضية والحاضرة.
٤. بيّن لهم حقيقة الموت بمثال توضيحي: "عشرة أشخاص تُنصب أمامهم أعواد للمشقة، وبجانبتها دائرة تُورّع فيها جوائز للمحظوظين، فهم بانتظار المشقة أو الجائزة في كل يوم".
٥. أوضح لهم مآل الشباب الذين غرقوا في الشهوات الدنيوية، فهم بسبب تصرفاتهم وطيشهم وإسرافهم إما إلى المستشفيات أو إلى الأمراض النفسية أو إلى المسجون أو إلى أماكن الإهانة والتحقير أو إلى الملاهي والخمارات بسبب ضيقهم من الدنيا والآمها.
٦. دلّهم على الإفادة من الخبرات السابقة وهم "الشيوخ والمرضى"، وقد عدّهم أنهم يمثلون غالبية البشرية، وهم يقولون: "يا أسفى على ما فات"، وختم بقاعدة: "الراضى بالضرر لا يتنظر له".

(١) انظر: التوزسي، الملاحق، ص ١٧٤-١٧٨، بتصرف.

وعند تحليل النصّ وتطبيقه على ما أوردته سابقاً من عناصر توافرت في مفهوم المشكلة

الاجتماعية عند الإمام التُّوزسي يَتَبَيَّن الآتي:

• بيّن الإمام التُّوزسي مدى تأثير مشكلة الانحراف وخطورتها على الشباب من اضطرابات نفسية جراء القلق، وأن مصيرهم المحتوم في المستشفيات والسجون وغيرها.

• مشكلة الانحراف ذات جذور اجتماعية، فبيّن أن أسبابها متعددة منها: الاستغراق في الملذات وعدم الالتزام بالتوجيهات الإلهية والأوامر الشرعية، وعدم الإيمان بالغيب وغير ذلك، فرسم صورة واقعية من حيث الدوافع والأسباب التي بيّنت ظروف الانحراف وسبب وقوعه.

• أشار إلى الحلول المقترحة لمشكلة انحراف الشباب، وهي الوعي والتفكير في الحياة، واستغلال أوقات الفراغ وأوقات الصحة، بالإضافة إلى الالتزام بالأوامر الإلهية، فهذا هو الحلّ الوقائي والحلّ العلاجي لمشكلة الانحراف.

• أكد الإمام التُّوزسي على القيم الإسلامية الثابتة والمعيّار الذي يحكم على وجود مشكلة وهو مخالفة أوامر الله تعالى، باعتبارها قيماً لا تتغير ولا تتبدل وليست نسبية.

• أشار إلى تكامل العوامل المسببة للمشكلة من الناحية النفسية والاجتماعية الخارجية والداخلية، وبذلك يكون المفهوم الشمولي للمشكلة الاجتماعية بأبعادها النفسية والاجتماعية والتربوية قد توافر عند الإمام التُّوزسي.

وتأسيساً على ما سبق فإن مفهوم الإمام التُّوزسي للمشكلات الاجتماعية يتميز بالسمات الآتية:

أ. إضافة البُعد الديني لمفهوم المشكلات، فكل ما يخالف القيم الإسلامية المنطلقة من القرآن الكريم والسنة النبوية من سلوكات أو مواقف تُؤثر على المجتمع هو مشكلة اجتماعية.

ب. التوافق وعدم الاضطراب في مفهوم التُّوزسي للمشكلات الاجتماعية، فسمّة السهولة واليسر عامة في عرضه لها؛ بسبب وحدة المصدر ووحدة اللفظ ووحدة النتائج في كل الأزمان والأمكنة، وعليه

فلا تتبدل المشكلات إلى قيم إيجابية، فالمشكلة الاجتماعية ذات أثر سلبي على المجتمعات دائماً، ولكنها قد تظهر في المجتمع وقد لا تظهر بناءً على الالتزام الديني، وإلى ذلك يُشير النُورسي بقوله:

«لقد وضع الظلم على رأسه قنسوة العدالة، ولبست الخيانة رداء الحمية، وأطلق على الجهاد اسم البغي، وعلى الأسر اسم الحرية، وهكذا تبادلت الأضداد صورها»^(١).

ج. يُلاحظ من كلمات الإمام النُورسي الحرص الشديد على حال من يُعاني من المشكلة الاجتماعية، بعكس الكثير من علماء الاجتماع الذين يتكلمون من برج عاجي، فأحدهم منظرٌ لأفراد لا يعنيه حالهم، فيحاول وصف المشكلة والحديث عنها، وإن استطاع أن يجد لها حلاً فعلياً، وإن لم يستطع يكتفي بوصفها فقط.

وأخيراً بما أن الإمام النُورسي قد حدّد الأركان الأساسية لمفهوم المشكلة الاجتماعية، فقد أظهر تأسياً واضحاً له، لا يتغير ولا يتبدل في جميع رسائله، متفق مع الكتابات الحديثة في علم المشكلات الاجتماعية في بعض العناصر، إلا أنه أضاف البعدين الديني والتربوي اللذين تفرضهما العقيدة الإسلامية.

المطلب الثاني: أنواع المشكلات الاجتماعية عند الإمام النُورسي في ضوء الفكر التربوي المعاصر

عُنيت رسائل النور بالمشكلات الاجتماعية بأنواعها المختلفة، غير أنها لم تُحدّد إطاراً عاماً لأنواع المشكلات، وهذا لا يعني أنها لم تُحدّد أنواعاً معينة من المشكلات، كمشكلة الفقر أو الاستبداد، فقد قسّم الإمام النُورسي هذه المشكلات إلى عدة أنواع، إلا أن الملاحظ من الاستقراء

(١) النُورسي، المكتوبات، ص ٦٠٤

استنتاج تصنيفات من خلال عرض الإمام النُّوزي لعدد من المشكلات الاجتماعية، يمكن إجمالها بالآتي:

التصنيف الأول: أنواع المشكلات من حيث المجال: أشار الإمام النُّوزي إلى أثر البيئة الاجتماعية في عصره على فكر الأفراد وسلوكاتهم، وقد شملت هذه الأزمة جميع مجالات الحياة المختلفة، ومن أمثلة المشكلات التي عني الإمام النُّوزي بها فهماً وتحليلاً ومعالجة:

١. مجال المشكلات النفسية: قَدّمت رسائل النور تصوراً لعدد من المشكلات النفسية كاليأس والقلق والعجب والغرور والأناية وسوء الظن وغيرها من المشكلات التي تعاني منها المجتمعات عبر العصور، ومن أمثلة ذلك قوله:

«وكذا من مرضك وغرورك فبعجبك نظرت إلى الأسلاف من بعد فتصاغروا في عينك، فحرمت محاسن إرشاداتهم، وابتليت بالأوهام المتطيرة من تحت أقدامهم في سلوكهم مع أوهامك، فانظر إليهم من قرب ترهم أعظم كشفوا في أربعين يوماً ما لم تقتدر على كشفه إلا في أربعين سنة»^(١).

٢. مجال المشكلات السياسية: من الطبيعي تصدّي الإمام النُّوزي للمشكلات السياسية، وهو من خاض غمارها في صغره، وانتقدها في مرحلة حياته الثانية، ومن أمثلة هذه المشكلات، مشكلة الفوضى والإرهاب، ومن ذلك قوله:

«ألا فليعلم أهل السياسة علماً قاطعاً رغم أننا لا علاقة لنا بهم: أن العلاج الوحيد لإنقاذ الأمة في هذه البلاد، وفي هذا العصر من الفوضى والإرهاب ومن التردّي المرعب والتدنّي الرهيب هو أسس رسائل النور»^(٢).

٣. مجال المشكلات الاقتصادية: أكد الإمام النُّوزي في رسائله على مشكلة الإسراف فقال:

(١) النُّوزي، المثوي العربي النوري، ص ١٢٧.

(٢) النُّوزي، الملاحق، ص ١٥٩.

«الإسراف منافع للشكر واستخفاف خاسر وخيم تجاه النعمة، بينما الاقتصاد توقيز

مريح إزاء النعمة»^(١).

وينطبق هذا على بقية مجالات الحياة العلمية والتربوية وفي كل الميادين الأسرية والقومية

والعالمية.

التصنيف الثاني: أنواع المشكلات الاجتماعية من حيث متعلقها: يمكن تقسيم المشكلات التي

بيّنتها رسائل النور إلى نوعين رئيسيين هما:

أ. مشكلات اجتماعية متعلقة بالفرد: وهي الأمراض الفكرية والسلوكية التي تنتج عن طريق فشل

الفرد في التعامل الصحيح مع متطلبات الحياة اليومية، مما يؤدي إلى قيامه بسلوك غير مرغوب

فيه شرعاً، وتنعكس آثارها سلباً على حياة الفرد، ثم يمتد أثرها على المجتمع ككل، وتستحق الدراسة

بشكل مستقل بمجرد قيام فرد معين بها، وقد بيّن الإمام التورسي عدداً من هذه المشكلات، منها:

مشكلة الانحراف، ومشكلة اليأس، والقلق، والعجب والغرور، والأنانية وغيرها.

ب. مشكلات اجتماعية متعلقة بالتركيب الاجتماعي: وهي الأمراض الفكرية والسلوكية الناتجة عن

ظاهرة التفكك الاجتماعي، بسبب وجود حالة من الاختلال في تطبيق القيم الإسلامية في المجتمع

ككل، وقد بيّن الإمام التورسي عدداً من هذه المشكلات، منها: مشكلة الفقر، ومشكلة العنصرية،

ومشكلة الظلم والاستبداد، ومشكلة العنف وغيرها^(٢)، وينبغي بعد هذا العرض التنبيه على بعض

القضايا منها:

القضية الأولى: قضية التقسيمات المنهجية لأنواع المشكلات الاجتماعية: في ظلّ الظروف التي

ألّفت فيها رسائل النور، وفي ظلّ طريقة كتابتها كقطع متناثرة، لا نتعجب من عدم وجود تقسيمات

(١) التورسي، اللغات، ص ٢١٢.

(٢) أنبه على أن بعض هذه المشكلات هي موضوع الفصل الثالث من هذه الدراسة كنماذج تطبيقية يظهر فيها

أسلوب الإمام التورسي في معالجتها بالتفصيل، انظر ص ١٤٠.

منهجية لأي قضية فيها، فلا وجود لتقسيمات منهجية لأنواع المشكلات الاجتماعية عند الإمام النورسي، إذ أكد على دراسة المشكلات الاجتماعية بدوافعها ومسبباتها ووسائل معالجتها، إذ إن هدفه هو الوصول إلى مجتمع نقي من الأمراض الاجتماعية، فعمل على عرض أنواع متعددة من المشكلات الاجتماعية في ميادين الحياة ومعالجتها.

في حين تعددت أنواع المشكلات الاجتماعية واختلفت تصنيفاتها، بحسب وجهات نظر الباحثين في علم المشكلات الاجتماعية بحسب الرؤية العامة للمشكلات، فمنهم من صنفها من حيث أبعادها، وبعضهم من حيث سبب نشأتها، ومن هذه التصنيفات:

اتفق عدد من المفكرين الاجتماعيين على تقسيم دراسة المشكلات الاجتماعية إلى نوعين:

النوع الأول: دراسة المشكلات المتعلقة بالتفكك الاجتماعي: ويشير إلى مظاهر الفشل في النسق الاجتماعي الذي يشمل المراكز والأدوار المترابطة، وتتمثل هذه المظاهر في عدم قدرة النسق الاجتماعي على تحقيق الأهداف الفردية والعامة لأعضائه، وإمكانية وجود نسق بديل قادر على أدائها، مثل: العنصرية، والتفكك الأسري، والفقر^(١)، ويرجع فشل التركيب الاجتماعي في توفير متطلبات الحياة المناسبة لبعض الأفراد أو فئات المجتمع إلى سببين:

- التباين في توفير الخدمات؛ فتحصل فئات معينة على النصيب الأكبر وتحرم الفئات الأخرى.
- وجود حالة من اضطراب في القيم بسبب التغيير الاجتماعي السريع، فيختلط الأمر على الأفراد ويصبح الخطأ لبعضهم صواباً والانحراف سلوكاً سويماً^(٢).

النوع الثاني: دراسة السلوك الانحرافي لدى الأفراد والجماعات: ويُشير إلى الفعل الذي ينحرف تماماً عن مجموعة المعايير التي وضعت لمجموعة الأفراد في المراكز الاجتماعية، فالسلوك يمكن

(١) انظر: غيث، محمد عاطف، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٢م، ص ١٨-١٩، بتصريف.

(٢) انظر: التير، المشكلات الاجتماعية تحديد الإطار العام، ص ١٨-٢٠، بتصريف.

تقويمه وفقاً لنماذج الفعل السائدة في المراكز الاجتماعية، مثل: الجريمة، تعاطي المخدرات، التخلف العقلي^(١)، وعلى الرغم من كثرة أنماط السلوك المنحرف وتووعها، إلا أنها تشترك في صفات رئيسة عامة، أهمها: مخالفة النظم وقواعد السلوك السائد بين غالبية أفراد المجتمع، وإثارة غضب الآخرين^(٢).

ومن الباحثين من يقسم المشكلات الاجتماعية إلى أربعة أقسام^(٣):

١. المشكلات التي تنشأ عن الأنظمة المضطربة، مثل: مشكلات التعليم، مشكلات الأسرة، مشكلات نظام الحكم.

٢. المشكلات التي تنشأ عن عدم المساواة، مثل: مشكلات الفقراء، مشكلات الأقلية العرقية.

٣. المشكلات التي تنشأ عن انحراف الأحداث، مثل: الجريمة، المخدرات.

٤. المشكلات التي تنشأ عن العالم المتغير، مثل: مشكلات التصنيع، زيادة السكان، الصراعات العالمية.

القضية الثانية: الوحدة وعدم الفصل بين أنواع المشكلات الاجتماعية: بنى الإمام النورسي فكره عن المشكلات الاجتماعية من الظروف المحيطة الواقعية، أو من خلال المواقف التي صانفته في الحياة، أو من خلال أسئلة الذين يعانون منها، أو بناءً على مقابلة ميدانية؛ لذلك انطلقت معالجاته وإجراءاته من الواقع المعاش؛ ولذلك لم يقصّل الإمام النورسي بين المشكلات، فكل منها يمكن أن يكون سبباً لمشكلة أخرى أو نتيجة لها، وفي ذلك تحفيز لجميع الأفراد حتى يهبوا في وجه جميع أنواع المشكلات المختلفة.

(١) انظر: غيث، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، ص ١٨-١٩، بتصرف.

(٢) انظر: التير، المشكلات الاجتماعية تحديد الإطار العام، ص ١٨، بتصرف.

(٣) انظر: الدباغ، المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية، ص ١٩٩، بتصرف.

القضية الثالثة: قضية تصنيف مستويات المشكلات الاجتماعية: لم يتم التفريق بين مستويات معينة للمشكلات الاجتماعية عند النورسي، ولكن يلمح تأكيداً على مشكلات معينة في رسائله أكثر من غيرها، وذلك بإفراد قسم خاص لها، وهذا يدل على وضعها في مستويات حسب خطورتها على أفراد المجتمع، ومثال ذلك: إفراد الإمام النورسي رسالة كاملة من خلال المبحث الثالث من المکتوب السادس والعشرين لمعالجة مشكلة العنصرية والقومية السلبية^(١).

وقد صنفت المشكلات بحسب مستوياتها في علم المشكلات الاجتماعية، ومن ذلك: تصنيف مانز (Manis) للمشكلة الاجتماعية، وهو على النحو الآتي^(٢):

١. مشكلات من الدرجة الأولى: وهي التي تؤثر بصورة قوية في الظروف الاجتماعية المحيطة بها، وذات نتائج متعددة ومؤثرة في المجتمع، ومن أمثلتها: الحرب، التمييز العنصري، الفقر.
٢. مشكلات من الدرجة الثانية: في الظروف والنتائج الضارة التي تنتج بصفة أساسية عن المشكلات الاجتماعية المؤثرة، والتي يتولد عنها بدورها مشكلات إضافية أخرى.
٣. مشكلات الدرجة الثالثة: فهي تلك الظروف الضارة، التي تعد بصورة مباشرة أو غير مباشرة نتاجاً للمشكلات الاجتماعية الأساسية من الدرجة الأولى.

وهناك تصنيفات أخرى قُسمت المشكلات الاجتماعية إلى مستويات أربعة، قد تتداخل وقد يكون بينها تأثيرات متبادلة، وهي^(٣):

- أ. المستوى الفردي والشخصي: وهي المشكلات التي تصيب أحاد الأفراد في المجتمع، ويمثل هذا المستوى الانحراف، وتعاطي المخدرات، والمشكلات النفسية والصحية.

(١) راجع: النورسي، المکتوبات، ص ٤١٣ - ٤٢٠.

(٢) انظر: الجوهرى، السمرى، المشكلات الاجتماعية، ص ٢١.

(٣) انظر: العموش، المشكلات الاجتماعية، ص ١٧-١٩، بتصرف.

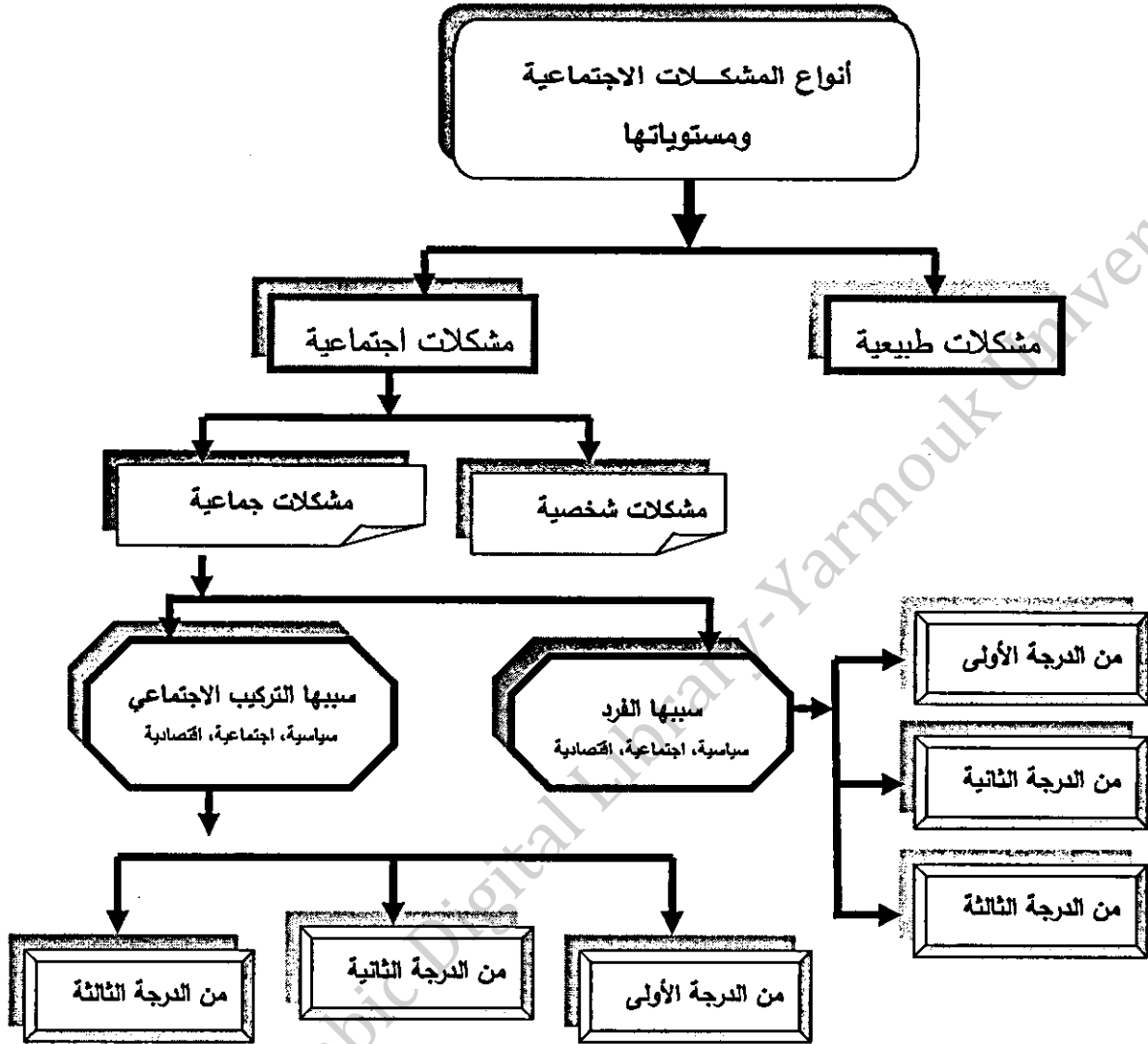
ب. مستوى الفئات الاجتماعية: هي المشكلات التي يتعرض لها الأفراد نتيجة لانتمائهم لفئة اجتماعية ما، بعضها موروث كالجنس واللون، وبعضها مكتسب كالمهن، مثل: مشكلات الطفولة.

ج. مستوى المؤسسات والمجتمعات: وهذا المستوى أوسع من سابقه ومن أمثلته: الترهل الإداري، والفساد، والاستبداد، والمشكلات الاقتصادية، ومشكلات الأسرة، ومشكلات التعليم.

د. المستوى الإقليمي والعالمي: ويقصد بها المشكلات التي تصيب الأفراد والمجتمعات الإنسانية، ومنها: الترف، وأخطار الحروب، والنزاعات، والعنصرية، والاستغلال، ومشكلات المياه والسكان.

القضية الرابعة: قضية التراكم المعرفي لعلم المشكلات الاجتماعية: ختاماً ينبغي التأكيد على أنه مهما اختلفت الأنواع وتداخلت، فالمهم هو مواجهة المشكلات والتصدي لها، بشرط الانضباط بمعايير محددة لا تتغير ولا تتبدل، حتى يتم تشكيل التراكم المعرفي لعلم المشكلات الاجتماعية، كما أن في المقابلة توظيف واحتواء للقدرات والإمكانات الموجودة عند الباحثين من أجل الوصول إلى حل المشكلات الاجتماعية لتكوين حياة إسلامية أكثر تقدماً، ويمكن الجمع بين أنواع المشكلات بشكل عام في مخطط مقترح يُبينها في الشكل الآتي:

الشكل (٣) يُبين أنواع المشكلات الاجتماعية ومستوياتها.



المبحث الثاني

اتجاهات النُّوزسي في تفسير المشكلات الاجتماعية في

ضوء الفكر التربوي المعاصر

يهدف هذا المبحث إلى توضيح اتجاهات الإمام النُّوزسي في تفسير المشكلات الاجتماعية

وأهم اتجاهات المفكرين المعاصرين في علم المشكلات الاجتماعية المعاصر.

وهذا الموضوع من الأهمية بمكان، فعن طريق معرفة دوافع المشكلة وأسبابها، يتوصل الباحث

أو المصلح إلى معالجتها والقضاء عليها، ولتوضيح هذه الأمور قسمتُ المبحثُ إلى مطلبين، هما:

المطلب الأول: اتجاه تفسير المشكلات الاجتماعية عند الإمام النُّوزسي.

المطلب الثاني: اتجاهات علم المشكلات الاجتماعية المعاصر في تفسير المشكلات الاجتماعية.

المطلب الأول: اتجاه تفسير المشكلات الاجتماعية عند الإمام النُّوزسي

تؤكد رسائل النور على ضرورة تفسير المشكلات الاجتماعية، وقد اتَّسم منهج النُّوزسي بوحدة

الاتجاه، ووحدة المدرسة التي يتبناها، ويقول النُّوزسي عن المدرسة التي رَبَّته في مقابلة مع أهل

الضلالة:

«في زمن الغفلة هذا، وفي فترة الانشغال بهوم العيش... والصراع السياسي العاصف الذي يعصف في أرجاء الأرض كافة، دونه الصراع بالسلاح... إن جميع المسائل العظمية التي ينهمك بها أهل الدنيا إنما تدور ضمن الدستور الظالم، دستور الجدل والصراع وفي نطاق الحياة الفاتية، بأبشع صورها وأظلمها حتى يُضْحَى في سبيلها بالمقدسات الدينية حصولاً على حطام الدنيا... إن أهل الضلالة يكافحون في سبيل حياة دنيوية مؤقتة، أما نحن فنجاهد الموت بنور القرآن، لذا فإن أعظم مسألة في نضالهم -لأنها مؤقتة- لا تعادل أصغر مسألة من مسائلتنا، لأنها متوجهة إلى البقاء والخلود»^(١).

وانطلاقاً من منهج القرآن الكريم، بلور الإمام تصوره وتفسيره للمشكلات الاجتماعية في

رسائله، وقد أكد الإمام ذلك بقوله:

«أما المنهج القرآني المعجز، ذلك المنهج الأقوم فقد أوضح الحقائق الإيمانية والمعرفة الإلهية والمقدسة إيضاحاً أرفع بكثير وأسمى بكثير، وأقوى بكثير مما أوضحه أولئك العلماء والأولياء، ورسائل النور إنما تفسر هذا المنهج القرآني الأقوم الجامع الرفيع، وبه تتصدى للتيارات الفاسدة المضنة المدمرة»^(٢).

ومن خلال استقراء رسائل النور وجدنا أن الإمام النُّوزسي يردّ المشكلات الاجتماعية إلى

الأسباب الآتية:

(١) النُّوزسي، الملاحق، ص ٢٤٦-٢٤٧، باختصار.

(٢) النُّوزسي، الملاحق، ص ٢٧٨-٢٧٩.

١. تفسير المشكلات الاجتماعية بفعل العوامل الداخلية: وأقصد بها الأسباب التي مردّها قصور النفس البشرية، والتي تُسبب الانحراف عن السواء وعن القيم الثابتة، وقد أشار الإمام النُّوزسي إليها من خلال حديثه عن النفس البشرية وأمراضها، ومن هذه الأمراض:

• انقطاع الصلة مع الله، بالكفر والضلال، وبهذا الانقطاع سنلغى أوامر الله وتوجيهاته التي تضبط الأنماط السلوكية المنحرفة، وبذلك تنشأ المشكلات الاجتماعية، ويؤكد الإمام النُّوزسي على:

«وقد أثبتت رسائل النور إثباتاً قاطعاً: أن الكفر والضلالة تحقير عظيم للكائنات وظلم شنيع للموجودات، ووسيلة لرفع الرحمة الإلهية ونزول المصائب والبلايا»^(١).

• ضعف الإيمان بالله تعالى: فإذا تحكمت في الإنسان نفسه الأمانة بالسوء، فإنها ستجرّ عليه أنواع المشكلات بسبب انحرافه السلوكي، وفي ذلك يقول النُّوزسي:

«وأما الإنسان فهو كالمك في كلية العبادة وشمول النظارة وإحاطة المعرفة ودلالية الربوبية بل أجمع منه، إلا أن له نفساً شريرة مشتبهة، فله ترفّيات وتدنيّات»^(٢).

• الانحراف بفعل الميول والرغبات الإنسانية: التي تجعل سلوكيات الأفراد تتحرف فيدخل في بداية المشكلات الاجتماعية التي لا نهاية لها، وفي ذلك يقول:

«لَمَّا كانت الميول متفاوتة فإن تدخل الشعور بالانحياز في كل شيء، ونشوء التبديل بالاختلافات، جعل الحقيقة تهرب وتختفي، ثم إن من سيئات استبداد الأحاسيس: تأسيس المسالك والمذاهب غالباً على التعصب.. وتضليل الآخرين، أو على السفسطة.. بينما هذه الثلاثة مذمومة في نظر الشرع، منافية للأخوة الإسلامية، مفرقة للانتساب الجنسي الإنساني، مخالفة للتعاون الفطري لدرجة أن أحد هؤلاء يضطر في النهاية إلى تبديل مذهبه ومسلكه دفعة، مصداقاً لإجماع الناس وتواترهم تاركاً التعصب والسفسطة، بينما إذا ما عمل ابتداءً بالحق بدلاً من التعصب، وبالبهران بدلاً من السفسطة، وبالتوفيق والتطبيق بدلاً من تضليل

(١) النُّوزسي، الملاحق، ص ١٢٤.

(٢) النُّوزسي، المثنوي العربي النوري، ص ٤٧٩.

الآخرين، وطبق الشورى، فلا يمكن أن يُبدل مذهبه ومسلكه الحق ولو بجزء منهما حتى لو اتلفت الدنيا عليه»^(١)،

• انهيار القيم وفساد الأخلاق: بحيث تتحكم الهوى والشهوات في سلوكات الأفراد، وما ينشأ عنها

من صفات الأنانية والغرور؛ فتنشأ مشكلات العصر الاجتماعية، ويُنَبِّه التُّوزسي على ذلك بقوله:

«إن أعظم إحسان أعده في هذا الزمان وأجل وظيفة، هو إنقاذ الإنسان لإيمانه والسعي لإمداد إيمان الآخرين بالقوة، فاحذر يا أخي من الأنانية والغرور، وتجنّب من كل ما يؤدي إليهما، بل ينبغي لأهل الحقيقة في هذا الزمان نكران الذات، ونبذ الغرور والأنانية، وهذا هو الإلزام لهم، لأن أعظم خطر يتأتى من الأنانية والسُّمعة»^(٢).

ويُلاحظ أن الإمام التُّوزسي أشار من خلال أقواله السابقة إلى المدخل النفسي للمشكلات

الاجتماعية، والتي تُسبب مشكلات نفسية، سرعان ما تنتشر لتؤدي إلى مشكلات ذات مستويات

أخطر على المجتمع ككل.

بل إن بعض أقواله أشارت إلى مدخل آخر لتفسير المشكلات الاجتماعية وهو المدخل الفكري

الذي يهز الأخلاق والقيم عند الإنسان، والذي يؤدي إلى مشكلة العنصرية والفرقة بين أعضاء

المجتمع الواحد وإلى ذلك يقول:

«إن تباين الأفكار هذا قد هزّ أساس الأخلاق الإسلامية، وفرّق اتحاد الأمة وأخرنا عن ركب الحضارة، لأن أحدهم يكفر الآخر ويضله، بينما الآخر يعدّ الأول جاهلاً لا يوثق به، وهكذا ساد الإفراط والتفريط، وعلاج هذا الداء هو الصلح النابع من توحيد الأفكار، وربط العلاقات ووصلها حتى يوصل إلى نقطة الاعتدال، فيتصافح الجميع، ويتفقوا جميعاً لئلا يخلّوا بنظام الرقي»^(٣).

(١) التُّوزسي، صيقل الإسلام، ص ٥٠-٥١.

(٢) التُّوزسي، الملاحق، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٣) التُّوزسي، صيقل الإسلام، ص ٤٧٣.

وبذلك استطاع الإمام النُوزسي أن يُوفق بين المدخل النفسي والمدخل الفكري في تفسير المشكلة الاجتماعية؛ لأنه يهدف لإسعاد الإنسان والرفق بشخصيته وإخراجه من ظلمات نفسه وأهوائها.

٢. تفسير المشكلات الاجتماعية التي تُسببها العوامل الخارجية: أولى الإمام النُوزسي نفس الإنسان وميوله وطريقة تفكيره وأثرها في إحداث المشكلات الاجتماعية عناية كبيرة في رسائله، لأنها مُبتدأ لها، وفي ذلك إظهار لإشارات تربوية ومبادئ مهمة، منها: تذكير الإنسان بمسؤوليته في الحياة، وضرورة تحديد الهدف، ومبدأ الجدّ والعمل والتغيير نحو الأفضل، وفضل المراقبة الذاتية والمحاسبة، ولكنه لا يُحمّل الذات الإنسانية الأسباب جميعها، فهناك عوامل خارجية عنها تسبب المشكلات، وهي العوامل الخارجية.

وأقصد بالعوامل الخارجية: مجموعة الظروف المباشرة أو غير المباشرة التي يُقصد منها إحداث مشكلات اجتماعية في كيان دول معينة بغية إخلال النظام فيها ليسهل السيطرة عليها، ومن هذه العوامل:

■ الأنظمة الحاكمة: والتي تعمل على إفساد الأخلاق ونشر الفساد والظلم، بهدف التخريب وإحكام السيطرة، والذي يؤدي إلى ظهور مشكلات اجتماعية جديدة كرد فعل على ذلك الظلم والتعسف، وفي ذلك يقول الإمام النُوزسي:

«إن معاول الهدم ومطارق التخريب تعمل منذ عشرين عاماً مقترفة أشد أنواع الظلم وأقسى ضروب التعسف لإفساد الأخلاق، حتى ضاعت الثقة والوفاء إلى درجة لم يعد يوثق بشخص واحد من كل عشرة أشخاص، بل من كل عشرين شخصاً»^(١).

■ التغيير الاجتماعي السريع: الذي يؤدي إلى تناقض القيم الجديدة مع قيم المجتمع الإسلامي، وهذا لا يعني أن الإمام النُوزسي يُقرّ بتغير القيم، فثباتها من المسلمات الإسلامية، إلا أنه يُنبّه على

(١) النُوزسي، الملاحق، ص ١٣٦.

أثر استيراد القيم الغربية في البلاد الإسلامية، ومن أمثلة ذلك تنبيه النُوزي للمفهوم الحقيقي للحرية بقوله:

«يا أبناء الوطن لا تفسروا الحرية تفسيراً سيئاً كي لا تفلت من أيديكم ... ذلك لأن الحرية إنما تزدهر بمراعاة الأحكام الشرعية وآدابها والتخلق بالأخلاق الفاضلة»^(١).

■ النظم العالمية المستعمرة: وهذه النظم الاستعمارية تأتي إما بطريق مباشر كالاستعمار السياسي أو بطريق غير مباشر كالغزو الثقافي، وجميعها تُمزق وحدة الأمة، وتنتشر الكثير من الأمراض الفكرية في جسم الأمة الإسلامية، ويُشير الإمام النُوزي إلى مشكلة العنصرية التي بنتها الأنظمة المستعمرة، فيقول:

«بيد أن العنصرية التي نعدها داء السيلان الغربي، قد سرت فينا سريان الوباء من الغرب، ولقحت أوروبا فينا كي تستطيع أن تمزق العالم الإسلامي، هذا الداء الويل يورث حالة روحية جاذبة، حتى إن كل أمة تحمل رغبة وشوقاً بشكل كلي أو جزئي نحوها على الرغم من أضرارها الوخيمة ومهالكها المدمرة، فلو أحرز هذا الحزب بسبب استحواذ المدنية الغربية وضعف التربية الإسلامية نصراً، فإن العناصر غير التركية التي تمثل سبعين بالمائة من الأمة ستضطر إلى اتخاذ جبهة مضادة للأتراك الحقيقيين -الذين لا يتجاوزون الثلاثين بالمائة- معارضة لسيادة الإسلام»^(٢).

ويجمع الإمام النُوزي في قوله بين سببين للمشكلات الاجتماعية في عصره وهما: استحواذ المدنية الغربية، وضعف التربية الإسلامية، وبهذا يؤكد على عدم الفصل بين أسباب المشكلات الاجتماعية، فالإمام النُوزي حريص على تفسير أسبابها، ولكنه أحرص على معالجتها.

ومن خلال ما سبق نخلص إلى النتائج الآتية:

أولاً: ينطلق تفسير الإمام النُوزي للمشكلات الاجتماعية من فكر المدرسة القرآنية التي تحت على الالتزام بأوامر الله، وتقوية الإيمان والصلة بالله في النفوس البشرية.

(١) النُوزي، صيقل الإسلام، ص ٤٦٧، باختصار.

(٢) النُوزي، الملاحق، ص ٣٩٢.

ثانياً: اتجهت أنظار علماء الاجتماع إلى تفسيرات، ارتبط معظمها بظروف الحرب العالمية الثانية والتغيرات التي سادت العالم وقتئذ، وقد غفلوا عن أمر مهم وهو أن تفسيراتهم تأثرت بفترة زمنية محددة، ولا تصلح لكل العقود التي تلتها، فقد حدّد علماء الاجتماع الغربيون بعض العمليات التي تعدّ مبررات أساسية لكل انحراف في الحياة الاجتماعية.

ثالثاً: غالبية ما فعله علماء الاجتماع بعد ظهور المدارس الفكرية: إما الأخذ بها وتطبيقها، وإما توجيه الانتقادات لها، متناسين دورهم الأساسي وهو ابتكار ما يناسب بيئاتهم وظروف حياتهم.

وقد تركّز اهتمام الباحثين العرب على نقل اتجاهات مدارس العلوم الاجتماعية نقلاً حرفياً في قوالب مؤلفات مدرسية بعيدة عن واقعهم، وفي نفس الوقت لا يوجد تيار ثقافي ملتزم يأخذ في تحليله قيم المجتمع العربي الإسلامي^(١)، فيؤخذ على علماء الاجتماع المسلمين ومؤلفاتهم، تكرار هذه الاتجاهات دون إيراد البديل الذي يناسب عقيدتهم وطبيعة سلوكياتهم ومشكلاتهم، حتى لو وجهوا إليها بعض الانتقادات فهذا لا يكفي؛ لأن الباحث يحتاج تفسيرات علمية صائبة للمشكلات الاجتماعية بديلاً عن التفسيرات الغربية.

رابعاً: لو أمعنا النظر في الاتجاهات السابقة عند الكتابات الحديثة في علم المشكلات الاجتماعية، نجدتها متأثرة بالنظريات النفسية التي رُفضت عند الغرب أنفسهم قبل عدّة عقود كنظرية الصراع وغيرها، ومثال ذلك: ما حددته الكتابات الحديثة من منطلقات لعلم المشكلات الاجتماعية، وهي:
أ. العليّة الاجتماعية^(٢).

(١) انظر: الجندي، الفكر الغربي دراسة نقدية، ص ٢٣٦، بتصرف.

(٢) وهي الخروج عما هو مألوف في الوضعية السوية والسائدة في التنظيم الاجتماعي، وتقوم على تشبيه المجتمع ومشكلاته بأعضاء جسم الإنسان المترابطة عضوياً ووظيفياً، فدرسوا ارتباط المؤسسات المؤثرة على الفرد فجدوه من صفاته الإنسانية، ولا سبيل لعلاجها إلا من خلال تعليمه مبادئ اجتماعية جديدة من أجل رفع معنوياته، انظر: عمر، علم المشكلات الاجتماعية، ص ٥٧-٥٨، بتصرف.

ب. الوهن التنظيمي^(١).

ج. الصراع القيمي^(٢).

د. السلوك المنحرف^(٣).

وكل ما ذكر سابقاً اعتمد في إنشائه على النظريات النفسية التي أثبتت نقصها، وبذلك عُدَّت إخفاقات الحضارة الغربية في الميدان الاجتماعي والأخلاقي هي الأكثر بروزاً؛ نظراً لكثرة المشكلات التي سادت المجتمع في كل الميادين^(٤)، وهذا الأمر يوجب النظر الجاد لبناء الأصل الاجتماعي الذي ينطلق من المصادر الأصيلة، الأصل القادر على إيجاد العلاج الدائم للمشكلات الاجتماعية والذي يصلح لكل زمان ومكان.

ومن خلال قراءة كليات رسائل النور قراءة اجتماعية أرى أن تجربة النورسي في دراسة المشكلات الاجتماعية قد مرّت بثلاث مراحل، هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الانتقال من الغياب إلى الحسّ الاجتماعي، وفي هذه المرحلة تمركز الإصلاح حول الانتقال من الغياب في القضايا الذاتية، ومن العصبية الفردية والأسرية إلى الحسّ بالحاجات العليا المشتركة والتحديات المصيرية في المجتمع، وذلك في مرحلة سعيد القديم.

(١) هو فشل الأفراد في تحقيق التوقعات التي يحددها المجتمع حتى يُشكل ذلك صراعاً ثقافياً، وهو مصطلح بديل للعلّة الاجتماعية دون تعديل، وسببه التغيير الاجتماعي الذي لا ينسجم مع الواقع، مما يؤثر سلباً عن طريق ممارسة ضغوط اجتماعية على الأفراد، انظر: عمر، علم المشكلات الاجتماعية، ص ٥٩، بتصرف.

(٢) أي تعارض معايير قيم المجتمع بسبب تصادمها، مما يؤدي إلى التنافس والصراع المادي، ولا سبيل للعلاج إلا عن طريق تبادل المنافع أو تكافؤ نفوذ الأطراف المتصارعة، انظر: عمر، علم المشكلات الاجتماعية، ص ٦٠، بتصرف.

(٣) وهي خروج الفرد عن معايير المجتمع واكتساب طرق منحرفة، وقد نشأ هذا المنطلق عن طريق تأثر الباحثين بالمنهج التجريبي، ويقوم العلاج على إعادة تنشئة الفرد من خلال إزالة ما تمّ اكتسابه من سلوكيات منحرفة، وغرس مكانها مقومات خلقية تقومها، انظر: عمر، علم المشكلات الاجتماعية، ص ٦٠، بتصرف.

(٤) انظر: بكار، من أجل انطلاقة حضارية شاملة، ص ٤٩، بتصرف.

المرحلة الثانية: مرحلة الانتقال من الحس إلى الوعي الاجتماعي، وفي هذه مرحلة لا بدّ من توافر عناصر أساسية لإنجاحها، مثل: المعرفة، والنفوذ الاجتماعي، والإمكانات، وغيرها، وقد توافرت هذه العناصر بعد انتقاله إلى شخصية سعيد الجديد.

المرحلة الثالثة: مرحلة الانتقال من الوعي الاجتماعي إلى التطبيق، حيث أضاف النورسي بعداً تربوياً جديداً إلى مفهوم المشكلات الاجتماعية، فينظر إليها من زاوية المرئي الحريص على مصلحة الأفراد والجماعات، مستخدماً الأساليب المناسبة لحال الذين يعانون من المشكلات الاجتماعية.

المطلب الثاني: اتجاهات علم المشكلات الاجتماعية المعاصر في تفسير

المشكلات الاجتماعية

يُعدّ الوصول إلى تفسير علمي للمشكلات الاجتماعية الخطوة الأولى لمعالجتها، وقد ذكرت الكتابات الحديثة أسباب اختلاف علماء الاجتماع في تفسير المشكلات الاجتماعية، وأنها تعود إلى سببين أساسيين^(١)، هما:

١. اختلاف الباحثين في تعريف المشكلة الاجتماعية وتحديدّها وتفسيرها تبعاً للمدرسة الفكرية التي يتبناها المفسّر، فهي تُملّي عليه اختيار أنموذج معين، يظهر في ضوءه منهج تحليل المشكلة الاجتماعية.

٢. ارتباط علم الاجتماع بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، الأمر الذي يغيّر النظريات والمفاهيم فيه، والذي يستدعي معرفة الجذور الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للعلماء الذين صاغوا هذه النظريات.

(١) انظر: الجوهري، المشكلات الاجتماعية، ص ٥٣-٥٥، بتصرف.

ونتيجة لتلك العوامل اختلف الباحثون في دراسة المشكلات الاجتماعية، وتعددت اتجاهات تفسيرها بناءً على آراء المدارس الفكرية التي قادت تلك الاتجاهات، ومن خلال الاطلاع على كثير من الكتابات الحديثة في علم المشكلات الاجتماعية، وجدتُ عدة اتجاهات متباينة، منها:

١. الاتجاه الوظيفي: ويقود هذا الاتجاه المدرسة الوظيفية البنائية، والتي سيطرت على علم الاجتماع فيما بعد الحرب العالمية الثانية، وتذهب هذه المدرسة إلى أن المجتمع يتكون من مجموعة من الأجزاء المترابطة، وأن كل جزء له وظيفة يؤديها للمحافظة على استمرارية المجتمع. كما ترى أن للمشكلات الاجتماعية عدة أسباب، هي^(١):

أ. تعرّض المجتمع لحالة من التغيير السريع والمفاجئ يجعل المجتمع يفقد توازنه، فلم يُتَح لتطبيقاته الوقت الكافي لتستجيب بصورة ملائمة، فيُصاب المجتمع بالخلل الوظيفي.

ب. فشل الأفراد في تمثّل قيم المجتمع المتفق عليها؛ أي مخالفة الإجماع القيمي.

ج. يمكن أن تنتج المشكلات عن الاحتياجات الوظيفية للمجتمع، عندما تُصاب هذه الاحتياجات بما يسمى بالأداء الوظيفي الزائد عن الحد المطلوب.

وبإرجاع المدرسة الوظيفية أسباب المشكلات إلى الانحراف الفردي، وأحياناً إلى التفتك الاجتماعي، جعلها تبدو كما لو كانت تتجاهل وجود الظلم وعدم العدالة داخل المجتمع، والمشكلات عندهم أمر حتمي، ودور عالم الاجتماع تحديدها وتفسير سبب ظهورها وتحديد نتائجها.

٢. الاتجاه الصراعي^(١): ظهر هذا الاتجاه في فترة الستينيات من القرن الماضي، وهو عقد العنف

(١) نظرية الصراع: من نظريات المجتمع، وتتنظر إلى الظواهر الاجتماعية في الماضي والحاضر والمستقبل على أنها نتيجة للصراع، كما تتنظر إلى العملية الاجتماعية أساساً في ضوء الميل العدواني للإنسان، لا على أساس تعاون الجماعات، وهناك نظريات عديدة في الصراع مثل نظريات هيجل، وكارل ماركس، والداروين الاجتماعيين وغيرهم. انظر: نخبة من أساندة قسم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية لطلاب قسم الاجتماع، ص ٨٣، بتصرف.

والثورة والصراع، فقد استمدت فكرها من آراء ماركس ومايلز (Marx ، Mills) اللذين يؤكدان دور القوة في فهم الحياة الاجتماعية، ويعتمد التحليل الصراعي للمشكلات الاجتماعية عندهم على المسلمات الآتية^(١):

أ. بما أن المجتمع يتكون من جماعات ذات مصالح وقيم متباينة، فنجاح جماعة يعني وجود مشكلة لجماعة أخرى.

ب. إن قدرأ معيناً من الصراع يمكن أن يكون مقيداً للمجتمع؛ لأنه يعدّ دافعاً للتغيرات الاجتماعية الضرورية.

ج. إن أي جهد لحل مشكلة اجتماعية يتضمن محاولات من جانب الجماعات المقهورة لإحداث تغيرات لانتزاع حقوقها من مراكز القوة.

٣. الاتجاه الانحرافي: ينظر هذا الاتجاه إلى المشكلة على أنها نتاج قدر من الانحراف الفردي عن معايير المجتمع، ويقوم بتفسير المشكلات بناءً على المسلمات الآتية^(٢):

أ. التوافق مع معايير المجتمع قائم معظم الوقت، لكن قد ينتهك بعض الأفراد معايير مهمة منها.
ب. ينظر بقية أفراد المجتمع لانتهاك معايير على أنه انتهاك للقيم السائدة، ويعتونه مشكلة اجتماعية.

ج. التركيز على الحدّ من الانحراف أو إعادة تعريف السلوك المنحرف، فسلوك المنحرف يعكس معايير وقيم اجتماعية، ولا يعكس قصوراً أو خللاً فردياً، والمنحرفون هم بشر أسوياء كبقية أفراد المجتمع، كما ترى أن أسباب السلوك المنحرف هي ثلاثة^(٣):

(١) انظر: بيومي، محمد أحمد، المشكلات الاجتماعية دراسات نظرية وتطبيقية، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣م، ص ٣٩-٤١، بتصرف.

(٢) انظر: الجوهري، المشكلات الاجتماعية، ص ٦٤-٦٥، بتصرف.

(٣) انظر: عمر، علم المشكلات الاجتماعية، ص ٦٠، بتصرف.

- الجهل: أي انتهاك من غير عمد.

- الرغبة في تحقيق النجاح بوسيلة غير مشروعة.

- الوصم^(١)، فلا يُعدّ السلوك منحرفاً إلا إذا وصّمه المجتمع بذلك.

٤. اتجاه ما بعد الحداثة^(٢): ويُشير مفهوم ما بعد الحداثة في الخطاب السيوسولوجي إلى التّسببية وعدم اليقين، وتندرج معظم المداخل والاتجاهات الفكرية في تفسير المشكلات الاجتماعية تحت إطار مفهوم الحداثة باستثناء نظريتي الوصم والمنظور البنائي، اللتين تتضمنان سمات أفكار ما بعد الحداثة، ومن أبرز خصائصهما في تفسير المشكلات الاجتماعية^(٣):

أ. إضفاء معاني ذاتية معينة على الظروف الاجتماعية.

ب. التركيز على نسبية التصورات والقيم التي لا يمكن اختزالها إلى مجرد اتفاق بشأن تصور واحد، فلا قيمة لما يقوله شخص واحد لأن أهميته تعود إلى المستمع.

ج. غياب التصورات الجمعية المشتركة عن الظواهر الاجتماعية.

وبعد قراءة ما سبق من اتجاهات في تفسير المشكلة الاجتماعية، نلاحظ ما أشار إليه بكار من وجود منهجين خاطئين في التعامل مع المشكلات، هما^(٤):

(١) نظرية الوصم: تُدرّس هذه النظرية تأثير الوصم على السلوك المنحرف، ولا تُعير أهمية لما يفعله الفرد، بل إلى كيفية استجابة المجتمع للفعل الاجتماعي الذي يعدّه منحرفاً عن قواعده الاجتماعية. انظر: عمر، علم المشكلات الاجتماعية، ص ٦٠، بتصرف.

(٢) مصطلح ما بعد الحداثة: استخدم لوصف التغيرات التي نمت في نهاية الحرب العالمية الثانية، ولا يوجد اتفاق حول تاريخ محدد لبداية الحداثة، ولا حول سماتها، ولكنها تدور حول التغيرات الكاسحة خاصة في مجال الفنون والآداب، وقد تأثرت بالتغيرات التكنولوجية والأيدولوجية في كل المجالات الثقافية والفكرية. انظر: الجوهري، المشكلات الاجتماعية، ص ٨٠-٨١، بتصرف.

(٣) انظر: الجوهري، المشكلات الاجتماعية، ص ٥٨-٨٦، بتصرف.

(٤) انظر: بكار، عبدالكريم، من أجل انطلاقة حضارية شاملة، أسس وأفكار في التراث والفكر والثقافة والاجتماع، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩م، ص ٦٥-٦٦، بتصرف.

- منهج التعامل مع المشكلة وتفسيرها على أنها أحادية التركيب، مستحيلة التجزئة مما يُسبب اليأس من معالجتها وتجاهلها، لاستحالة فهم المشكلة دون تجزئتها، وخطأ هذا المنهج يتمثل في أنه ليس لدى أمة من الأمم أزمات لا يمكن النفاذ إلى أعماقها، ويحقق نوع من السيطرة عليها.
- منهج العزل والفصل بين مجموعات المشكلات، فتفهم على أنها كيان معزول، ينتمي إلى حقل معين، وهذا لا يعقل في ظل سلسلة التسخير التي تقتضي ترابط حلقاتها.

المبحث الثالث

منهج الإمام النُّوزسي في معالجة المشكلات الاجتماعية في ضوء الفكر التربوي المعاصر

هدفت التربية الإسلامية إلى تكوين الفرد المجتمعي الذي يشغله حال مجتمعه ويطمح إلى تكامل البناء فيه، كل بحسب طاقاته وإمكاناته، وقد كان للإمام النُّوزسي إسهاماته الفاعلة في علاج مشكلات مجتمعه إلى حدّ كبير.

وقد استطعتُ بعد قراءة دقيقة تحديد المنهج العام للإمام النُّوزسي في معالجة المشكلات الاجتماعية ممثلة بمنهج معالجة الفرد وتربيته، ويتضمن أسلوب تربية الاعتقاد، وأسلوب تربية التفكير، وأسلوب تربية الدوافع والغرائز، وأسلوب تربية السلوك، ومنهج معالجة المجتمع وتربيته، ويتضمن إصلاح الأسس الأخلاقية المنحرفة، وإصلاح العلاقات الاجتماعية، وإصلاح النظام التعليمي للمجتمع، وإصلاح نظام الحكم، وعليه قسّمتُ المبحث إلى ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول: أساليب الأفراد في مواجهة المشكلة الاجتماعية.

المطلب الثاني: منهج النُّوزسي في تربية الفرد ومعالجة مشكلاته.

المطلب الثالث: منهج النُّوزسي في تربية المجتمع ومعالجة مشكلاته.

المطلب الأول: أساليب الأفراد في مواجهة المشكلة الاجتماعية

تمكّن الإسلام من زرع بذور الشخصية الإسلامية المستقلة بشعورها وأحاسيسها وهمومها، وتمكن من نقلها من مجتمع إقليمي، إلى عالمية مفتوحة، كل ذلك في زمن لا يتجاوز ربع قرن، كوّن مجتمعاً جديداً محوره الرسول ﷺ، فقد كان له من الأثر النفسي ما يضمن تكامل هذا البناء للشخصية الجديدة، حيث كان همّ التغيير هو الأفق النفسي الأبرز في حياة المسلمين الأولى، كيف يغيروا معالم المجتمع الجاهلي وينقلونه إلى المجتمع المثالي الذي أتت به الرسالة الجديدة، ولعل سرّ النجاح كان يكمن في قوة الإرادة.

ولقد واجه النبي الكريم ﷺ مشكلات اجتماعية استطاع خلالها أن يقدم خير نموذج للتغلب عليها والخروج منها بأفق يليق بالدين الحق، منها: مشكلة التفاوت الاقتصادي التي ظهرت بعيد الهجرة، فقد استطاع التغلب عليها بعميلة المواخاة التي كان لسرعة الاستجابة أبرز الدور في تلاشيها، ومنها: مشكلة العادات الجاهلية المتأصلة، كعادة شرب الخمر، وقد استطاع أن ينتزع حبيها من نفوسهم حتى تمثلت الاستجابة الجماعية في أن تسيل الخمر في شوارع المدينة^(١)، فقد روي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كُنْتُ سَاقِي الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ وَكَانَ حَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ انْفِصِيحَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادِيًا ينادي أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، قَالَ فَقَالَ: لِي أَبُو طَلْحَةَ اخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا فَجَزَّتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ...^(٢).

وبهذا البناء الاجتماعي للفرد المسلم يتبنى أفراد المجتمع مهمة الإسهام في حل المشكلات التي تواجه مجتمعاتهم، بعكس ما ذكرت المؤلفات الحديثة في علم المشكلات الاجتماعية من

(١) انظر: الجبوسي، عبد الله، البناء النفسي للمسلم في ضوء السنة النبوية وأبعاده الحضارية، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، المجلد الخامس والعشرون، العدد الخامس والعشرون، ٢٠٠٧م، ص ١٩، بتصريف.

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب صب الخمر في الطريق، ج ٩، ص ٣٤٨، حديث رقم ٢٤٦٤.

مواقف للأفراد الذين يعيشون المشكلة الاجتماعية أو يتأثرون بها أو يؤثرون فيها، فمواقفهم تتباين عند وجود مشكلة اجتماعية، كل بحسب بُعد الاجتماعي وقربه منها، وقد ذكرت الكتابات الحديثة في علم المشكلات الاجتماعية بعض أساليب الأفراد في مواجهة المشكلة الاجتماعية وهي كما يأتي^(١):

١. اللامبالاة؛ حيث إن المشكلة لا تمس مصلحة هذه الفئة الشخصية، فيبتعدون عن مناقشتها أو الاهتمام بها.

٢. الاستسلام القدرى؛ إذ يستسلم الفرد للمشكلة بقناعة الحظ، فلا يسمح لذهنه التفكير بحلول لها، ولا يعترض عليها.

٣. الشك الساخر المتهكم، فهؤلاء دائرة تفكيرهم ضيقة.

٤. الجزاء الديني، وأصحاب هذا الموقف مقتنعين بأن المشكلة ما هي إلا عقوبة الله على كفر الإنسان وعصيانه، ويعالجونها بالدعاء والصلاة دون الرجوع إلى المصلح الاجتماعي.

٥. الإقراط العاطفي، فالظنين يعيشون في بؤرة الموقف، يتفاعلون معها، ويبالغون في وصفها.

٦. الموقف الاجتماعي العلمي، وهو موقف عالم الاجتماع المتخصص بالعمل والرعاية الاجتماعية، فيحدد المشكلة وأبعادها وحقائقها ومواقفه معتدلة.

ويعد عرض الأساليب السابقة لا بد من مناقشتها من خلال النقاط الآتية:

■ هذه المواقف موجودة ولكن ليست بالطريقة التي عرضت، فهي إما وصف لفئة معينة محصورة،

أو نتيجة فهم غير صحيح لما يدور داخل أنفس هذه الفئات، أو عرض لمشاهدات المؤلف.

(١) انظر: عمر، المشكلات الاجتماعية، ص ٢١-٢٣.

■ من الطبيعي وجود أشخاص يتسمون باللامبالاة والأنانية، بحيث لا يهتمون لمشكلات غيرهم، أو يسخرون منها لأنها لا تهمهم، وكذلك وجود من يتسم بالإفراط العاطفي بسبب معاناتهم، فهذه الفئات المريضة موجودة فعلياً، وتُعاني من مشكلات نفسية وفكرية.

■ تثبت العقيدة الإسلامية القدر الإلهي، والابتلاء بالمصيبة، ولكنها لا تلغي سعي الإنسان وعمله ومحاولاته لمعالجة مشكلاته بكل الطرق والوسائل المشروعة، ولم يترك الإمام التُّوزسي هذه الفكرة دون أن يُبينها، فيرد بقوله:

«إن خاصية هذا العصر العجيب هي غلو المسلمين في السذاجة وتسامحهم وتجاوزهم عن خطيئات جناة رهيبين، إذ لو رأى أحدهم حسنة واحدة من شخص ارتكب ألوف السيئات وتعدى على حقوق ألوف العباد، سواء على حقوقهم المادية أو المعنوية، ينحاز إلى ذلك الظالم لأجل تلك الحسنة الواحدة، وبهذه الصورة يُشكل أهل الضلالة والطغيان الأكثرية العظمى من الناس رغم أنهم قلة قليلة جداً، وذلك لموالات أولئك السذج لهم، ولأجله ينزل القدر الإلهي المصيبة العامة التي تترتب وتبنى على خطأ الأكثرية، بل إن عملهم هذا يُعين على دوام المصيبة واستمرارها، بل على شدتها حتى يقولوا هم بأنفسهم: نعم نحن نستحق هذه المصيبة»^(١).

يؤكد الإمام التُّوزسي في قوله السابق على تفسير مهم لتفاهم المشكلات الاجتماعية، وانتشار

البلايا والمصائب، بسبب امتناع الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاء لأهل الضلال والسكوت عن الحق، ومرّد هذه المشكلة إلى انحرافهم عن طريق الهداية، فأدامها الله تعالى عليهم بسبب أفعالهم المنكرة.

■ إن صورة الموقف الاجتماعي العلمي الذي ذُكر سابقاً يتمثل بأكثر من فئة، وحصره بعلماء الاجتماع فقط خلل واضح، بل إن التاريخ البشري أثبت فاعلية دور الغيورين على البشرية ومصالحهم الننيوية والأخروية، في مقدمتهم الأنبياء، ومن سار على خطاهم كالمصلحين والدعاة

(١) التُّوزسي، الملاحق، ص ١١٦.

في كل العصور والأزمان الذين بذلوا الجهود والأنفس والأرواح في مقابل معالجة المشكلات الاجتماعية.

ومن هؤلاء الإمام النورسي الذي عدّ حل المشكلات الاجتماعية همّة الأول وشغله الشاغل، بل

عدّها طعنات وُجّهت إلى صدره أوجعته أكثر من همومه الشخصية، وقال مؤكداً على هذا:

«لقد تحملت آلامي الشخصية كلها، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقنتني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي إنها تُوجّه إلى قلبي أولاً، ولهذا تروني مسحوق الفؤاد، ولكنني أرى نوراً سيئسنا هذه الآلام إن شاء الله»^(١).

ونجد دلائل الإحساس بالمسؤولية المجتمعية، وصدق المشاعر، وجدية العمل الخالص، دلائل

المثابرة على الإصلاح واضحة عند الإمام النورسي وعند كل مصلح جاد.

المطلب الثاني: منهج الإمام النورسي في تربية الفرد ومعالجة مشكلاته

يتكون المجتمع البشري من مجموعات من الناس بينهم علاقات متشابكة، فمعالجة المشكلات

الاجتماعية متوقفة بادئ الأمر على معالجة الفرد وإصلاحه، فإذا ما صلح الأفراد ساد الصلاح في

المجتمع، وهذا الأمر يستند إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا

بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢)، وبذلك يُجزم بوصول منهج العلاج إلى النجاح، فنفس الفرد هي العنصر الجوهرية

في كل مشكلة اجتماعية، فلا بُدّ لتغييرها من فلسفة جديدة^(٣).

ولذلك وجّه الإمام النورسي عنايته بالدرجة الأولى للإنسان، فسعى إلى تربيته وتربية طاقاته

في رؤية موحدة متوازنة، متأثراً بتوجيهات القرآن الكريم وأستاذه ومعلمه، وقد توجّه إلى مكونات

الإنسان وطاقاته كاملة، وقال مؤكداً على ذلك:

(١) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٥٤٩.

(٢) سورة الرعد: آية ١١.

(٣) انظر: بن نبي، مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، د.ط، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦، ص ٤٧، بتصرف.

«لو كان الإنسان مجرد قلب فقط، لكان عليه أن يترك كل ما سواه تعالى، بل يترك حتى الأسماء والصفات ويرتبط قلبه بذاته سبحانه، ولكن للإنسان لطائف كثيرة جداً كالقلب منها: العقل والروح، والسر أن كل لطيفة منها مكلفة بوظيفة ومأمورة للقيام بعمل خاص بها»^(١).

وانطلاقاً من قول الثوري، فإن تربيته للإنسان ومعالجة مشكلاته كانت من خلال الأساليب الآتية:

١. أسلوب تربية الاعتقاد: وجه الإمام الثوري الإنسان إلى الإيمان بالله ومعرفته، فقال:

«فمعرفة الله نقطة استناد وحيدة للإنسان، تجاه تقلبات الحياة ودواماتها وتزاحم المصائب وتوالي النكبات، إذ لو لم يعتقد الإنسان بالخالق الحكيم الذي أمره كله بحكمة ونظام، وأسند الأمور والحوادث إلى المصادفات العمياء، وركن إليها وإلى ما يملكه من قوة هزيلة لا تقاوم شيئاً، فسيتناهبه الفزع والرعب، ويتهار من هول ما يحيط به من بلايا، وسيشعر بحالات أليمة تُذكر بعذاب جهنم، وهذا ما لا يتفق وكمال روح الإنسان المكرم»^(٢).

وكما هو واضح من قول الإمام فإن إصلاح اعتقاد الفرد كفيل في حل مشكلاته كاملة، إذ

تخلص العقيدة الإسلامية الإنسان من الفزع والرعب وبقية المشكلات النفسية.

إن العلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهي بدورها تربط

بين الإنسان وأخيه الإنسان، حيث تلدها في صورة القيمة الخلقية، والعلاقة التي تربط الفرد

بالمجتمع هي في الواقع ظل العلاقة الروحية (الدين)^(٣)، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ

مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٤).

فكل ما يغير النفس يغير المجتمع، ومن المعلوم أن أعظم التغييرات وأعمقها في النفس قد

وقعت في مراحل التاريخ مع ازدهار فكرة دينية، ومن هنا فلو استطعنا تتبع دفة الفكرة الدينية إبان

(١) الثوري، الكلمات، ص ٥٨٢.

(٢) الثوري، صيقل الإسلام، ص ١٢٢.

(٣) انظر: بن نبي، مالك، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ص ٥٢-٥٣، بتصرف.

(٤) سورة الأنفال: آية ٦٣.

ولادتها، فربما أصابتنا الدهشة لما نشهد في عملها من جوانب غير متوقعة، ويقدر ما تكون هناك فكرة واضحة تمام الوضوح عن دور هذا العنصر في ميلاد مجتمع معين، يمكن أن تكون هنالك فكرة دقيقة تمام الدقة عن دورها الذي يمكن أن تؤديه في نهضة هذا المجتمع^(١).

٢. أسلوب تربية السلوك: أشار الإمام التورسي إلى ضرورة العمل الصالح مهما كان صغيراً، وهذا حصن في الظروف الصعبة ومشكلات الحياة، فيقول:

«لقد فكرت في هذه الأيام في أسس التقوى والعمل الصالح، اللذين هما أعظم أساسين في نظر القرآن الكريم بعد الإيمان، فالتقوى: هي ترك المحظور والاجتناب عن الذنوب والسيئات، والعمل الصالح: هو فعل المأمور لكسب الخيرات، ففي هذا الوقت الذي يتسم بالدمار - الأخلاقي والروحي - وبإثارة هوى النفس الأمارة بالسوء، وبإطلاق الشهوات من عقالها، تصبح التقوى أساساً عظيماً جداً، بل ركيزة الأسس وتكسب أفضلية عظيمة حيث أنها دفع للمفاسد وترك للكبائر، إذ إن درع المفاسد أولى من جلب المنافع قاعدة مطردة في كل وقت.

وحيث إن التيارات المدمرة أخذت تتفاقم في هذا الوقت، فقد أصبحت التقوى أعظم أساس وأكبر سدّ لصدّ هذا الدمار الرهيب، فالذي يؤدي الفرائض ولا يرتكب الكبائر ينجو بإذن الله، إذ التوفيق إلى عمل خالص مع هذه الكبائر المحيطة أمر نادر جداً، إن عملاً صالحاً ولو كان قليلاً يغدو في حكم الكثير ضمن هذه الشرائط الثقيلة والظروف العصيبة»^(٢).

٣. أسلوب تربية الدوافع: وقد نال موضوع الدوافع والغرائز الإنسانية حظاً كبيراً وافراً من عناية رسائل النور وتوجيهاتها، مُنبهة على أن لكل عصر طرقاً معينة وأسلوباً يتناسب معها، حتى يتخلص الإنسان من المشكلات الاجتماعية الناتجة عنها، ومن ذلك قوله:

«ولما كانت الأحاسيس المادية والميول والرغبات والقوة التي أنشأت الأمراض النفسانية، والخصومات، وميل التفوق على الآخرين، مسيطرة على أودية الماضي كان الإقناع الخطابي كافياً لإرشاد أهل ذلك الزمان... بيد أن قياس أنفسنا عليهم

(١) انظر: بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ص ٧٢-٧٥، بتصرف.

(٢) التورسي، الملاحق، ص ١٦٨-١٦٩.

يعني التحرك إلى الخلف، وإقحاماً لنا في زوايا ذلك الزمان، إذ لكل زمان حكمه. نحن نطلب الدليل. ولا نخذع بتصوير المدعي وتزيينه»^(١).
ويعني التورسي بذلك ضرورة اختيار أسلوب يُناسب الرغبات التي أفرزتها المدنية الغربية والتغيرات السريعة في المجتمع، فالرغبات في تجدد دائم وخطورة دائمة.

«إن نوازع الإنسان وأحاسيسه المادية لا ترى العقبي، فتفضل درهماً من لذة عاجلة على قنطار من لذات آجلة، هذه الأحاسيس قد طغت -في هذا العصر- على عقل الإنسان وسيطرت على فكره؛ لذا فالسبيل الوحيد لإنقاذ السفينة من سفهه هو الكشف عن ألمه في لذته نفسها، ومساعدته على التغلب على أحاسيسه تلك؛ إذ المرء في زماننا هذا، مع علمه بلذات الآخرة ونعيمها الثمين كالألماس يفضل عليها متعاً دنيوية تافهة أشبه ما تكون بقطع زجاجية قابلة للكسر، كما تشير إليها الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾^(٢)، والسبيل الوحيد لإنقاذه من خطر الانسياق هذا هو إظهار آلام جهنم وعذابها في الدنيا أيضاً»^(٣).

٤. أسلوب تربية التفكير: وجهت رسائل النور فكر الإنسان إلى ضرورة اقتران عمليات التفكير

بدائرة الإيمان وعدم خروجها عنه؛ لأن ذلك مهلك للإنسان ومشوش لفكره، فيقول التورسي:

"إن دخول طائفة من الإسرائيليات وقسم من الفلسفة اليونانية ضمن دائرة الإسلام وظهورها بزى الدين الجميل، شوش الأفكار، وذلك: أن أولئك القوم، العرب النجباء، كانوا أمة أمية في الجاهلية، ولكن لما تجلّى الحق فيهم وتيقظ استعداد حسياتهم بمشاهدة الدين المبين، وجّهوا رغباتهم وميولهم كلها في معرفة الدين وحده، ولم يك نظرهم المتوجه إلى الكون من نوع التفصيل الفلسفي بل نظر استطراد للاستدلال ليس إلا"^(٤).

وفي تكامل جوانب تنمية الفرد التي أكد عليها الإمام التورسي بناءً للشخصية الإيجابية

الموصلة إلى البناء الاجتماعي للفرد، مقتفياً أثر ما رمت إليه نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية

(١) التورسي، صيقل الإسلام، ص ٥٠.

(٢) سورة إبراهيم: آية ٣.

(٣) التورسي، صيقل الإسلام، ص ٤٨٣.

(٤) التورسي، صيقل الإسلام، ص ٣٤.

من بناء فرد إيجابي في المجتمع يحس بأن كل حركة يتحركها في المجتمع نحو البناء، إنما هي جزء من عقيدته، وتظل ترتقي به النصوص حتى تدخل القضايا الاجتماعية في صميم عقيدته، وتتوزع التوجيهات بشكل منتظم لتضم الأحكام التشريعية كلها، فتارة تكون مندوبة: مثل إمطة الأذى عن الطريق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الإيمان بضغ وسبتون أو بضغ وسبتون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"^(١)، وتارة تكون واجبة مرهونة بإيمانه: فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه"^(٢)، وكثيراً ما تربط النصوص بين حركة الفرد في العبادات وحركته في المجتمع، بل إن التأمل في مجموع النصوص يوصل بنا إلى حقيقة الربط بين القضايا الاجتماعية وقضايا العبادات، وما الكفارات - التي في جلها منافع اجتماعية - إلا نوع من التجسيد لهذه الحقيقة، ومن مظاهر الإيجابية كذلك، بناء علاقة بين الفرد وبين سائر المخلوقات في هذا الكون، بحيث يشعر الفرد بأنه ينتسب إلى جزء كبير من هذا الوجود، بل هو حلقة من حلقات هذا الكون"^(٣).

والحقيقة أن أقوال النورسي التي تؤكد منهجية الإسلام في تربية الفرد ومعالجة مشكلاته، وهذه المنهجية لا يمكن حصرها في صفحات^(٤)، فذلك يحتاج إلى دراسات لكثرتها؛ لأن رسائل النور ما ألفت إلا لتربية الإنسان.

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، ج ١، ص ٤٦، حديث رقم (١٦٢).

(٢) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب تحريم إيذاء الجار، ج ١، ص ٤٩، حديث رقم (١٨١).

(٣) انظر: الجيوسي، عبد الله، البناء النفسي للمسلم في ضوء السنة النبوية وأبعاده الحضارية، ص ٢١، بتصرف.

(٤) اقتصرنا في منهج تربية الفرد وفي منهج تربية المجتمع على بيان الخطوط الرئيسة للمنهج على أن يتم التفصيل والتحليل في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

المطلب الثالث: منهج تربية المجتمع ومعالجة مشكلاته

تنبّه الإمام النُوزسي إلى أن بعض مشكلات المجتمع لا يمكن التوصل إلى حلها عن طريق تربية الفرد، بل لا بدّ من توجيه الأنظار نحو التركيب الاجتماعي والأنظمة الاجتماعية، وإعداد خطط وإجراءات مناسبة لاستئصال مشكلاتها، وقد وافقه بعض الباحثين الذين أشاروا إلى أن حل المشكلات الاجتماعية لا يتأتى إلا من خلال^(١):

١. إعادة ترتيب البناء الاجتماعي بهدف وضع حدّ للانحرافات السلوكية والقضاء على كل التناقضات الموجودة بين عناصره التي قد تؤدي إلى إيجاد نوع من التفكك الاجتماعي.
٢. التأكيد على الروابط التي تشد أفراد المجتمع إلى بعضهم البعض وتوحد أهدافهم، بدلاً من تجزئة المجتمع إلى جماعات متباينة ومتباعدة.

ويُمكن تلخيص منهج الإمام النُوزسي في تربية المجتمع ومعالجة مشكلاته بالآتي:

١. معالجة المجتمع بالمنظومة القيمية القرآنية: أشار الإمام النُوزسي في رسائله جميعاً إلى منظومة قيمية متكاملة، منهجها القرآن الكريم وهو أصلها الأصيل، تتضمن مجموعة من المبادئ التربوية والقوانين النفسية والأصول الاجتماعية التي تتسم بالشمول والتوافق والانسجام، ومن الأمثلة على ذلك قوله:

«في زمن عجيب كزماننا هذا، لا بدّ من تطبيق خمسة أسس ثابتة حتى يمكن إنقاذ البلاد والحياة الاجتماعية لأبنائها من الفوضى والإنقسام، وهذه المبادئ هي: الاحترام المتبادل، والشفقة والرحمة، والابتعاد عن الحرام، والحفاظ على الأمن، ونبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة»^(٢).

(١) انظر: فنون، دراسات في علم الاجتماع، ص ٢٨٩، بتصرف.

(٢) النُوزسي، الشعاعات، ص ٤٠٦.

والملاحظ على منظومة النُورسي القيمة أنها شاملة تتضمن أوامر الله تعالى وترك ما نهى الله، وتشمل الأخلاق والآداب الإسلامية، فبلاء زمانه بُعد الناس عن القيم والأخلاق، والانحراف وتصارع القيم إلى غيرها.

٢. تربية شبكة العلاقات الاجتماعية: تعلق نداءات النُورسي في رسائل النور بالوحدة بين المسلمين، والأخوة الإسلامية، بل يمكن القول بأنه كَوّن منظومة متكاملة تخص قيم العلاقات الاجتماعية، أساسها المحبة والبُعد عن الخصومة والتعاون وعدم الاختلاف، ومن أقواله المؤكدة على ذلك قوله:

«إن أجدر شيء بالمحبة هو المحبة نفسها، وأجدر صفة بالخصومة هي الخصومة نفسها، أي أن صفة المحبة التي هي ضمان الحياة البشرية والتي تدفع إلى تحقيق السعادة هي أليق للمحبة، وأن صفة العداوة والبغضاء التي هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها هي أقبح صفة وأضرها وأجدر أن تُتجنب وتُفّر منها»^(١).
وكذلك قوله:

«فيا أهل الحق... يا أهل الشريعة والحقيقة والطريقة... امتثلوا بما تأمركم به منات الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من التآخي والتحابب والتعاون، واستمسكوا بكل مشاعركم بعري الاتفاق والوفاق مع إخوانكم في الدين ونهج الحق المبين... واحذروا دائماً من الوقوع في شباك الاختلاف»^(٢).

وفي أقوال النُورسي اهتمام كبير بمعالجة ما نشأ من مشكلات اجتماعية في زمنه بسبب الفرقة والاختلاف والتباين بين الفئات، كمشكلة العنصرية، والقومية السلبية وكثرة الفرق والطرق، وما يترتب على ذلك من عداة وعنف وتقليد واستبداد.

٣. إصلاح النظام التعليمي للمجتمع: بسبب معرفة الإمام النُورسي بالعلاقة المتبادلة بين النظام التعليمي والمشكلات الاجتماعية، أكد على العناية بنظام التعليم في المجتمع المسلم، ففي ذلك

(١) النُورسي، صيقل الإسلام، ص ٥٠٩.

(٢) النُورسي، اللغات، ص ٢٣٥.

تقدّمه ورقية في سلّم الحضارة، لذا أرشد الثورسي الحكومة إلى خطوة عملية للمعالجة، وهي إنشاء جامعة إسلامية على غرار الأزهر الشريف، يتم فيها تصالح العلوم المادية والشرعية، في ذلك يقول أحد طلابه:

«ولقد بذل أستاذنا المحترم منذ خمس وخمسين سنة جهوده، وبهمة فائقة متوسلاً وسائل شتى لإنشاء جامعة إسلامية باسم مدرسة الزهراء في شرقي الأناضول على غرار الجامع الأزهر، ودعا إلى الحاجة الماسة إليها حيث قال: إن جامعة الشرق ستحرز مقاماً مرموقاً بين المسلمين بفضل ما تتمتع به من موقع مركزي في العالم الإسلامي... أما الدرس الأساس الجدير أن يكون منهجاً وبرنامجاً لجامعة الشرق فهو رسائل النور التي تفسر الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم»^(١).
وقال في موضع آخر عن أهمية الجامعة الإسلامية:

«لتتصافح العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين، وتتصالح الحضارة الأوروبية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة، ولتتفق المدارس الحديثة وتتعاون مع المدارس الشرعية في الأناضول»^(٢).

والإمام الثورسي مدرك أهمية العلم للإنسان، ففيه يكمل ويرتقي ويعالج مشكلاته الاجتماعية بسبب نمو وعيه وطرائق تفكيره، فيوافق بين البعد التربوي والبعد الاجتماعي، وفي ذلك يقول:

«لا يمكن للإنسان أن يحقق لنفسه منافع حياته ومصالحها ولا دفع الضرر عنها إلا بالتعاون والاتخراط في الحياة الاجتماعية البشرية، يتضح من هذا أن وظيفة الإنسان الفطرية إنما هي التكمّل بالتعلم، أي: الترقّي عن طريق كسب العلم والمعرفة والعبودية بالدعاء»^(٣).

٤. إصلاح نظام الحكم: خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات علّه يخدم الدين والعلم عن طريقها، فرأى أن هذا الطريق فيه مشكلات ومشكوك فيه، وأن أغلبه خداع وأكاذيب لأنه

(١) الثورسي، الملاحق، ص ٣٩٥، باختصار.

(٢) الثورسي، الملاحق، ص ٤١٧.

(٣) الثورسي، الكلمات، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

إما موافق لنظام الحكم أو معارض له^(١)، فبين التورسي المشكلات الناجمة عن الأنظمة السياسية في قوله:

«إن سياسة المدنية الحاضرة تُضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية، بل تُضحي قلة قليلة من الظلمة بجمهور كبير من العوام في سبيل مقاصدها»^(٢). ومع ذلك قدم الكثير من الاقتراحات الموجهة للسامية وأنظمة الحكم ليعالج المشكلات السابقة، فأرشدهم إلى عدالة القرآن الكريم، التي لا تُضحي بحياة برئ واحد، ولا تُهدر دمه لأي شيء كان، لا في سبيل الأكثرية ولا لأجل البشرية قاطبة، إذ إن الآية الكريمة: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٣)، تضع سرين عظيمين أمام نظر الإنسان:

• الأول: العدالة المحضة، ذلك الدستور العظيم الذي ينظر إلى الفرد والجماعة والنوع رؤية واحدة، فهم سواء في نظر العدالة الإلهية، مثلما أنهم سواء في نظر القدرة الإلهية، وهذه سنة دائمة...

• الثاني: علة تحريم القتل: فلو قتل مغرور بريئاً دون ورع، تحقيقاً لحرصه وإشباعاً لنزواته، فإنه مستعد لتدمير العالم والجنس البشري إن استطاع^(٤).

٥. الإصلاح الجماعي: استهدف التورسي الجماعة في معالجاته، فبصّر المسلمين وقياداتهم بالاستراتيجيات الصائبة في حشد الطاقات وتوحيدها لمواجهة التحديات والمشكلات الاجتماعية، وفي ذلك يقول:

(١) راجع تفصيلات هذه المرحلة: التورسي، المكتوبات، ص ٧٧-٨٧.

(٢) التورسي، الكلمات، ص ٨٦٢.

(٣) سورة المائدة: آية ٣٢.

(٤) التورسي، الكلمات، ص ٨٦٢.

«إن هذا الزمان - لأهل الحقيقة - زمان الجماعة، وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية، فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة يُنفذ حكمه، ويصمد تجاه الأعاصير»^(١).

وجاء تركيزه على العمل الجماعي، لأن به تصلح العلاقات الاجتماعية، فإذا ما أصيبت الذوات بالتضخيم، أصبح العمل الجماعي المشترك صعباً أو مستحيلًا، ثم يصير همّ الجماعات العثور على الأدلة والبراهين بدلاً من إيجاد حلول للمشكلات^(٢)، ويمكن تلخيص خطر العمل الفردي على الأمة بالآتي:

- أ. يقود التفكير في الأفراد بعينهم إلى صرف الأنظار عن الأمراض التي تتخر في جسم الأمة، والأمة الضعيفة من الداخل يستحيل أن تتغلب على الخطر من الخارج.
- ب. التوجّه نحو العمل الفردي يُنمي في النفوس روح الفردية في الرأي أو العمل، ويطمس في عقول الأمة مفهوم المسؤولية الجماعية.

وبعد ما عرضته من أقوال للإمام التورسي ينبغي التأكيد على النقاط الآتية:

أولاً: الغاية الأولى للإمام التورسي من الخوض في المشكلات الاجتماعية هو الوصول إلى العلاج المناسب لها، وقد تميز العلاج بعدة سمات هي: الثبات والصلابة في أساليب العلاج، وأنها مستقاة من القرآن الكريم، وأنها صالحة للزمان والمكان، وتجدي نفعاً في عصور أخرى ولبينات أخرى اشتركت في نفس المصاب، ويؤكد على ذلك قوله:

«فتجاه هذه الحالات المحيرة لا بدّ من ثبات عظيم وصلابة تامة ووفاء خالص وغيره على الإسلام تفوق كل شيء: ويخلفه ستبقى خدمة الإيمان عقيمة بائرة وتكون ضارة»^(٣).

(١) التورسي، الملاحق، ص ١٦٣.

(٢) انظر: بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ص ٤٠، بتصرف.

(٣) التورسي، الملاحق، ص ١٣٦.

ثانياً: بين علماء الاجتماع طرق مواجهة المشكلات الاجتماعية، فكان لذلك طريقان^(١):

أ. مواجهتها مواجهة رأسية: بمعنى القضاء على المشكلات واحدة تلو الأخرى مع المحافظة

على الصورة العامة للنظام، ويتم هذه المواجهة في المجتمع الذي لا يجعل التخطيط أساس

التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ب. مواجهتها مواجهة أفقية: ويحدث هذا في المجتمع الذي يؤمن بالتخطيط، ويؤمن بترابط

أجزاء البناء الاجتماعي وترابط وظائفه، واعتبار كل مشكلة مرضاً يُصيب البناء.

فكانت جهود النورسي منصبة على إصلاح التعليم الديني، ومحاولة مزجه بالتعليم العصري

وفق نظام واحد، وإصلاح النظام السياسي بنبذ الظلم والمطالبة باستتباب العدل ومحاربة الفقر

والاختلاف، وإصلاح المؤسسات والهيكل الاجتماعية والتربوية^(٢).

ومن خلال استقراء المشكلات الاجتماعية في رسائل النور بدا واضحاً للقارئ أن الإمام

النورسي اتبع الطريقة الأفقية، حيث سار في عملية معالجة المشكلات المترابطة، والتي يؤثر كل

منها على الأخرى، فعمل على توضيح سياق المشكلة، وأشار إلى الأسباب والظروف، ثم كشف

عن قواعد السلوك البديلة.

ثالثاً: قدم النورسي رؤية تربوية لا يمكن أن تتفصل عن رؤيته الشاملة لقضايا عصره وواقعه، ولعل

قسوة الأحداث التي شهدتها من أسباب سلوك هذا النهج، كما أن النورسي من خلال منهجه العملي

في الإصلاح قد استعان بكل الوسائل التربوية التي أتاحت له، ومنها^(٣):

(١) انظر: قنوص، دراسات في علم الاجتماع، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) انظر: واحدة، شكران، الإسلام في تركيا الحديثة، بديع الزمان النورسي، ترجمة محمد فاضل، قراءة في كتاب، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، تركيا، العدد الأول، ٢٠١٠م، ص ١٧٦، بتصرف.

(٣) انظر: بكير، بديع الزمان معيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة، ص ٢١٠، بتصرف.

١. الوعظ والتوجيه! استعان بالوعظ في بداية عمله الدعوي بقرى كردستان، فكان ينتقل من قرية إلى أخرى يتحدث إلى السكان والقبائل ويرشدهم إلى أمور دينهم، ويبصرهم بما يحيط بهم من مشكلات اجتماعية.

٢. الحوار والمجادلة: لجأ إلى الحوار والمجادلة مع علماء عصره يناقشهم، ويكشف تقصيرهم في أداء الدور التربوي تجاه المجتمع.

٣. الكتابة الصحفية: ونشط النُورسي في المجال الإعلامي من خلال كتابة المقالات الصحفية التي ترصد الأحداث وتكشف ما يهدد كيان الأمة، وتدعو جميع المسلمين إلى اليقظة والعمل على إصلاح الأوضاع، كي لا يستغلها أعداء الإسلام - سواء في الداخل أو الخارج - للسيطرة على الأمة وتشويه عقيدتها.

٤. التأليف العلمي: ربما كان التأليف العلمي المتمثل في رسائل النور أعظم ما توسل به النُورسي في خدمة مجتمعه، وهي الوسيلة الأكثر ملازمة له منذ شبابه وإلى آخر حياته، لكن بروزها لم يتبلور إلا بعد بداية مرحلة النفي والإقامة الجبرية، فكانت هذه الظروف توفر للنورسي التفرغ الواسع للتأمل والتفكير والتأليف.

٥. المرافعات القضائية: سبق النُورسي وطلابه إلى عشرات المحاكم، فكان يتولى بنفسه الدفاع عن قضيته، ولعل المرافعات الكثيرة التي قام بها وجادل فيها القضاة تحولت إلى منبر إعلامي لصالح دعوته ومبادئه.

٦. الصراع السياسي: وقد كان الطابع المميز لمسيرة بديع الزمان، لكن اختلفت أشكاله باختلاف السلطة الحاكمة والظروف السياسية العامة، ففي العهد العثماني تمثل صراعه في نقده المباشر لنظام الحكم الفاسد، كما تمثل صراعه السياسي فيما بعد في موقفه الراض لكل الدعوات التتريكية والتغريبية التي تحاول جادة القضاء على الإسلام^(١).

• ويمكن إضافة وسائل أخرى للإمام التوزسي في معالجة المشكلات الاجتماعية ألخصها من خلال تحليل منهج رسائل النور بالآتي:

١. إيجاد البديل الإسلامي: فلم يترك الإمام التوزسي المكان خالياً لينجذب الإنسان إلى بدائل غير مشروعة، فأرشد المجتمع إلى بديل مناسب، كما في إرشاده إلى الجامعة الإسلامية في استانبول والتي سماها مدرسة الزهراء.

٢. استخدام الأساليب التعليمية التربوية: كالقصة والحوار والسؤال في خطابه، وأمثلة ذلك كثيرة فيما سبق عرضه، وهذه الأساليب كانت لتتاسب حال المخاطب، كما تتضمن فوائد تربوية كثيرة كالتشويق وإثارة الدافعية، والإقناع إلى غير ذلك.

٣. التأكيد على التطبيقات العملية: من واقع حياته ومن واقع حياة طلابه كما في حديثه عن التزام طلاب النور بالأمن والنظام، والحديث عن التزام التوزسي بمبدأ الاقتصاد، وقد اتبع الإمام التوزسي في منهجه العلاجي التربوي خطوات عملية مستخدماً كل الوسائل التي أتاحت له، ومستعيناً في كل ظرف بما يناسبه من الوسائل وما يصلح له، هادفاً إلى تخليص مجتمعه من المشكلات الاجتماعية التي كدرت صفو حياتهم للوصول إلى حالة الرضا والاستقرار.

وكان تنوع الأساليب عند الإمام التوزسي ليتناسب وميول الإنسان، لهذا نجد الأسلوب التربوي يراعي أحوال النفس، لأنها تمل الرتابة في الأسلوب، وقوته في ذلك هدي الرسول ﷺ الذي كان

(١) انظر: بكر، بديع الزمان سعيد التوزسي وأثره في الفكر والدعوة، ص ٢١١، بتصرف.

خير ترجمة لهذه المراعاة ، فقد ورد عن ابن مسعود أنه قال: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةً السَّامَةِ عَلَيْنَا"^(١).

رابعاً: قام الإمام النُّوزسي بحل المشكلات التي واجهته في مجتمعه عن طريق الملاحظة الدقيقة، والمقابلات الشخصية، ونجد هذه الطرق في علم الاجتماع، فقد حدّد الباحثون وسائل معينة في البحث في دراسة المشكلات الاجتماعية، والتي تعتمد على بيانات موجودة بالفعل، ويتم التوصل إليها من خلال وسائل مختلفة، ومن أبرزها ما يأتي^(٢):

١. الملاحظة المشاركة: وتتضمن قدرًا من التفاعل الاجتماعي الحقيقي في ميدان الدراسة، بحيث يشارك الباحث بصورة مباشرة، ويلاحظ الواقع الذي يدرسه، فهو في نفس الوقت جزء من واقع الدراسة ومنفصل عنه، إذ يعيش حالتين بالتناوب، وهذا يتطلب الاتصال بالمجتمع لفترة طويلة من الزمن.

٢. المسح الاجتماعي: وهو منهج لجمع البيانات الاجتماعية وتحليلها من خلال مقابلات مقننة أو استبانات، بغرض الحصول على معلومات أكبر عن أعداد كبيرة من المبحوثين يمثلون مجتمعاً معيناً، وهدفه الكشف عن معدل توزيع بعض الخصائص الاجتماعية كالسنّ والنوع والحالة الزوجية وغيرها.

٣. دراسة الحالة: هي الدراسة المتعمقة لظاهرة اجتماعية معينة، وتسمى الدراسة المونوجرافية، وتدرس وقائع الشغب أو التمرد، والسلوك المنحرف، والغرض الأساسي الذي تستند إليه طريقة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ج ١، ص ٢٧، حديث رقم (٨٦).

(٢) انظر: عبد المؤمن، علي معمر، البحث في العلوم الاجتماعية الوجيز في الأساسيات والمناهج والتقنيات، ط ١، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ٢٠٠٨م، ص ٣١٣، بتصرف.

دراسة الحالة، هو أن اتجاهات الفرد الاجتماعية وأنماط سلوكه قد تطورت بسبب أحداث أدت إلى تغيير حياته فاتخذت مساراً جديداً^(١).

٤. التجريب: يُعدّ منهجاً على درجة عالية من الدقة والضبط والإحكام في دراسة التأثير الذي يمارسه متغير على متغير آخر، والمتغير سمة تتعرض للتغير عبر الزمان أو المكان، أو من شخص لآخر، مثل الطبقة الاجتماعية وحالات الانتحار وغيرها^(٢).

وبعد عرض هذه الطرق يظهر أن القواسم المشتركة موجودة بين منهج الإمام وبين منهج الباحث الاجتماعي، غير أن الباحث المعاصر يعتمد على نتائجها لتحديد الحل المناسب للمشكلة التي يدرسها، ولكنه يُعدّ الحل خاصاً بالظاهرة المدروسة وليس تعميماً على غيرها، كما يؤكد على طرق البحث أكثر من طرق المعالجة؛ لأن فكرته مبنية على أن الحل يأتي لاحقاً.

وقد استطعتُ استخلاص خطوات مشروع الإمام التُّوزسي العلاجي الإصلاحي المستنبط من الإسلام والقرآن الكريم، ممثلة بالخطوات الآتية:

١. الاسترشاد بأطر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لتحديد آليات المعالجة في كل المجالات الإنسانية، وبهذا ينهض الفرد للقيام بمهمته العلمية والسياسية والاجتماعية.

٢. الدراسة الواعية للماضي، وتمحيص إفرزاته الإيجابية والسلبية فيلتزم بالإيجابي، ويتجنب السلبي مع الوعي بخطورته.

٣. فهم منتجات الحاضر، والتخطيط للمستقبل للإسهام في عملية بناء نهضة جديدة خالية من المشكلات في كل الميادين مستمدة من البناء العقدي والثقافي والسياسي والاقتصادي والإسلامي.

٤. بناء منظومة إصلاحية أخلاقية، تُوجّه الفكر وتصل الإنسان بواقعه وتربطه بأصوله.

(١) انظر: نخبة من أساتذة قسم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية لطلاب قسم الاجتماع، ص ٤٦، بتصرف.

(٢) انظر: الجوهري، المشكلات الاجتماعية، ص ٩٥-١٢٦، بتصرف.

٥. اقتران الأفكار بالتطبيق، انطلاقاً من قاعدة عامة هي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١)، والتي تأخذ بالحسبان، الاعتماد على منطلقات إسلامية، وبحث ميداني، وتطلعات مستقبلية، وهذا يحتاج إلى مؤسسات ومجموعات تطبيق الفكرة لتخرج إلى الوجود.

٦. إدراك أن لكل مجتمع آلياته المحركة، النابعة مما يسوده من أفكار وقيم، لذلك فإن نقل مشروعات غريبة عن مصدرها لا يُجدي نفعاً، وهو عمل دون طائل، لأن النظام الاجتماعي يقوم على النظام الأخلاقي، فالنهضة الشاملة تحتاج إلى هذا الرابط الذي له صفة التنسيق والتوجيه، وهذا ما كان من الإمام النُوزسي، لذلك أسهم في علاج المجتمع ومشكلاته.

لذا فإن أية محاولة لتطبيق مناهج العلوم التجريبية على العلوم الإنسانية فيه الكثير من التجني والمفارقة، وهذا شكّل بحد ذاته مشكلات جديدة بدلاً من معالجتها، فللعلوم الإنسانية طرق خاصة تستطيع بوساطتها فهم الإنسان وما يختص به من مشاعر وفكر وسلوك، لذا لا يمكن تطبيق الطرق التي تُستخدم مع المواد أو الجمادات، فمن الطبيعي أن تكون الحلول المقترحة للمشكلات عقيمة لا نفع منها.

وخلاصة ما سبق ينبغي التنبيه إلى ضرورة انبثاق حلول المشكلات من الداخل، فكل مشكلة إنسانية طبيعتها الخاصة، فلا يمكن استيراد الحلول واستعادتها، لأنها تفقد فاعليتها بمجرد انفصالها من إطارها الاجتماعي، فهي صحيحة في بلادها على وجه التأكيد، ولكنها تقتضي عند التطبيق عناصر مكملة لا تأتي معها^(٢).

لذلك ينبغي علينا فهم ثلاث قواعد والتنبيه إليها، وهي:

(١) سورة الصف: آية ٢-٣.

(٢) انظر: بن نبي، مالك، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ص ٩٥، بتصرف.

١. خطورة استيراد حلول المشكلات الاجتماعية من بيئات أخرى، خاصة التي لا تشترك بقواسم

الدين والقيم والأخلاق.

٢. ارتباط الحلول بالبيئة التي نشأت فيها المشكلة الاجتماعية، فكل مشكلة مرتبطة بالزمان

والمكان.

٣. ولا تعني القاعدة الأولى والثانية التعارض مع ضرورة التراكم المعرفي لعلم المشكلات

الاجتماعية، فعند اتحاد الظروف والأحوال في أزمان مختلفة يفيد اللاحق من السابق،

فالمنهج واحد، والظروف متشابهة، والعقيدة واحدة، فمهما تعددت مناهج المصلحين فإنها

منبثقة من إطار عام وهي العقيدة الواحدة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الثالث

نماذج من المشكلات الاجتماعية في كليات رسائل النور ومنهج النورسي في معالجتها

تزايد الاهتمام بالمشكلات الاجتماعية وإيجاد الحلول المناسبة لها في القرن العشرين، وذلك لتعدد أنواع المشكلات وانتشارها، وقد أسهم الإمام النورسي كغيره من المفكرين المصلحين في مهمة تحديد الإطار العام للمشكلة الاجتماعية، وفي التعرف على مراحل تطورها، ثم اقتراح برامج عملية للتقليل من مضارها، أو القضاء عليها.

وعند استقراء رسائل النور وجدت أنها عُيّنت جميعاً بالحياة الاجتماعية ومشكلاتها، وأكثرها تضمناً مجلد المكتوبات، وصيقل الإسلام، والملاحق، حيث يجد متصفح هذه المجلدات مادةً غزيرة لعدد كبير من مشكلات الإنسان الاجتماعية، وبياناتاً لأسبابها ودوافعها، مع تحديد لإجراءات علاجية لها في صورة أقوال متناثرة تتطلب جهداً لجمعها وتحليلها، لتتبلور صورتها متكاملة وتفيد منها المجتمعات البشرية، وقد عمل الإمام النورسي على معالجة مشكلة التقليد، ومشكلة الترف الاستهلاكي، ومشكلة العنف، ومشكلة الفقر وغيرها، وعليه اخترت نماذج محددة منها وعرضها في هذا الفصل من وجهة نظر الإمام، وقسمته إلى عدة مباحث، هي:

- المبحث الأول: مشكلة التقليد.
- المبحث الثاني: مشكلة الترف الاستهلاكي.
- المبحث الثالث: مشكلة العنف والعدوان.
- المبحث الرابع: مشكلة الفقر.
- المبحث الخامس: مشكلة العنصرية.
- المبحث السادس: مشكلة الظلم والاستبداد.

المبحث الأول

مشكلة التقليد

بدأت موجة التقليد تظهر بشكل واضح حين دبّ الضعف في جسم الخلافة العثمانية، وبدأت الهوة تكبر وتزداد بين الإسلام والغرب، وقد أشرتُ في الفصل الأول إلى بدايات مظاهر التقليد في بداية القرن العشرين.

ونظراً لشيوع مشكلة التقليد في زمان الإمام النُوزي فقد تصدّى للمشكلة وحدد إطارها وأثارها السلبية، وبين أساليب معالجتها في رسائله عن طريق عدة محاور، لذا قسّمْتُ هذا المبحث إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم التقليد وأنواعه.

المطلب الثاني: أسباب التقليد.

المطلب الثالث: الإجراءات العلاجية لمشكلة التقليد.

المطلب الأول: مفهوم التقليد وأنواعه

يلحظ قارئ كليات رسائل النور أن موضوع التقليد لم يَحْتَج إلى تعريف أو تحديد بمفهوم خاص به من وجهة نظر الإمام التُّوزمي نظراً لشيوعه، فأصبح من المفاهيم البديهية التي يعرفها الجميع.

وقد عُرِف مفهوم التقليد بتعريفات متعددة، مؤكدة في مجموعها على جانبين^(١):

١. الاعتقاد برأي الغير، ويمكن التعبير عنه بالأفاز مختلفة، كالأخذ والقبول والعمل، والإتباع والرجوع.

٢. الاعتقاد من غير حجة ومن غير معرفة الدليل.

ويرتبط مفهوم التقليد بمفهوم التأثير الذي يفترض بداهة وجود عمليين؛ العمل الذي يصدر عنه التأثير، والعمل الذي ينصب عليه التأثير، كما أن هذا المفهوم يتخذ دلالة على العلاقة ابتداءً من علاقة الصداقة البحتة إلى علاقة السببية، مروراً بمجال مطاط نسبياً يقوم على الارتباطات الوسطية، والتأثيرات ليست دائماً علاقات واضحة من نوع علاقة العلة والمعلول^(٢).

وقد بدأت موجة التقليد الأعمى قوية تدفعها بعمق الأهواء والانحرافات من الداخل، والجهود المخططة من الخارج، فأخذت البلاد الإسلامية تسلك هذا الطريق الواحدة تلو الأخرى، ابتداءً من تركيا فمصر والشام ثم تونس وإيران والهند^(٣).

(١) انظر: صبحي، عبد السلام، حقيقة التقليد ومسائله، مجلة كلية الآداب، جامعة الإمارات، العدد الأول، ١٩٨٥م، ص ٦٥.

(٢) انظر: فايمشتاين، أولريتش، التأثير والتقليد، ترجمة مصطفى ماهر، مجلة فصول، المجلد الثالث، العدد الثاني، ١٩٨٣م، ص ١٨.

(٣) انظر: العقل، ناصر بن عبد الكريم، التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٤هـ، ص ٢٣.

وقد بين الإمام النورسي في رسائله نوعين للتقليد، وهما:

أ. تقليد العلماء والمشايخ.

ب. تقليد الحضارة الغربية.

وقد أشار الإمام النورسي في أقواله إلى هذه الأنواع التي سادت المجتمع التركي في زمنه بصورتها السلبية، حيث وقع المجتمع في "التقليد الأعمى" الذي لا يُفرّق فيه بين الخطأ والصواب، واتبَع الأفراد جميع المظاهر الاجتماعية التي تسود في زمانهم سواء وافقت دينهم أم عارضته. والأمة المقلدة فقدت قدرة التمييز بين الأصالة والفاعلية، وحتى تصل إلى حضارة لا بدّ من استعادة الفكرة الأصلية فاعليتها لتنتشر وتسود، فالفكرة الأصلية تحتفظ بأصالتها أبد الدهر، وهي ذات طابع قدسي، وهي حقيقة ذاتية مستقلة عن التاريخ، أما أفكار أوروبا من العلم والتقدم سمحت لها السيطرة على العالم بفاعليتها لا بفكرتها الأصلية^(١).

وقد حدّد الإمام النورسي أنواع التقليد في قوله:

«الوزارة تمثل السلطنة، والمشیخة الإسلامية فهي تمثل الخلافة: فبينما نرى الوزارة تستند أصلاً إلى ثلاثة مجالس شورى - وقد لا توفي هذه المجالس حاجاتها الكثيرة- نجد أن المشیخة قد أودعت إلى اجتهاد شخص واحد، في وقت تعقدت فيه العلاقات وتشابكت حتى في أدق الأمور، فضلاً عن الفوضى الرهيبة في الآراء الاجتهادية، وعلاوة على تشتت الأفكار وتدني الأخلاق المريع الناشئ من تسرب المدنيّة الزائفة فينا، من المعطوم أن مقاومة الفرد تكون ضعيفة أمام المؤثرات الخارجية، فلقد ضحّي بكثير من أحكام الدين مسايرة للمؤثرات الخارجية، وبينما كانت الأمور بسيطة والتسليم للعلماء وتقليدهم جارياً كانت المشیخة مودعة إلى مجلس شورى - ولو بصورة غير منتظمة - ويتركب من شخصيات مرموقة»^(٢).

(١) انظر: بن نبي، مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة، أحمد شعبو، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م، ص ١٠٢، بتصرف.

(٢) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٣٥٢.

يلحظ القارئ أن الإمام التُّوزسي تحدّث عن تقليد المدنيّة الزائفة وتبعية الحضارة الغربية التي أنتت إلى التخلي عن أحكام الدين، كما تحدث عن تقليد المشايخ والعلماء الذين تسلطوا في آرائهم، ولكل نوع من هذه الأنواع مخاطر كبيرة على المجتمعات البشرية، حيث أدّى التقليد بنوعيه إلى تعقّد الأمور وتشتت الأفكار وتدنّي الأخلاق، والذي شكّل في مجموعه فوضى فكرية بكل المقاييس وعلى جميع المستويات الداخلية والخارجية والدينية والاجتماعية والسياسية.

كما فصل الإمام التُّوزسي في مخاطر تقليد المدنيّة الحديثة والمشكلات الناشئة عن مبادئ الحضارة الحديثة، وانتشار مفسدها بسبب تقليد عاداتها والتمسك بمبادئها، فقد انتقلت إفرزاتها من غير توازن إلى المجتمع التركي جزاء هيمنة الدول الأوروبية وسيادتها، سواءً أكانت هيمنة مباشرة أم غير مباشرة، ويفصح الإمام التُّوزسي عن واقع الحال بقوله:

«أوقعت المدنيّة الغربية الحضارة البشرية في فقر مدقع، وضاعفت حاجاتها ومتطلباتها، وهي تتماهى في تهيج نار الإسراف والحرص والطمع عندها، بعد أن قوّضت أساس الاقتصاد والقناعة، وفتحت أمامها سبل الظلم وارتكاب المحرمات، زد على ذلك، فقد ألقت بذلك الإنسان المحتاج المسكين في أحضان الكسل والتعطيل المدمر، بعد أن شجعت على وسائل السفاهة، وهكذا بدّدت الشوق لديه إلى السعي والعمل، فأضاع الإنسان عمره الثمين سدىً باتّباعه هوى المدنيّة الحاضرة وبسيره وراء سفاهتها ولهوها»^(١).

فهذا النوع من التقليد قد أورث الكثير من الانعكاسات السلبية، يأتي في مقدمتها ترك تعاليم الوحي وهو أخطر انعكاساته السلبية في المجال الديني، وضعف الشخصية في المجال التربوي، كما خلف انعكاسات سلبية في المجال الاقتصادي، ممثل بحالات البطالة والكسل وانهيار الاقتصاد بشكل عام، كما يُصور التُّوزسي الانعكاسات السلبية للتقليد في حياة المجتمع بقوله:

«إن معاصريّ -مع الأسف- وإن كانوا أبناء القرن الثالث عشر الهجري، إلا أنهم تذكّار القرون الوسطى من حيث الفكر والرقي، وكانهم فهرس ونموذج وأخلاق

(١) التُّوزسي، الملاحق، ص ٢٨٠.

ممتزجة لعصور خلت من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر الهجري حتى غدا
كثير من بديهيات هذا الزمان مبهمة لديهم»^(١).

وهذا دالٌّ على الجهل والتخلف اللذين يعاني منهما الإنسان المقلّد، وهما نابعان من

هبوط الهمم، والكسل، وضعف الشخصية نظراً للتبعية المفرطة لنماذج مختلفة من البشر خاصة إذا

كانت الغالبية، وقد صور الله هذه الفئة بقوله على لسان قوم فرعون: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا

هُمُ الْغَالِبِينَ﴾^(٢)، فهذه الفئة لا تفكر في العاقبة، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا

أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُوْنَا كَأَنَّ الشَّيْطَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^(٣).

المطلب الثاني: أسباب التقليد

أشار النورسي عند بحثه في قضية أسباب التقليد وأنواعه إلى ارتباط المفهوم بالتأثر

والتبعية والتأثير، ثم بدأ بتحديد أسباب مشكلة التقليد، والتي كانت ممثلة بالآتي:

١. ضعف شخصية الفرد: بين الإمام النورسي أن أهم أسباب التقليد ضعف شخصية الفرد، وعدم

اكتمال نضجه الفكري والديني، لذا فإنه لا يتمسك بثوابته الدينية، بل يتبع الجهة التي يتوهم أنها

الأقوى، ويقول في ذلك:

«من المعلوم أن مقاومة الفرد تكون ضعيفة أمام المؤثرات الخارجية، فلقد ضحي

بكثير من أحكام الدين مسaire للمؤثرات الخارجية»^(٤).

يُشير قول الإمام النورسي إلى ظاهرة تضحية الأفراد بأحكام دينهم وشرائعهم في عصره، وهذا

دالٌّ على ضعفهم وقلة ثقتهم بأنفسهم وبيدئهم.

(١) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٢٤.

(٢) سورة الشعراء: آية ٤٠.

(٣) سورة لقمان: آية ٢١.

(٤) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٣٥٢.

٢. التعصب والاستبداد: يُعدّ التعصب والاستبداد من أهم الأسباب التي أتت إلى ظهور مشكلة التقليد، لما لهما من آثار نفسية واجتماعية كبيرة، حيث إنها تهيم الشخصية الإسلامية وتفكك وحدتها، الأمر الذي يوقع المسلمين في تقليد غيرهم سواء أكان تقليد غيرهم من الأفراد أم تقليد حضارة أخرى، وهذا أدى إلى تراجع الإسلام وتراجع تأثيره في حياة الناس، وفي ذلك يقول الإمام النورسي:

«إن الذي حال دون استيلاء الشريعة الغراء استيلاء تاماً في الماضي في تلك الصحراء الموحشة والجهل المطبق الذي تريع على عرشه التعصب الذميم، وضرب فيه التقليد أطنابه، في بلاد الجهل المخيم بالسفساف والاستبداد المقيت»^(١).
وقد أوضح الإمام النورسي بعدها أن التعصب يسبب سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم.

٣. الخوف والجهل: ساد هذا الداء الذي أصاب الأفراد والجماعات وانتشر في تركيا، فدفح الأفراد إلى التقليد نتيجة حالة التردد والارتباك، إذ يُعدّ الجهل والخوف من العوامل التي تؤدي إلى ضعف الشخصية وانهارها فلا يجد الفرد إلا طريقاً واحداً يُعالج النقص الذي في داخله وهو طريق التقليد، وقد لاحظ الإمام النورسي ذلك بقوله:

«إن من يتوجس خيفة على دينه من انقلاب سياسي، فليس له نصيب من الدين إلا الجهل - الواهي كبيت العنكبوت - الذي يدفعه إلى الخوف، وليس له إلا التقليد الذي يرميه في أحضان الاضطرابات والارتباك»^(٢).
وقد حلّل الإمام النورسي بعبارته مجمل سمات المقلّد، وهي:

ا. أن المقلّد ليس لديه ثوابت أو أسس.

ب. عدم التحاكم إلى لعقل.

(١) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٢٣.

(٢) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٣٨٨.

ج. الضعف النفسي.

د. الارتباك والاضطراب فهو يدور في دوائر الشك والظن.

وقد بين الله ﷻ هذه الصفات في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ

مَا آفَقْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانِ آبَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(١)، وتحديد هذه السمات إنما يدل على قدرة الإمام النورسي على التحليل وتشخيص الأعراض المرضية للمقلد.

المطلب الثالث: الإجراءات العلاجية لمشكلة التقليد

أدرك الإمام النورسي التناقض الذي حصل في عصره، من أنه عصر التقدم والحضارة الحديثة، وفي الوقت ذاته هو عصر الأمراض الاجتماعية المزمنة والمشكلات الفكرية، فسعى رحمه الله إلى تحديد الإجراءات العلاجية المناسبة لمشكلة التقليد، والتي تمثلت بالآتي:

١. الإيمان بالأوامر الإلهية والالتزام بها: أكد الإمام النورسي على أن المدنية الحديثة قد وصلت إلى الشقاء بسبب بعدها عن الأوامر الإلهية، فيما أنها قد سلكت مسلكاً مناقضاً للأوامر الإلهية، فقد عوقبت في الدنيا قبل الآخرة، ويقول في ذلك:

«إن المدنية الدنيوية الظالمة قد عوقبت بكفرانها بالنعمة الإلهية، وعدم إيفائها الشكر لله تجاه ما أنعم الله عليها سبحانه من الخوارق الحضارية، لصرافها تلك الخوارق إلى الدمار، حتى سلبت سعادة الحياة كلياً، وأزدت الناس الذين يعدون في ذروة الحضارة والمدنية إلى أدنى من دركات الوحوش الضالّة، وأذاقتهم عذاب جهنم قبل الذهاب إليها»^(٢).

وكذلك فصل في موضع آخر سلبات المدنية الحديثة وأسساها التي استحققت بموجبها العذاب،

فهي قائمة على القوة والاعتداء والمنفعة، ودمستورها الصراع والتنازع، وعلاقتها البشرية أساسها

العنصرية والتصادم، وهدفها العام النزول بالإنسان إلى دركات الحيوانية بسبب لهائه على الأهواء

(١) سورة البقرة: آية ١٧٠.

(٢) النورسي، الملاحق، ص ١٢٢.

والشهوات، فتحول البشر فيها إلى صور للذئاب والقرود والخنازير في باطنهم، لذلك انتهوا إلى الشقاء^(١)، والخلاصة التي انتهى إليها الإمام التُّوزسي هي التحذير من التقليد، والتببيه إلى ضرورة الاحتكام للأوامر الإلهية، فهي دستور حياة المسلمين الذي لا يستطيعون التخلي عنه، وإن فعلوا ذلك وصلوا إلى نتيجة أسوأ من التي وصلت إليها المدينة الحديثة.

وقد استخدم أساليب تربوية متعددة للتأثير على المجتمع، وهي واضحة في أقواله السابقة منها:
أ. أسلوب الإقناع، بعرضهم على ضرورة التحاكم العقلي، والتفكير الجدي بمآل الحضارة الحديثة.

ب. أسلوب الترهيب الذي يعمل على التأثير الانفعالي بعد عرض التشبيهات المناسبة، ودمجها بالتأثير العاطفي الذي يصاحب ضرورة الشكر على النعم المتعددة التي منحها الله ﷻ للبشر، وبهذه الأساليب يكون علاجه أدعى للقبول.

٢. تقديم البديل للمدينة الحديثة: يُمثل البديل الذي قَدّمه الإمام التُّوزسي للمدينة الحديثة مشروعاً حضارياً سامياً يهدف إلى رفعة البشرية والارتقاء بها.

وقد سطر الإمام التُّوزسي أسساً للمدينة والحضارة الإسلامية التي ترتقي به، كبديل لأسس المدينة الحديثة التي تعمل على هدم الإنسانية، فيقول:

«أما المدينة التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، فهي التي ستكشف بانقشاع هذه المدينة الحاضرة، وتضع أسساً إيجابية بناءة، مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية، نعم: إن نقطة استنادها هي الحق بدلاً من القوة، والحق من شأنه العدالة والتوازن، وهدفها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها المحبة والتجاذب، وجهة الوحدة فيها، والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية: الرابطة الدينية الوطنية والمهنية، بدلاً من العنصرية، وهذه من شأنها الأخوة الخالصة والسلام والوئام، والذود عن البلاد عند اعتداء الأجنبي.

(١) انظر: التُّوزسي، صيقل الإسلام، ص ٥٠١.

ودستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد وتضع الهدى بدل الهوى، ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى رفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات، فهي إذ تحدد الهوى، وتحد من النزعات النفسانية، تُطمئن الروح وتشوقها إلى المعالي»^(١).

ويؤكد الإمام التُّوزسي في قوله السابق أن اجتماع الحضارتين لا ينسجم أبداً فلا بدّ من انقشاع مظاهر المدنيّة الحديثة حتى تحلّ مكانها مظاهر المدنيّة الإسلامية التي تُبنى على أسس بناءة، فبين أسسها وأهدافها وروابطها، ودستورها، وآثارها، كل ذلك في إطار منهجي متكامل مع أسلوب تربوي وإيجاز بليغ مشوّق، فهذا المشروع الحضاري ليس حلاً لمشكلة التقليد فحسب، بل هو حلّ لغالبية المشكلات الاجتماعية التي عانى منها مجتمعه.

٣. تكوين جيل جديد مزوّد بالثقافة الإسلامية: إن الجيل الذي عاصره الإمام التُّوزسي كان في أغلبه مزوّدًا بثقافة إسلامية لكنها ثقافة تقليد، أي معرفة ظواهر الأحكام دون تعمق وتفكر فيها، لذلك نجده يتحدث عن هذا الجيل وعن الآفات الفكرية التي يعاني منها بقوله:

«إن كثيراً منهم - مثلكم - لم يمتصوا الإسلام وما عرفوا إلا ظواهره بالتقليد، والتقليد يتشّتت ويتمزق بإلقاء الشبهات والشكوك، فانظروا مثلاً إذا خاطبتم بعضهم: بأنكم لا دين لكم - وبخاصة من كان منهم سطحيّاً في الدين ومتوغلاً في الفلسفة المادية، فربما يتردد ويشك في أمره بوساوس، من أن مسلكه خارج عن الإسلام، فيشرع بالقيام بأعمال وحركات منافية للإسلام، ناشئة من اليأس والغناد ولسانه يردد: ليكن ما يكون فلا أبالي»^(٢).

فقد بين الإمام التُّوزسي سمات هذا الجيل، من السطحية في العلوم، والتردد، وعدم الثقة بالنفس، وهذا كله نتاج تقليد العلماء أو المشايخ تقليداً أعمى، ولمعالجة هذه المشكلات لا بدّ من الاهتمام بجيل جديد مزوّد بثقافة إسلامية أصيلة وعميقة تكسبه الثقة بالنفس، وهدفه الفوز بالآخرة

(١) التُّوزسي، صيقل الإسلام، ص ٣٥٩.

(٢) التُّوزسي، صيقل الإسلام، ص ٤٠٥.

فَقَبِلْ عَلَى الْحَيَاةِ بِهَمَّةٍ عَالِيَةٍ لِنَيْلِ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ، لِذَلِكَ يُوجِبُ الْكَلِمَاتِ الْمَتَابِعَةَ كَرِسَائِلَ سَرِيعَةً تَنْفِذُ إِلَى الْقُلُوبِ:

«لا خلاص للقلوب والأرواح من قبضة القلق الرهيب، ومن دوامات الاضطراب والخوف، ومن ضماً الضلالة وحرقة نار البُعد عن الله إلا بمعرفة خالق واحد أحد... إذ ما أن يُسَلِّمَ أمر القلوب والأرواح، وأمر كل الموجودات إلى خالق واحد أحد حتى تجد راحتها، وتحظى بخلاصها من عناء تلك الزلازل النفسية المدمرة، وتسكن من ذلك القلق وتستنقر وتطمئن»^(١).

فمرتکز الثقافة للجيل الجديد ومنطلقها الرئيس معرفة الخالق، ولا يخفى على أحد انعكاسات هذا البناء النفسي وأبعاده التربوية لدى الفرد، فله دور كبير في حفظ الشخصية من الضياع والاختلال، وهو ما تحتاج إليه البشرية في هذا الزمان، والتخلص من الخوف والقلق والتوتر، ولو تأملت التربية المعاصرة أسباب ما آلت إليه الحياة في هذا الزمان، لأدركت أن سببه افتقار الشخصية الإنسانية إلى هذا البُعد النفسي، في ربط الإنسان بخالقه بالإيمان والتوكل عليه ﷻ. ويتابع الإمام بالتبني على أن العلم لا يكفي وحده، بل لا بد من اقتران العلم بالعمل ليكون الجيل الجديد فاعلاً في الحياة، وبذلك يستطيع التخلص من مشكلاته الحاضرة، فيقول:

«إن الدين ليس عبارة عن الإيمان فقط، بل العمل الصالح أيضاً هو الجزء الثاني من الدين، فهل يكفي الخوف من السجن أو من شرطة الحكومة لكي يبتعد مقترفو الكبائر عن الجرائم التي تُسمم الحياة الاجتماعية»^(٢). وبذلك وضع الإمام التورسي يده على الآفة والعلة، ليُعالج الأمر بضرورة العلم العميق المصاحب للتفكير بمعرفة الخالق الواحد الأحد واتباع منهجه، بالإضافة إلى التطبيق العملي لهذا العلم بالعمل الصالح الناتج عن قناعة ووعي حقيقيين، والنتيجة هي إخراج جيل واعٍ يتمتع بالمعرفة الصحيحة، والأعمال الثابتة الراسخة، التي لا تستطيع أي قوى أو حضارة تغييرها.

(١) التورسي، الكلمات، ص ٧٩٣.

(٢) التورسي، سيرة ذاتية، ص ٣٤٣.

٤. الخطاب العاطفي للذات الإنسانية: يوجه الإمام الثوزسي رسالة للمقلدين والتي تحمل بين طياتها أساليب إرشادية، ومنهاجاً تربوياً للمسلم في وقت الأزمات؛ لأنها نابعة من الأصول الإسلامية الراسخة، وهذه الرسالة هي:

«أيتها النفس: لا تقلدي أهل الدنيا، ولا سيما أهل السفاهة وأهل الكفر خاصة، منخدعةً بزينتهم الظاهرية الصورية، ولذا نذهم الخادعة غير المشروعة، لأنك بالتقليد لا تكونين مثلهم قطعاً، بل تتردين كثيراً جداً، بل لن تكوني حيواناً أيضاً، لأن العقل الذي في رأسك يصبح آلة مشنومة مزعجة، تنزل بمطارقها على رأسك، إذ إن كان ثمة قصر فخم فيه مصباح كهربائي عظيم، تشعبت منه قوة الكهرباء إلى مصابيح أصغر فأصغر موزعة في منازل صغيرة مرتبطة كلها بالمصباح الرئيس، فلو أطفأ أحدهم المصباح الكبير، فسيعم الظلام في المنازل الأخرى كلها وتستولي الوحشة فيها، ولكن لأن هناك مصابيح في قصور أخرى غير مربوطة بالمصباح الكبير في القصر الفخم، فإن صاحب القصر هذا إن أطفأ المصباح الكهربائي الكبير فإن مصابيح صغيرة تعمل على الإضاءة في القصور الأخرى، ويمكنه أن يؤدي بها عمله، فلا يستطيع اللصوص نهب شيء منه»^(١).

وقد خطا الإمام بالنفس الإنسانية خطوات واسعة، إذ استطاع أن ينقلها هماً وتفكيراً وحساً، إلى أضعاف ما تتادي به النظريات المثالية اليوم، فبث بذور الشخصية الإسلامية المستقلة بشعورها وأحاسيسها وهمومها، بوساطة أسلوبه المؤثر، ولغته البليغة التي تمتاز بقوة التشبيهات التي تقرب المعنى من النفوس بسلاسة ودون تكلف.

فما السجن ولا النفي إلا شكل من أشكال الحرمان الاجتماعي المؤقت، وبزوالهما يزول الامتناع عن الفعل الإجرامي، لذا كانت وسائل التربية المعاصرة في الكف عن الجرائم الاجتماعية قاصرة لاعتمادها على الوسائل المادية أكثر من غيرها، وإهمال الوسائل المعنوية التي تؤكد على ضرورة الخطاب العقلي والعاطفي للنفس الإنسانية.

(١) الثوزسي، الكلمات، ص ٤١٧.

وبهذا عمل الإمام التُّوزسي على استثمار الصلة بين الحقائق النفسية للفرد والحقائق الاجتماعية، فاستثمار الحقائق الناتجة عن الدراسات النفسية في القضايا الاجتماعية كثيراً ما يسهم في تحقيق الرؤية الشاملة والمتكاملة للحقائق الإنسانية، كما يسهم في التقريب بين علماء النفس وعلماء الاجتماع في ضرورة وحدة الهدف للوصول إلى علاج المجتمع من مشكلاته.

وختاماً يمكن القول بأن الإجراءات العلاجية التي قدمها الإمام التُّوزسي هي بناء محكم متوازن من الحثيات الآتية:

أ. من حيث الجمع بين النظرية والتطبيق، وإعطاء التوجيهات العملية اللازمة لتعديل السلوك المرغوب.

ب. من حيث التكامل في توجيه الخطاب لجميع مكونات الإنسان النفسية والعقلية.

ج. ومن حيث وحدة الهدف ببناء جيل حضاري قادر على القيادة والريادة، يتسم بالاستقلالية والثقة بالنفس.

د. ومن حيث الجمع بين الحقائق النفسية والحقائق الاجتماعية والحقائق التاريخية، الأمر الذي يحقق التكامل بين المناهج التربوية، ويُعطيها الواقعية في الطرح والثبات والمصداقية في العطاء.

والفائدة المحصلة من ذلك كله: التأثير المباشر على ملكات الإنسان وقدراته وتربيتها، ثم السيطرة عليها وتوجيهها وجهة موحدة، حتى لا تشذ قوة من تلك القوى، فتدمر القوى الأخرى المتوازنة معها، إذ إن النظرة الأحادية في معالجة المشكلات الاجتماعية ستؤدي إلى زعزعة كبيرة في حياة الإنسان، ثم في حياة مجتمعه، بينما النظرة الشمولية التي تحاول أن تنظر إلى المكونات الإنسانية نظرة متوازنة متكاملة، ستؤدي إلى تكوين متوازن؛ لأن كل قوة من تلك القوى ستسير في مسارها الفطري الصحيح.

المبحث الثاني

مشكلة الترف الاستهلاكي

عاش الإمام النورسي في بيئة اجتماعية إسلامية، غير أن قيم المجتمع الاستهلاكي في زمانه تتناقض مع قيم المجتمع الإسلامي بصورة عامة، إذ كانت السمة الأساسية للمجتمع الاستهلاكي هي استحداثه لمتطلبات جديدة باستمرار تفرضها عوامل داخلية وعوامل خارجية، وهذه المتطلبات ليست من الضرورات أو الحاجيات، بل مجرد كماليات وهمية فرضتها عوامل التقليد والمدنية الحديثة.

ولم يقف الإمام النورسي مكتوف اليدين أمام هذه المشكلة، بل واجهها بواقعية من الناحية النظرية والتطبيقية، ومن خلال الاطلاع على كليات رسائل النور عرضت مشكلة الترف الاستهلاكي من منظور الإمام النورسي ومنطلقاته من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم الترف الاستهلاكي.

المطلب الثاني: أسباب مشكلة الترف الاستهلاكي.

المطلب الثالث: ضوابط ترشيد الاستهلاك.

المطلب الرابع: الإجراءات العلاجية لمشكلة الترف الاستهلاكي.

المطلب الأول: مفهوم الترف الاستهلاكي

تتسع مفاهيم الاستهلاك لتشمل: الإنفاق، والشراء، والإتلاف، والإشباع، والإسراف، والتبذير، والتبديد، والأكل^(١)، وبذلك فقد حمل هذا المفهوم دلالات سلبية خاصة في الاستخدامات الانجليزية له، حيث يعني الإهلاك والاستنزاف^(٢)، ويُعرف الاستهلاك بأنه: "الاستعمال الأخير للسلع والخدمات في إشباع الحاجات والرغبات الإنسانية"^(٣).

والذي يتضح من مفهوم الاستهلاك؛ أن اتساع المدلول اللغوي له، وعدم تحديده بإطار منضبط يُعَرِّضه إلى الفهم السلبي الذي يقبله إلى مشكلة، خاصة إذا وصل إلى حدّ الترف والتبديد والتبذير، ومن هنا انطلقت مشكلة الترف الاستهلاكي.

وقد أطلق الإمام النُّوزسي على مفهوم مشكلة الترف الاستهلاكي تسميات أخرى تتوافق مع مرتكزات التعريف، إذ عبر عنه بمفهوم الإسراف والعبثية، وكل ما يعبر عن مجاوزة الحد في الأخذ من ملذات الحياة وشهواتها، وكذلك المبالغة في الإنفاق بقصد المباهاة والغرور.

وهذا المفهوم الذي حدده الإمام النُّوزسي في رسائل النور عن طريق سلوكيات سلبية تُوصل المجتمع إلى المشكلة، بينها من خلال أقواله، منها:

١. كثرة الإسراف والعبث الذي يُفقد الفرد الإحساس بقيمة الأشياء:

ذَكَرَ الإمام النُّوزسي المسرف بأن الله ﷻ لا يُسرف في الخلق، ولا يمكن أن يخلق شيئاً عبثاً، فليُنظر الإنسان إلى ما حوله من مخلوقات، فلم توجد إلا لغاية، فكل شيء له قيمة على الإنسان

(١) انظر: الرماني، زيد بن محمد، المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية، د.ط، رابطة العالم الإسلامي، د.م، ١٤١٥هـ، ص ١٤، بتصرف.

(٢) انظر: سكوت، جون، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان، ط ١، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ٣٥، بتصرف.

(٣) الرماني، المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية، ص ١٩.

إدراكها، وعلى العكس من ذلك، فإن المسرف يصل إلى هذا المرض حينما يفقد الإحساس بقيمة الأشياء والموجودات، بقوله:

«إن الخالق الحكيم سبحانه لا يسرف في شيء قط، ولا يعمل عبثاً مطلقاً إذ يستعمل حتى الأنقاض المادية للمخلوقات الميتة - التي انتهت مهماتها في الخريف - في بناء مخلوقات جديدة في الربيع»^(١).

يُربي الإمام الإنسان المسرف على شكر النعم والإحساس بقيمة الأشياء، وأن كل شيء له غاية، ويمكن الإفادة منه، وهذه حكمة بحد ذاتها.

٢. الإهمال الذي يجعل الإنسان غير منتظم في حياته ولا يُدرك الضروري من غيره.

يُعطي الإمام التُّوزسي مثلاً على صفات الله ﷻ، بأنه لا يخلق عبثاً ولا يُهمل أي شيء لأن الخلق في انتظام دوماً، فيقول:

«العالم جميل، فصانعه إذاً حكيم، لا يخلق عبثاً، ولا يسرف في شيء، ولا يهمل الاستعدادات والقابليات، أي سيكمل الانتظام دوماً، أي لا يسلب على الإنسان الهجران الأبدي والعدم الذي يمحي الكمالات ويقتل الأمل، فلا بدّ إذاً من سعادة أبدية»^(٢).

وحتى يكتمل المعنى العام للمشكلة أشار الإمام إلى عدة مفاهيم في مقابل الترف الاستهلاكي،

تزيد من توضيحه، منها:

• مصطلح الرزق الحقيقي: يُشير الإمام التُّوزسي إلى أن الرزق الذي بيد المُسرف هو رزق وهمي

ضائع لا فائدة منه، ويبيّن مفهوم الرزق الحقيقي، بقوله:

«إن مفهوم الرزق الحقيقي الذي نتوقف عليه حياة المرء، ويستطيع المرء الحصول على ذلك الرزق الضروري مهما كانت الأحوال، إن لم يتدخل سوء اختياره، دون أن يضطر إلى فداء دينه ولا التضحية بشرفه وعزته»^(٣).

(١) التُّوزسي، الكلمات، ص ٦٢٢.

(٢) التُّوزسي، صيقل الإسلام، ص ١١٠.

(٣) التُّوزسي، اللغات، ص ٢١٦.

وهنا يُشير إلى ضرورة اقتران الرزق بالاستهلاك الضروري، وعدم إفساده بسوء التصرف وسوء الاختيار.

• وكذلك أطلق مصطلح الاقتصاد: والذي يوافق ترشيد الاستهلاك في المعنى والمضمون، ويقابل مفهوم الترف الاستهلاكي.

وإذا رجعنا إلى مفهوم الاستهلاك في الاقتصاد الإسلامي فهو: "التناول الإنساني المباشر للسلع والخدمات، لإشباع رغبات الإنسان وحاجاته"^(١)، والأصل في الإنسان استهدافه للتوازن والاعتدال، أي أن الاستهلاك جزء من الرشد الاقتصادي، والتوازن ينفي الانطلاق نحو الحد الأقصى للإشباع، كما ينفي السقوط في الحد الأدنى، فالتوسط بين الشبع والجوع هو الاعتدال الذي يحقق التوازن، والرشد من لا يأكل حتى يجوع، وإذا أكل لا يشبع^(٢)، لذا نجد الإمام التوزسي يشوق القارئ إلى هذا المفهوم بقوله:

«إن الاقتصاد هو شكر معنوي، فهو توقير للرحمة الإلهية الكامنة في النعم والإحسان... وهو سبب حاسم للبركة والاستكثار.. وهو مدار صحة الجسد كالحمية، وهو سبيل إلى العزة بالابتعاد عن ذل الاستجداء المعنوي، وهو وسيلة قوية لإحساس ما في النعم والآلاء من لذة، وهو سبب متين لتذوق اللذائذ المخبأة في ثانيا نعم تبدو غير لذيدة، ولكون الإسراف يخالف الحكم المذكورة آنفاً باتت عواقبه وخيمة»^(٣).

وفي العبارة السابقة إشارة إلى ما ذكر سابقاً من مخالافات للسنن الإلهية والتي يقوم بارتكابها الإنسان المسرف، وذلك بكثرة إسرافه وعبثه في الموجودات بغير فائدة، وعدم إحساسه بقيمة المخلوقات والأشياء، بالإضافة إلى إهماله الضروري في الحياة، وتنازله عن دينه عند مخالفة الأحكام الشرعية، وعدم الإحساس بنعم الخالق وشكرها.

(١) الرماني، المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية، ص ٢٣.

(٢) انظر: الرماني، المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية، ص ٨٨، بتصريف.

(٣) التوزسي، اللغات، ص ٢١٢.

فافتراض الرشد الاقتصادي بالنسبة للمستهلك يركز على أن يكون له هدف معين من استهلاك السلعة، وهو تحقيق أقصى فائدة أو منفعة، أي بإمكانه تقويم الفائدة والضرر من السلعة^(١).

وكذلك أكد الإمام النورسي على خطورة صورة من صور الترف الاستهلاكي، وهي الترف في الطعام التي تؤدي إلى نتائج وخيمة، أو كما سماها "صفعات موجعة"، ويقاس على ذلك الترف في اللباس، وفي الشراب، وفي السكن والبيوت إلى غير ذلك من مظاهر الحياة وحاجاتها، مشيراً بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾^(٢).

المطلب الثاني: أسباب مشكلة الترف الاستهلاكي

يرجع الإمام النورسي مشكلة الترف الاستهلاكي إلى عدة عوامل، يمكن تصنيفها إلى سببين رئيسيين؛ أسباب داخلية وأسباب خارجية، وهي:

١. الأسباب الداخلية: وهي التي تنبثق من قلة الحكمة والركون إلى الدنيا، بالإضافة إلى اللهو والهوى، ويدعمها وجود قدوة سيئة تُسير الناس وتَحضهم على الإسراف والتبذير.

وقد بين شطناوي عدداً من أسباب الترف الاستهلاكي عند الإمام النورسي، وهي: المبالغة في الإسراف بسبب عدم القناعة، والإغراق في الكماليات، وحب التقليد، والتأثر بالدعاية والإعلان^(٣)، وقد بينتها في مواضع متعددة، منها:

«أيتها النفس: لا تقلدي أهل الدنيا، ولا سيما أهل السفاهة وأهل الكفر خاصة، منخدعة بزينتهم الظاهرية الصورية، ولذائهم الخادعة غير المشروعة، لأنك

(١) انظر: الرماني، المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية، ص ٩٥، بتصرف.

(٢) سورة الإسراء: آية ١٦.

(٣) انظر: شطناوي، يحيى ضاحي، حلول الحد من عادات الاستهلاك في ضوء رسائل النور للنورسي، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبيدع الزمان سعيد النورسي، استانبول، ٢٠١٠م، ص ٥٣٨-٥٤٣، بتصرف.

بالتقليد لا تكونين مثلهم قطعاً، بل تتردين كثيراً جداً، بل لن تكوني حيواناً أيضاً، لأن العقل الذي في رأسك يصبح آلة مشنومة مزعجة، تنزل بمطارقها على رأسك»^(١). فإذا استبدت آفات الهوى واللهو والسفاهة وأطلق عنانها في الشخصية الإنسانية، فإنها ستعيثُ فساداً في طرائق تفكير الناس، ويزداد الأمر تعقيداً عند وجود قدوة للناس تحضهم على الترف والإسراف، ويُشير الإمام النُوزسي إلى بُعد تربيوي مهم وهو وجود القيم السلبية المقترنة بالترف الاستهلاكي، مثل سمة ضعف الشخصية والأنانية، فالمترف سلك الطريق الضار بسبب تقليده وضعف شخصيته المزوجة بالأنانية والعناد، يقول الله تعالى عنه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾^(٢).

٢. الأسباب الخارجية: وقد جمعها الإمام النُوزسي في مخلفات المدنية الحديثة، من قيامها بتهيج الشهوات، والكسب الحرام، والظلم، والغبن، والتخاصم والصراع، وكل واحدة منها آفة فكرية تسبب مشكلة الترف الاستهلاكي، بل إنها منظومة مكونة لهذه المشكلة وعامل مباشر أو غير مباشر في تكوين هذا المرض الاقتصادي.

ففي البلد المتخلف تفرض الأشياء طغيانها بسبب ندرتها، فينعكس ذلك بالميل نحو التكديس الذي يتحول إلى إسراف محض، ويعكس ذلك في البلد المتقدم، فان سيطرة الأشياء تكون بسبب وفرتها، فينعكس ذلك بالشعور بالإشباع، الذي يولد الرقابة ثم الهروب إلى التغيير في أطر الحياة، والذي يسمى الموضة^(٣).

وقد فصل الإمام النُوزسي كلاماً مطولاً في بيان ذلك، حيث قال:

(١) النُوزسي، الكلمات، ص ١٧٤.

(٢) سورة سبأ: آية ٣٤.

(٣) انظر: بن نبي، مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة، واحمد شعيبو، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م، ص ١٠، بتصرف.

«كان البشر في عهد البداوة تعوزهم ثلاثة أو أربعة أشياء، وكان اثنان من كل عشرة أشخاص يعجزان عن تدارك تلك الأشياء الثلاثة أو الأربعة، بينما في الوقت الحاضر تحت سطوة المدنية الغربية المستبدة المتميزة بإثارة سوء الاستعمال، والدفع إلى الإسراف، وتهيج الشهوات، وإدخال الحاجات والمطالب غير الضرورية في حكم المطالب والحاجات الضرورية؛ فقد أصبح الإنسان العصري من حيث حبّ التقليد والإيمان مضطراً إلى عشرين حاجة بدلاً من أربع منها ضرورية.

وقد لا يستطيع إلا بشكل مباح، ويبقى الآخرون الثمانية عشر محتاجين وفقراء، فهذه المدنية الحاضرة إذاً تجعل الإنسان فقيراً جداً ومعوزاً دائماً، ولقد سافت البشرية - من جهة تلك الحاجة - إلى مزيد من الكسب الحرام، وإلى ارتكاب أنواع من الظلم والغبن وشجعت طبقة العوام المساكين على الصراع والتخاصم المستمر مع الخواص»^(١).

وفي موضع آخر يقول:

«والقرآن الكريم النازل رحمة للعالمين لا يقبل إلا طرازاً من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية، بينما المدنية الحاضرة قد أطلقت الأهواء والنوازع من عقالها، فالهوى حرّ طليق طلاقة البهائم، بل أصبح يستبدّ والشهوة تتحكم، حتى جعلنا الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية، وهكذا مُحيت راحة البشرية، إذ كان الإنسان في البداوة محتاجاً إلى أشياء أربعة، بينما أفقرته المدنية الحاضرة الآن وجعلته في حاجة إلى مائة حاجة وحاجة»^(٢).

ويلاحظ تأكيد الإمام النُوزسي على التغيير الاجتماعي السريع في الحاجات الاقتصادية، وهذه من أخطر مخلفات المدنية الحديثة، إذ فقد الناس التمييز بين الحاجات الضرورية وغير الضرورية، فأصبحت حاجاتهم تتزايد إلى حدّ كبير على حساب أفراد آخرين.

(١) النُوزسي، الملاحق، ص ٣٧٨.

(٢) النُوزسي، الكلمات، ص ٨٥٦.

وما سبق يُثبت أن المسرف كثير التقليد، متبع للباطل دون وعي أو تعقل وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾^(١).

المطلب الثالث: ضوابط ترشيد الاستهلاك

حدّد الإمام النُّوزسي ضوابط ترشيد الاستهلاك، وهذه الضوابط تعمل على منع الترف الاستهلاكي، وتعدّ قوانين عامة تضبط المشكلة، ويمكن إجمال هذه الضوابط بالآتي:

الضابط الأول: سلم الأولويات في الحاجات الإنسانية

ويُقصد بالأولويات: تلك القاعدة المبنية على فهم الأنسب والأجدر من الأعمال، ومعرفة فاضل الأعمال ومفضولها، وراجحها ومرجوحها، بناءً على العلم بمراتبها، وبالواقع الذي يتطلبها بغرض تحقيق أهم المصالح بأخف الأضرار، مع ملاحظة النتائج التي يؤول إليها تطبيق تلك الأعمال^(٢).

أما الحاجة: فهي الرغبة في مطلب إنساني يؤدي تحقيقها والاستجابة إليها إلى إنماء تطوير الطاقات البشرية المستخلقة في عمارة الأرض، في ضوء نمط الاستهلاك الإسلامي ومحدداته^(٣). ولم تكن الحاجات الإنسانية بمنزلة واحدة عند النُّوزسي، بل تفاوتت؛ فمنها الضرورات ومنها الحاجيات ومنها الكماليات أو التحسينيات، فكانت كلمات الإمام النُّوزسي مؤكدة على ضرورة الاقتصاد على الضروري، بالإضافة إلى تأكيده على معرفة الضرورات الدينية، ومن ذلك قوله:

(١) سورة الزخرف: آية ٢٣.

(٢) انظر: صالح، نهيل علي، مراعاة الأولويات في الإسلام ودلالاتها التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠٠٥م، ص ٢٨.

(٣) انظر: النيل، حسن عبدالله، المفاهيم الاقتصادية عند الإمام النُّوزسي، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبيدع الزمان سعيد النُّوزسي، استانبول، ٢٠١٠م، ص ٥٢١، بتصرف.

«إن الضروريات الدينية التي لا مجال للاجتهاد فيها، والتي هي في حكم الغذاء والقوت للمسلمين قد أهملت وتزلزلت، فلا بد من صرف كل الهمة لإقامتها وامتثالها وإحيائها»^(١).

وقد بين الإمام النورسي حال المسلمين في عصره من إهمال هذه الضرورات والعلم بها، فدعا إلى معرفتها وتطبيقها في الحياة، وكذلك بين فائدة الإقتصار على الضروري من رغد في العيش والبركة في الرزق بقوله:

«لو اقتصر الإنسان على الحاجات الضرورية واختصرها وحصر همه فيها؛ فسيجد رزقاً يكفل عيشه من حيث لا يحتسب وذلك بمضمون الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣)»^(٤).

وبهذا ظهر أن المدنية الحديثة أطلقت الأهواء والنوازح، فجعلت الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية، وزاد الأمر سوءاً حين اختلط على الناس أمرهم، ففقدوا تمييز الضروري من غيره، بسبب ازدحام الحاجات وكثرتها، وكثرة العوامل التي تثيرها، ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥)، وقد أشار النورسي إلى ضابط مهم من ضوابط ترشيد الاستهلاك وهو سلم الأولويات، فهناك الأهم والمهم، وتحكم هذه الأولويات مقاصد الشريعة والحكم الإلهي، وفي ذلك قال الإمام النورسي:

«في الإنسان رغبة ملحة شديدة للبقاء، فلا يحقق له هذه الرغبة إلا من يتصرف في الكون كله بسهولة مطلقة، يفتح باب الآخرة بعد أن يسد باب دار الدنيا، كفتح باب منزل وغلق آخر، ففي الإنسان ألوف من الرغبات الإيجابية والسلبية أمثال هذه

(١) النورسي، المثنوي العربي النوري، ص ١٨٢.

(٢) سورة الذاريات: آية ٨٥.

(٣) سورة هود: آية ٦.

(٤) النورسي، اللمعات، ص ٢١٦.

(٥) سورة يونس: آية ١٢.

الرغبة، رغبة البقاء، تلك الرغبات ممتدة إلى جهة الأبد والخلود، ومنتشرة في أقطار العالم كله»^(١).

ويشير الإمام النُّوزسي إلى خلاصة القول بشأن هذه القاعدة، فطالما أن الرغبات والحاجات ممتدة فلا وسيلة لإشباعها وضبطها إلا بالحكم الإلهي، إذ إن هناك أولويات في الحاجات الإنسانية، تقيد الطغيان فيها.

الضابط الثاني: القناعة

وقد ضرب الإمام النُّوزسي القناعة في مقابل الحرص والإسراف، فعزف القناعة بقوله:

«إن القناعة شكران رابح، بينما الحرص كفران خاسر، والاقتصاد توقيير للنعمة جميل ونافع، بينما الإسراف استخفاف بالنعمة مضرّ ومشين، فإن كنت راشداً فعوّد نفسك على القناعة وحاول بلوغ الرضى، وإن لم تطق ذلك، فقل: يا صبور! وتجمل بالصبر، وارضَ بحقك ولا تشك، والمسلم ممن وإلى من يشكو! إلزم الصمت، وإذا أردت الشكوى لا محالة فاشك نفسك إلى الله، فإن القصور منها»^(٢).

يضع الإمام النُّوزسي ضابطاً لترشيد الاستهلاك وهو القناعة؛ لأنها خير ضابط للاستهلاك، فهي تمنع هيجانه وتحده، وهي مقياس شكر الله ﷻ على نعمه، أما الترف الاستهلاكي والحرص والإسراف فهي مقياس لعدم الشكر، وقد قال في ذلك:

«إن مقياس الشكر هو القناعة، والاقتصاد والرضا والامتنان، أما مقياس عدم الشكر والاستغناء عنه فهو الحرص والإسراف، وعدم التقدير والاحترام، وتناول كل ما هبّ ودبّ، دون تمييز بين الحلال والحرام»^(٣).

كما بيّن الإمام مخاطر عدم القناعة وضررها على الإنسان، وذلك بتحليل تأثير الحرص

على النفس الإنسانية، وذلك عند تعليقه على قول الإمام أبي حنيفة النعمان، حيث قال:

(١) النُّوزسي، الشعاعات، ص ١٩.

(٢) النُّوزسي، المكتوبات، ص ٣٦٩.

(٣) النُّوزسي، المكتوبات، ص ٤٧٢.

«قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان: (لا إسراف في الخير كما لا خير في الإسراف)، أي كما لا إسراف في الخير والإحسان لمن يستحقه، كذلك لا خير في الإسراف قط. إن الإسراف ينتج الحرص، والحرص يولد ثلاث نتائج:

أولها: عدم القناعة وعدم القناعة هذا يثني الشوق عن السعي وعن العمل، بما يبيت في نفس الحريص من الشكوى بدلاً من الشكر، قاذفاً به إلى أحضان الكسل فيترك المال الزهيد النابع من الكسب الحلال، ويبادر بالبحث عما لا مشقة ولا تكليف فيه من مال غير مشروع، فيهدر في هذه السبيل عزته بل كرامته.

النتيجة الثانية للحرص: الخيبة والخسران إذ يفوت مقصود الحريص ويتعرض للاستئقال، ويحرم من التيسير والمعاونة حتى يكون مصداق القول المشهور، الحريص خائب خاسر، إن تأثير الحرص والقناعة يجري في عالم الأحياء على وفق دستور شامل وسنة مطردة...

والنتيجة الثالثة: أن الحرص يُتلف الإخلاص ويُفسد العمل الآخروي؛ لأنه لو وُجد حرصٌ في مؤمنٍ تقيٍ لرغب في توجيه الناس وإقبالهم إليه، ومن يرقب توجه الناس وينتظره لا يبلغ الإخلاص التام قطعاً ولا يمكنه الحصول عليه، فهذه النتيجة ذات أهمية عظيمة جدية بالدقة والملاحظة»^(١).

والظاهر من قول الإمام التوزمي السابق أنّ القناعة والحرص لا يتفان وبينهما علاقة عكسية، فكما زاد الحرص، اختفت القناعة، وبالتالي ازداد الخسران والشكوى والاعتراض على قدر الله ﷻ، وقد يجلب الخمول والكسل، والتعسير في الحياة بسبب غضب الله ﷻ، وفي المقابل يكون القنوع هو الذي ينال التيسير في الحياة بسبب شكره الله ﷻ على نعمه الظاهرة والباطنة، والذي يرافقه العمل والنشاط والإخلاص.

والخلاصة أن الإمام التوزمي يؤكد على ضرورة أن لا يميل الإنسان إلى البخل والحرص بحجة ترشيد الاستهلاك، فبإمكانه أن يلتزم بضابط القناعة دون اللجوء إلى مرض آخر أشد صعوبة منه وهو الحرص، وهذا الأمر دالٌّ على قدرة الإمام التوزمي في توقع ما قد تفهمه النفس الإنسانية

(١) التوزمي، اللغات، ص ٢٢٠-٢٢٢.

من أخذ كلامه على غير محمله أو المبالغة في التطبيق، والذي ينتج أمراضاً نفسية واجتماعية هو في غنى عنها.

الضابط الثالث: المحافظة على النظام والتوازن في كل أمور الحياة

عندما ينظر الإنسان في الكون يجد النظام في كل أمور الحياة، وهذه سنة كونية واجتماعية، فإذا خالف الإنسان هذه السنن واصطدام بها فهو معرض للمصائب والخسارة في نفسه وفي بيته، لذا عليه التنبه لهذه السنن، وهذا واضح في حديث الثوري عن نظام الكائنات الأكمل، إذ يقول:

«إن في الكائنات نظاماً أكمل، وإن في الخلق حكمة تامة وأن لا عبثية في العالم، ولا إسراف في الفطرة»^(١).

والنظام يتطلب عدم الإسراف، والتوازن في السلوكات والتصرفات، فهذه من فطرة الإنسان، ومن يصطدم بفطرته ويخالفها، تعاقبه فطرته بالتعاسة الأبدية في الدنيا والآخرة، لذا فإن الإنسان المتوافق مع فطرته مرشح للسعادة الأبدية.

وقد بين الإمام الثوري أن الإنسان بكل ما حوله حتى في نفسه لا يتوافق مع الإسراف، فيقول:

«إن عدم الإسراف في الفطرة الثابت بشهادة علم منافع الأعضاء، ولاسيما في العالم الأصغر - الإنسان - يدل على عدم الإسراف في الاستعدادات المعنوية للإنسان وآماله وأفكاره وميوله، وهذا يعني أنه مرشح للسعادة الأبدية»^(٢).
وسر السعادة الأبدية التي تحدث عنها الإمام هي التوازن في كل شيء، وقد ضرب لنا مثلاً تربوياً "وهو استعدادات الإنسان وميوله"، إذ أشار أنها متوازنة معتدلة بتطبيقها وفطرتها، ولا إسراف

(١) الثوري، صيقل الإسلام، ص ١٥٩.

(٢) الثوري، صيقل الإسلام، ص ١٦٠.

فيها، وهذه سنة ربانية، وهذا هو التوازن الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١).

المطلب الرابع: الإجراءات العلاجية لمشكلة الترف الاستهلاكي

أشار الإمام النورسي إلى مجموعة من الوسائل العلاجية لمشكلة الترف الاستهلاكي، والتي قرن فيها النظرية بالتطبيق، بالإضافة إلى واقعية وسائله ومعاينتها للظروف والأحوال السائدة في مجتمعه، فأكد على تحديد الغاية من الحياة، بالإضافة إلى ضرورة تهذيب النفس، وأخيراً أوجد البديل للحالة التي يعيشها مجتمعه من ترف الاستهلاك، وهو ما سماه "الاقتصاد" وتفصيل ذلك بالخطوات الآتية:

١. تربية المسلم على التفريق بين الغاية والوسيلة: يُعدّ التفريق بين الغاية والوسيلة من أولى الوسائل التي حرص الإمام النورسي على تربيتها في نفس المسلم، معتمداً على أن توجّه الفرد إلى الدنيا وملذاتها توجّهاً كلياً من مصائب المجتمع التي جرّت عليه أنواع البلى التي أودت به إلى الدرك الأسفل.

وبالطبع فإنّ تحصيل السعادة في الدنيا محال إلا إذا كانت وسيلة إلى سعادة حقيقية هي سعادة الآخرة، وفي ذلك يقول:

«وكذا نظرُ هذا الزمان يتوجه أولاً وبالذات إلى السعادة الدنيوية، مع أن نظر الشريعة متوجه أولاً وبالذات إلى السعادة الآخروية... وكذا إن كثيراً من الأمور التي ابتلي الناس بها، وعمت البلية بها حتى صارت من الضروريات؛ فتلولدها من سوء الاختيار، ومن الميول غير المشروعة»^(٢).

(١) سورة الفرقان: آية ٦٧.

(٢) النورسي، المثنوي العربي النوري، ص ١٨٣، باختصار.

٢. تهذيب النفس الإنسانية: اهتم الإمام النورسي بشكل عام بموضوع الإنسان، فهو أكرم الخلق، وسيد الموجودات، فسعى إلى تربيته وتهذيبه، للخلاص من المشكلات المتنوعة التي أوقع نفسه بها في كل الأزمان، ولهذا نجده يوجه عنايته إلى الإنسان في الخطاب، وتهذيب نفسه وترقيتها في مدارج الكمال، ورفع طموحها للسعادة الأخروية، فطلب منه الترفع عن اللذة الظاهرية الزائلة والوهمية، وذلك بنصحه قائلاً:

«يا أخي المسرف: لقمتان معذبتان، أحدهما بقرش والأخرى بعشرة، فهما سيان قبل دخولهما الفم، وسيان كذلك بعد مرورها من الحلقوم، فلا فرق إلا ذوق يدوم لبضع ثوان، للغافل الأحمق، إذ تخدعه حاسة الذوق دوماً بهذا الفرق، فهذه الحاسة حارسة الجسم وناظرة مفتشة للمعدة لها تأثير سلبي لا إيجابي، إن أصبحت وظيفتها يدفع أحد عشر قرشاً بدلاً من واحد، فيجعلها تابعة للشيطان، لا تقترب من هذا، فيسوقك إلى أبشع أنواع الإسراف وأفظع أنواع التبذير»^(١).

وقد أكد الإمام النورسي في نصيحته التي قدمها بأسلوب تربوي يملؤه الحرص على مصلحة المسلم، على التأثير السلبي لحاسة الذوق إن سعى الإنسان لإرضائها ووجه كل طاقاته لإشباعها، فمهما بذل الإنسان لها من قدرات وطاقات فلا يمكن أن تدوم، وهذه خسارة وحمق، فالزيادة والإسراف لا يفيدان بشيء إلا إرضاء حاسة الذوق السلبية فقط.

ولم يكتف بذلك بل وجه الإنسان إلى الطريقة التي يعالج بها هذا الأمر وهي إقناع النفس بأنها أكلت، وتكرار ذلك حتى يقضي على متطلبات حاسة الذوق بالقدرة على الإقناع والإيهام، وفي ذلك يقول:

«لقمة بفلس واحد، وأخرى بعشرة فلوس مثلاً كلتاها متساوية قبل دخولهما الفم، وبعد مرورهما من الحلقوم مع فارق واحد هو تلذذ الفم بها لعدة ثوان، لذا فإن صرف عشرة فلوس بدلاً من فلس واحد إرضاءً لحاسة الذوق الموظفة بالتفتيش والحراسة أسفه أنواع الإسراف، كلما نادى اللذائذ ينبغي الإجابة بـ"كأنني أكلت"

(١) النورسي، الكلمات، ص ٨٦٧.

فالذي جعل هذا دستوراً له كان بوسعهِ أن يأكل مسجداً مسمى بـ"كأنني أكلت" فلم يأكل»^(١).

٣. توجيه الإنسان إلى مفهوم الاقتصاد الذي عُدَّه بديلاً للعادات الاستهلاكية السلبية:

والاقتصاد مفهوم واسع عند الإمام التُّوزسي، يأتي في مقابل الترف الاستهلاكي، وله فضائل متعددة، ذكرها الإمام في مواضع متعددة من رسائله، غير أنه خصص اللمعة التاسعة عشرة في

شرحه وسماها: رسالة في الاقتصاد^(٢)، ومن المواضع التي أظهرت فضل هذا المفهوم، قوله:

«أما الاقتصاد فإنه يثمر القناعة، والقناعة تنتج العزة، استناداً إلى الحديث الشريف: (عز من قنع وذل من طمع)، كما أنه يشحذ الشوق بالسعي والعمل ويحث عليهما ويسوق سوقاً إلى الكدّ وبذل الجهد فيهما، لأنه إذا ما سعى المرء في يوم ما وتقاضى أجره مساءً فسيسعى في اليوم التالي له بسر القناعة التي توافرت لديه، أما المسرف فإنه لا يسعى في يومه الثاني لعدم قناعته، وحتى إذا سعى فإنه يسعى دون شوق، وهكذا فإن القناعة المستفيضة من الاقتصاد تفتح باب الشكر وتوصل باب الشكوى، فيظل الإنسان في شكر وحمد مدى حياته، بالقناعة لا يتلفت إلى توجه الناس إليه لاستغفانه عنهم، فيفتح أمامه باب الإخلاص وينغلق باب الرياء»^(٣).

وفي قول الإمام مجموعة من الفضائل هي: العزة، والتحفيز للعمل والدافعية، والقناعة وشكر

الله، وعدم الشكوى والاعتراض، والإخلاص والتوجه لله وحده، والتخلص من الرياء والاستغناء عن

الناس، كذلك يحض الإنسان على الاتصاف بالاقتصاد بقوله:

«إن المقتصد لا يعاني فاقة العائلة وعوزها»^(٤).

وتوصل شطناوي إلى عدد من الفوائد لنظام ترشيد الاستهلاك في أقوال الإمام التُّوزسي، منها:

(١) التُّوزسي، المكتوبات، ص ٦١٠.

(٢) راجع: التُّوزسي، اللغات، ص ٢١١-٢٢٤.

(٣) التُّوزسي، اللغات، ص ٢٢٢.

(٤) التُّوزسي، اللغات، ص ٢١٥.

عدم المعاناة من الفاقة، وأن الاقتصاد سيب لنزول البركة، وأنه سبب في الاستغناء عن الناس^(١)، وفي المقابل ينبّه النُوزي إلى وجود من يتهم المقتصد بالبخل والخسة في ظل الظروف التي يعيشها المجتمع التركي من كثرة الاستهلاك، فتقلب الموازين ويصبح المقتصد بخيلاً خسيماً، والمترف كريماً جواداً، فيقول:

«ومن العجب حقاً أن يجروا بعض المسرفين والمبذرين على اتهام المقتصدين بالخسة... حاش لله، بل الاقتصاد هو العزة والكرم بعينه، بينما الخسة والذلة هما حقيقة ما يقوم به المسرفون والمبذرون من سخاء ظاهري»^(٢).

فأراد بقوله هذا تعديل الموازين، وتصحيح القيم التي قلبت في زمن التغيرات الاجتماعية السريعة، ومن يقرأ تفصيلات الإمام وتوجيهاته بشأن تحسين العادات الغذائية، والتنفير من النهم، بالإضافة إلى أولوية إعطاء الحقوق إلى مستحقيها، يلحظ جدوى الإجراءات الترشيدية خاصة أنه دعمها بالقصص والأمثلة، ومن ذلك قوله عن نفسه:

«كنت أرفض قبول أموال الناس وهداياهم منذ نعومة أظفاري، فما كنت أتنازل لإظهار حاجتي للآخرين رغم أنني كنت فقير الحال وفي حاجة إلى المال، وما كنت زاهداً ولا صوفياً، ولا صاحب رياضة روحية، فضلاً على أنني ما كنت من ذوي الحسب والنسب والشهرة»^(٣).

وقد أعطى الإمام النُوزي قنوة عملية من خلال مسيرة حياته في القناعة والتواضع، فهو بعيد كل البعد عن الترف الاستهلاكي، وبذلك أسهم الإمام النُوزي في معالجة مرض الترف الاستهلاكي الذي كان ولا زال عائقاً في طريق تقدم المجتمعات.

(١) شطناوي، حلول الحد من عادات الاستهلاك في ضوء رسائل النور للنُوزي، ص ٥٤٦ - ٥٤٩.

(٢) النُوزي، اللغات، ص ٢١٧.

(٣) النُوزي، الملاحق، ص ٢٥٦.

المبحث الثالث

مشكلة العنف والعدوان

في ظلّ تفاعل رسائل النور مع الأحداث المعاصرة في زمانها، انطلقت نداءاتها عالية لاستئصال مشكلة العنف والعدوان، بالإضافة إلى معالجة الأنفس المريضة لترفع راية الأمن والاطمئنان في البلاد الإسلامية عامة وفي تركيا خاصة.

وقد أولى الإمام النورسي هذه المشكلة عناية خاصة، فبيّن مشكلة العنف ومفهومها ودوافعها ووسائل معالجتها، لذلك قسّمها إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف مشكلة العنف والعدوان.

المطلب الثاني: دوافع العنف والعوامل المغذية له.

المطلب الثالث: الاجراءات العلاجية لمشكلة العنف والعدوان.

المطلب الأول: تعريف مشكلة العنف والعدوان

ما من عصر من العصور إلا تخللته موجات من العنف والعدوان، لذلك ارتبط هذا المفهوم بوجود الإنسان في كل زمان ومكان، فقد استخدم الإنسان منذ القدم وسائل متعددة للسيطرة على أفكار خصومه وتسخيرهم وفق إرادته^(١).

والعنف لغة: من (ع، ن، ف) "العُنْفُ بالضم ضد الرفق، وعليه عُنْفاً وَعَنَافَةً: أي أخذ به شدة وقوة ولامه فهو عنيف"^(٢)، والعُنْفُ يعني: الخرق بالأمر وقلة الرفق به، والتعنيف يعني: التوبيخ والتقريع واللوم، وهو بالضم الشدة والمشقة، وكل ما في الرفق من الخير، ففي العنف من الشر مثله^(٣)، والرفق ضد العنف وهو: كل أصل يدل على اليسر والسهولة واللين والبعد عن العنف بما لا يصل حد الاستهانة والضعف، ويقابلها أيضاً اللين واللفظ والسماحة والرفقة والرحمة والعفو والحلم والمغفرة ومقابلة الحسنه بالسيئة^(٤).

ويُعرف العنف سوسولوجياً بأنه: "استخدام الضغط أو القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما"^(٥)، والقوة هنا لا تعني القوة الجسدية فقط؛ بل تشمل إلحاق الأذى بالطرف المقابل، والإيذاء مفهوم مرادف للعنف إلا أنه أقل ضرراً وقوة^(٦).

-
- (١) انظر: رفيف، السكري، العنف الفكري والدعاية السياسية، مجلة الفكر، العدد ٧١، ١٩٩٣م، ص ٣، بتصرف.
 - (٢) مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، د.ط، طهران، المكتبة العلمية، د.ت، ج ٢، ص ٦٣٧.
 - (٣) انظر: ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م، المجلد التاسع، ص ٢٥٨، بتصرف.
 - (٤) انظر: موسى، محمد حسني محمد، الرفق وأثاره التربوية على الفرد والمجتمع، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢م، ص ١٥، بتصرف.
 - (٥) بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. ط، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٦م، ص ٤٤١.
 - (٦) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص ٤٢٠، بتصرف.

ويُعرف العنف اصطلاحاً بأنه: "هو اللجوء للقوة بقصد إرغام الآخرين على اتخاذ مواقف لا يريدونها، وهو ضغط مادي أو معنوي ذو طابع فردي أو جماعي، يُنزله الإنسان بالإنسان، وهو يُلحق الضرر بالأفراد أو الجماعات أو الممتلكات"^(١).

كما يُعرّف بأنه: "سوء الانقياد الذي يؤدي إلى القبيح، ويُمكن أن يُعرّف بأنه صورة من الشدة التي تُجانب الرفق واللطف، وهو طريق قد يدفع صاحبه إلى الأعمال الإجرامية الكبيرة كالقتل وغيره"^(٢).

وقد أشار الإمام النُّورسي في كلياته إلى هذه المشكلة بعدة مفاهيم، عدّها هي المكون الأساسي لمشكلة العنف والعدوان، ومن تلك القوة والإرهاب والفوضى والعداوة^(٣)، غير أنه رمز للعنف في رسائله بمفهوم العداوة أكثر من غيره من المفاهيم، وبين أن هذا المفهوم ينتمي إلى الطبيعة الثعبانية المنافية للفطرة، وذلك بقوله:

«كانت هذه الدار دار الفنون (الجامعة)، في مقدمة قلاع عالم الإسلام تجاه الكفر والطغيان، بيد أن اللامبالاة والغفلة والعدوان تلك الطبيعة الثعبانية المنافية للفطرة، شقت فرجة خلف الجبهة فهاجم منها الإلحاد، واهترت عقيدة الأمة أي اهتزلز»^(٤).

وفي موضع آخر عرفه بأنه نوع من أنواع الظلم، وفسّر هذا التعريف بقوله:

«إن عداء الإنسان لأخيه الإنسان ظلم في نظر الحقيقة، فكما أن هذا ظلم شنيع وغدر فاضح،... كذلك انطواؤك على عداء وحقد مع المؤمن الذي هو بناء رباني وسفينة إلهية، لمجرد صفة مُجرمة فيه، تستاء منها أو تتضرر، مع أنه يتحلى بتسع صفات بريئة بل بعشرين منها: كالإيمان، والإسلام، والجوار...، فهذا العداء

(١) صالح، سامية خضر، إستراتيجية مواجهة العنف، رؤية نقدية ودراسة تطبيقية، القاهرة، مؤسسة الطوبجي، ٢٠٠٣م، ص ٣٥.

(٢) القرني، محمد بن مسفر، مدى تأثير العنف الأسري على السلوك الانحرافي لطالبات المرحلة المتوسطة بمكة المكرمة، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، ٢٠٠٥م، ص ٢٠.

(٣) النُّورسي، الملاحق، ص ٢١٣.

(٤) النُّورسي، الكلمات، ص ٨٧٩.

والحقد يسوقك حتماً إلى الرغبة ضمناً في إغراق سفينة وجوده، أو حرق بناء كيانه، وما هذا إلا ظلم شنيع وغدر فاضح" وقال أيضاً: "العداء ظلم في نظر الحكمة، إذ العداء والمحبة نقيضان - كما لا يخفى، فهما كالنور والظلام لا يجتمعان معاً- بمعناهما الحقيقي أبدأ"^(١).

ويؤكد الإمام التوزسي في قوله السابق على تحليل شخصية الإنسان الذي يبتلى بمرض العداء والعنف، حيث يشعر بالكره والحسد، ويسيطر عليه شعور التدمير والانتقام، وهذا كما قال ظلم وغدر، ومتفق عليه في نظر الحقيقة وفي نظر الحكمة، كما يُشير في قوله إلى جميع أشكال العنف المادي والمعنوي، فهي ضرر عليه وعلى غيره من الناس، وأخيراً يختم الحديث ببيان الفرق بين العداء والمحبة، كالفرق بين النور والظلام؛ ليوصل للقارئ نظرتَه للعنف ورفضه له.

وأشد أنواع العداء هو الكفر، والكافر عدو لله ﷻ وعدو لخلقِه المؤمنين، لأنه يُعادي الصورة الصحيحة التي يجب أن يكون عليها، فبمجرد تحول الكافر عن الإيمان تتقلب المحبة عداءً، سواء أكان جاهلاً بالإيمان، فالإنسان عدو لما جهل، أم غير قادر أن يكون كالمؤمنين، لأن الإنسان عدو لما لا تصل إليه يده، ويوضح التوزسي هذا الأمر بقوله:

«إن الشخص الأناني مثلما يعادي ما يجهله يعادي ما لا تصل إليه يده أيضاً، فيضمّر عداءً وحقداً وإنكاراً لذلك الجمال الذي ينبغي أن يقابل بما يستحقه من محبة بلا نهاية وشوق بلا غاية وإعجاب بلا حدّ، ومن هذا يفهم سرّ كون الكافر عدواً لله سبحانه وتعالى»^(٢).

وبذلك قدّم الإمام التوزسي التفسير النفسي لمشكلة العنف والعداوان، من غير أن يذكر كلمة العنف، أو يوضح الرابط بينهما، إلا أنه في أقواله السابقة يشير إلى النتائج التي يؤدي إليها العدوان بكل أشكاله المادية والمعنوية، ونتائجها السلبية في المجتمع التركي.

(١) التوزسي، المكتوبات، ص ٣٤٠.

(٢) التوزسي، الكلمات، ص ٧٢.

المطلب الثاني: دوافع العنف والعوامل المغذية له

إن الأسباب التي يمكن أن تؤدي إلى العنف كثيرة ومتباينة، حيث إنها تختلف من فرد إلى آخر؛ فالسلوك الإنساني بشكل عام سواء أكان مقبولاً أم غير مقبول هو نتاج تفاعل الإنسان مع بيئته المحيطة به، كما أن الفروق الفردية بين الأشخاص واختلاف البيئات يؤدي إلى الاختلاف في طرق تفاعل الإنسان مع بيئته، وهذا بدوره يؤدي إلى وجود أسباب متعددة ومختلفة تعمل على زيادة احتمال ظهور أشكال العنف عند بعض الأفراد دون غيرهم^(١).

وكان لعدد من العوامل التي ذكرها الدرفيلي أثر في تغذية ثقافة العنف عند الإنسان في عصر النورسي، وقد جمعها في خمسة أسباب، هي^(٢):

- أ- أسس المدنية الحديثة التي ربت الفرد على السلب والقتال والعنف وهتك الأعراض.
- ب- التعصب خاصة التعصب الفكري الذي نتج عنه الاتهامات التكفيرية وإراقة الدماء.
- ج- الأعباء الساسية التي تُوجج العداوة بين أفراد المجتمع، وتلجأ إلى العنف تبريراً لأعمالهم الإجرامية.
- د- الأنانية والعجب والغرور التي تولد الظلم والعنف.
- هـ- الإعلام.

وهذه العوامل قد يتسبب بها الفرد وقد تتسبب بها الجماعة، فيشير الباحث إلى العنف الفردي

والعنف الجماعي في تركيا.

(١) انظر: العاجز، فؤاد، العوامل المؤدية إلى تفشي العنف لدى طلبة المرحلة الثانوية مدارس محافظة غزة، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، ٢٠٠٢م، ص ٩، بتصرف.

(٢) انظر: الدرفيلي، عبدالرافع محمد، العوامل المغذية لثقافة العنف وحلولها من منظور رسائل النور، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبيدع الزمان سعيد النورسي، استانبول، ٢٠١٠م، ص ٢٣٤-٢٣٨، بتصرف.

كما بين القوسي العوامل المغذية لثقافة العنف في ضوء رسائل النور، وهي^(١):

١. يرى النورسي أن إثارة النزعات القومية من أهم العوامل التي تؤدي إلى العنف؛ لأنها تثير

النزاعات في المجتمع وتضعف الأخوة الإسلامية وتفرق الجماعات.

٢. الخصومة بين طرفين؛ فمن شأنها توليد الكراهية بين الأفراد.

٣. اتخاذ القوة نقطة استناد في الحياة الاجتماعية.

٤. الأنانية والغرور واحتكار الحقيقة.

وبالرجوع إلى رسائل النور وجدنا أن أسباب مشكلة العنف والعدوان ترجع إلى أسباب ودوافع داخلية وخارجية، فقد تكون مشكلة نفسية تتبع من داخل النفس البشرية نتيجة مجموعة من العوامل، أو دوافع خارجية بفعل الظروف والأحداث الاجتماعية المحيطة، وكلا الدافعين لهما ذات الخطورة إذ يتحولان إلى سلوكيات سلبية لها انعكاساتها على المجتمع ككل، لذلك قسّمنا الدوافع إلى نوعين، هما:

أولاً: الدوافع الذاتية النفسية للعنف والعدوان: أشار الإمام النورسي إلى النوع الأول من هذه الدوافع وهي: القيم السلبية في النفس الإنسانية، من خلال تعليقه على قوله ﷺ: ﴿ادْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٢)، بقوله:

«إن ما يسببه التحايز والعداوة والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين، وما يوغر في صدورهم من حقد وغلٍ وعداء، مرفوض أصلاً، ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى، فضلاً عن أن العداء ظلم شنيع

(١) انظر: القوسي، مفرج بن سليمان، العوامل المغذية لثقافة العنف وعلاجها في رسائل النور، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبيدع الزمان سعيد النورسي، استانبول، ٢٠١٠م، ص ٢٥١-٢٥٥، بتصرف.

(٢) سورة فصلت: آية ٣٤.

يفسد حياة البشر الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سمٌّ زعافٌ لحياة البشرية قاطبة»^(١)،

ويتضح من قول الإمام التُّوزسي أن هناك مجموعة من القيم السلبية، التي تدفع إلى سلوك العداة والعنف مع الآخرين، وهذه القيم هي: العناد، والتحيز، والحسد، وما ينتج عنها من نفاق، وشقاق وحقد وغلّ وعداء، وكل ذلك يؤدي إلى وجود مشكلة العنف التي يرفضها الإسلام والحقيقة والحكمة على حدّ تعبيره، وكأنه يوجه قوله للإنسانية جمعاء: من أن العقل والمنطق والديانات جميعاً ترفض هذا المفهوم لما فيه من أضرار وخيمة على المجتمعات، وقد شبّه هذا الخطر بالسم الزعاف الذي يقضي على من شربه.

وأما النوع الثاني وهو التعصب المذموم الذي يسيطر على الفكر الإنساني ثم على سلوكه، لهذا وجه نداءه إلى الجماعات والفرق لتنبذ خلافاتها وتبتعد عن الفرقة والاختلاف وسبق أن ذكرنا قوله الموجّه لأهل السنة والجماعة ولأهل الشيعة^(٢)، والذي ذكر فيه مميزات الفريقين تقريباً منهم بأسلوب تربوي، حتى تُزال نار العداة بينهما للقضاء على خطر أكبر، وهو خطر الغرب.

ثانياً: العوامل الخارجية المغذّية للعنف والعدوان: وأولى هذه العوامل التي يُشير إليها الإمام التُّوزسي هي المدنيّة الحديثة وأسسها، وقد سئل مرة: لم ترفض الشريعة هذه المدنيّة؟ فأجاب:

«لأنها تأسست على خمسة أسس سلبية: فنقطة استنادها هي: القوة، وهذه شأنها: الاعتداء. وهدفها وقصدتها: المنفعة، وهذه شأنها: التزام. ودستورها في الحياة: الجدل والصراع، وهذا شأنه التنازع، والرابطة التي تربط المجموعات البشرية: هي العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها: التصادم

(١) التُّوزسي، المكتوبات، ص ٣٣٩.

(٢) التُّوزسي، اللمعات، ص ٣٨، ذكرت القول كاملاً في المبحث الثالث من الفصل الأول من هذه الدراسة، ص ٧٥.

كما نراه، خدمتها للبشرية خدمة فائقة جذابة هي: تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمارة، وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبيها»^(١).

فالمدينة الحديثة في أساسها عدوان ونزاع، حيث تقوم على المصلحة والمنافع المادية، وبالتالي أساسها الصراع بين الأفراد والجماعات، وبهذا يشير إلى ما نقرأه في التاريخ البشري عن الاستعمار والقوى المسيطرة على مرّ العصور، والتي جاءت بدعوى المدينة والتطور لاستنزاف ثروات الغير، فكبرت ونمت على حساب أجساد الآخرين ودمائهم، مما سبب طغيان القوي وعدوانيته، وحققت الضعيف وغله على القوي، وما يمرّ خلاله من مشاهد مرعبة للقتل والسرقة والإهانة وغيرها من أفعال العنف والعدوان.

ومن العوامل الخارجية أيضاً إشعال حقد العصبية والقومية السلبية في نفوس الأفراد، وهذه هي العصبية الجاهلية في نظر الإمام التوزسي، وهي سلبية في ذاتها وفي مخرجاتها فلا تنمو إلا من خلال إحراق الآخرين بنار الحقد والحسد والعداوة والنزاع.

وقد أبان الإمام التوزسي عن أشكال العنف التي تجري بسبب العصبية والقومية السلبية، ومبررات الظالمين وأفعالهم، المتضمنة للقتل والسجن، وبهذا قدّم الإمام تفسيراً متكاملًا لظهور مشكلة العنف ونموها لدى الأفراد، حتى تستفحل فتصبح مشكلة اجتماعية يتطلب الأمر من الباحثين والمصلحين الحدّ منها والقضاء عليها.

(١) التوزسي، صيقل الإسلام، ص ٣٥٧.

المطلب الثالث: الإجراءات العلاجية لمشكلة العنف والعدوان

لم يقف الإمام التوزسي في منأى عن تدارك الوضع الاجتماعي السائد وانتشار مشكلة العنف والعدوان في البلاد الإسلامية، بل قدم لطلابه ولقارئ كليات رسائل النور أنموذجاً إصلاحياً للمشكلة، وإجراءات علاجية ذات فاعلية عالية، ومن ذلك:

أولاً: الأساليب الوقائية لمشكلة العنف والعدوان: وتجتمع هذه الأساليب في الإيمان بالله ﷻ، وما لهذا الأسلوب من تنمية القيم الإيجابية في النفس الإنسانية، والذي يقضي بدوره على القيم والدوافع السلبية في النفس البشرية، ويفسر التوزسي ذلك في معرض حديثه عن الإيمان بقوله:

«ولأن الإيمان يؤسس الأخوة بين كل شيء، لا يشتد الحرص والعداوة والحقد والوحشة في روح المؤمن؛ إذ بالدقة يرى أعدى عدوه نوع أخ له... ولأن الكفر يؤسس أجنبية وافتراقاً - لا إلى اتصال - بين كل الأشياء، يشتد في الكافر الحرص والعداوة والتزام النفس والاعتماد عليها، ومن هذا السر صاروا غالبين في الحياة الدنيا، ولأن الكافر يرى في الدنيا مكافأة حسناته في الجملة، والمؤمن يرى جزء بعض سيئاته في الدنيا صارت سجن المؤمن وجنة الكافر»^(١).

فقوله الإيمان يؤسس الأخوة بين كل شيء، يشير إلى مفعول الإيمان النفسي في الأنفس والآفاق، فكل شيء يسبح بحمد الله "إن من شيء إلا يسبح بحمده"، فجميع الكائنات على وفاق، ولا عداوة بينها بتاتاً، ما عدا الإنسان، لذلك نجد روح المؤمن صافية من الحق والغل، تملؤها الرقة والعطف، فالخالق واحد، والغاية واحدة، والمصير واحد، فلماذا العنف! ولماذا العدوان! فهذه الأمور لا يؤسسها ولا ينميها إلا الكفر، والبعد عن الله ﷻ، فهذه رسالة صريحة للمجتمعات: نحن معشر المسلمين لا نغضب في أنفسنا ولا عداوة، والإسلام براء من الإرهاب والتطرف، وهذه المفردات ليست موجودة في قاموسه أبداً إلى يوم القيامة، لأنها مصطلحات ابتدعها الكفر وأتباعه، موجودة في قاموس شيطانهم، وإن الله على ذلك لشهيد.

(١) التوزسي، المتنوي العربي النوري، ص ١٥٨.

وقد تمّ استخلاص عدد من الأساليب الوقائية لدرء العنف عند الإمام التّوزسي مُلخّصها بالنقاط

الآتية^(١):

١. يُؤكد الإمام على أن الإيمان يعمل على ترسيخ مفهوم الأمن الإنساني للحفاظ على الاستقرار.
٢. إن تشكيل الوعي الإيماني للفرد طريق درء العنف، لأن الوعي يعمل على ترسيخ العلاقة التوافقية بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والمجتمع، وبين الإنسان وبقية الموجودات.
٣. للإيمان دور مهم في ترسيخ القيم والمشاعر الإيجابية لدرء العنف، فقد أكد الإمام التّوزسي على ضرورة تربية المجتمع على قيم التسامح، والعدل، والتعاون، والمحبة، والأمل، فهذه القيم طاقة إيجابية في الحياة الإنسانية.

ثانياً: الأساليب العلاجية لمشكلة العنف والعدوان: يلحظ قارئ كليات رسائل النور عناية الإمام التّوزسي بمعالجة مشكلة العنف من خلال أساليب فريدة من نوعها، والتي قد تختلف في منهجها عن بقية معالجة المشكلات الأخرى، وذلك لتتلاءم مع أهمية وطبيعة المشكلة، ومن الإجراءات العلاجية التي قدمها لمشكلة العنف والعدوان:

١. العلاج الأول: العدالة القرآنية: أشار إليه التّوزسي إلى العدالة القرآنية، التي تقضي على القيم السلبية في الفرد، وتحقيق العدالة يعني القضاء على روح التدمير والنزاعات في المجتمع، وفي ذلك يقول:

«العدالة القرآنية المحضة، لا تهدر دم برئ ولا تزهق حياته حتى لو كان في ذلك حياة بشرية جمعاء، فكما أن كليهما في نظر القدرة سواء، فهما في نظر العدالة سواء أيضاً، ولكن الذي تمكن فيه الحرص والأنانية يصبح إنساناً يريد القضاء على

(١) انظر: سالم، أحمد محمد، أثر الإيمان في درء العنف قراءة في رسائل النور، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبيدع الزمان سعيد التّوزسي، استانبول، ٢٠١٠م، ص ٢٠٨-٢١٩، بتصرف.

كل شيء يقف دون تحقيق حرصه حتى تدمير العالم والجنس البشري إن استطاع»^(١).

٢. العلاج الثاني: الدعوة إلى الأخوة والمحبة: خصص الإمام التورسي مبحثاً كاملاً في مكتبته الثاني عشر من مجلد المكتوبات يدعو أهل الإيمان إلى الأخوة والمحبة^(٢)، أدرج خلالها الآيات والأحاديث الكريمة التي تحض على الأخوة والتصالح والتسامح والعفو، وقد بين ستة أوجه لرفضه العدا، وهي:

أ. عدا الإنسان لأخيه الإنسان ظلم في نظر الحقيقة: وضرب لذلك مثلاً بمن يحاول إغراق سفينة كاملة فيها تسعة أبرياء ومجرم واحد، فلا مبرر له ولا شرعية.

ب. العدا ظلم في نظر الحكمة: فالعداء والمحبة نقيضان، فإذا ترسخت المحبة في القلوب استحالت العداوة فيها، حتى لو كره الإنسان سلوكاً من آخر فشعوره نحوه هو الشفقة، لذا يعالج الموضوع بالإصلاح والرفق بدلاً من العنف^(٣).

ج. إضرار العنف للمسلم ظلم عظيم: لأنه إدانة لجميع الصفات البريئة التي يتصف بها المؤمن بسبب صفة واحدة، فكيف بإضرار العدا لأقاربه، مستشهداً بقوله ﷺ: «لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»^(٤)، والتي تفيد العدالة المخصصة^(٥).

د. العدا للمؤمن ظلم من حيث الحياة الشخصية: وقد أعطى الإمام مجموعة من القواعد، سماها دساتير للحياة الشخصية وقواعد إيجابية مهمة وهي:

(١) التورسي، المكتوبات، ص ٦٠٨.

(٢) التورسي، المكتوبات، ص ٣٣٩-٣٥٠.

(٣) انظر التورسي، المكتوبات، ص ٣٤٠، بتصرف.

(٤) سورة الأنعام: آية ١٦٤.

(٥) التورسي، المكتوبات، ص ٣٤٢.

■ عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك فقل: إن مسلّكي حق ولكن لا تقل:
الحق هو مسلّكي فحسب.

■ عليك أن تقول الحق في كل ما تقول، ولكن ليس عليك أن تذيع كل الحقائق.

■ إن كنت تريد أن تعادي أحداً فعادِ ما في قلبك من العداوة، واجتهد في إطفاء نارها،
وإدفع سيئة خصمك بالحسنة؛ تخذ بذلك نار الخصومة.

■ لا تملأ قلبك بالحق والعداوة؛ لأنه ظلم لنفسك وظلم لإخوانك وتجاوز لحدود الرحمة
الإلهية، فالحسد أشد إيلاماً للحاسد من المحسود.

هـ. الكشف عن أضرار التنافر والعداوة: وهذا الوجه يُبين الضرر البالغ الذي يصيب الحياة
الاجتماعية من جراء العناد والتنافر والتفرقة، فقارن الإمام التورسي هنا بين الاختلاف الإيجابي
البناء، ومناقشة الآراء لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة، وبين التفرق لأغراض شخصية
ولهوى النفس الأمارة بالسوء، فالإخلاص واسطة الخلاص من العذاب، والعداء يضيع الإخلاص،
لأن المعاند ينحاز إلى رأيه وليس إلى دينه^(١).

وقد ذكرتُ هذه التفاصيل لأنها تعدّ قواعد أساسية في معالجة داء العنف والعدوان من
النفوس، فقد وجه الإمام التورسي هذه القواعد إلى النفس الإنسانية؛ لتعمل على استئصاله من
شأفته، كما أن إعلاء شأن الأخوة الإسلامية، كفيل في القضاء على نعرات الفرقة والخلاف
والقوميات؛ لأنها الرابطة الأساسية الباقية بين الأفراد في المجتمع الإسلامي، والتي تُلغي أي روابط
أخرى زائفة^(٢).

(١) انظر التورسي، المكتوبات، ص ٣٤٦.

(٢) انظر: القوسي، العوامل المغذية لثقافة العنف وعلاجها في رسائل النور، ص ٢٦٠، بتصرف.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض المفكرين يفرّقون بين مفهوم الأخوة والمؤاخاة، فما كان لثورة إسلامية أن تكون ذات أثر فعال إلا إذا قامت على أساس "المؤاخاة" بين المسلمين، لا على أساس "الأخوة الإسلامية"، ويتلخّص الفرق بينهما في أن الأولى تقوم على فعل تطبيقي، بينما الثانية تحولت إلى عنوان أو شعار تحجّر في نطاق الأدبيات^(١).

بمعنى أن التفرقة تعود إلى ارتباط مفهوم المؤاخاة بالحدث الواقعي التطبيقي في المدينة المنورة، وما له من انعكاسات اجتماعية وتربوية في حياة المسلمين، أما مفهوم الأخوة فقد ارتبط بالشعارات المعاصرة التي جُرّدت من الفاعلية والتطبيق، وانطلاقاً من هذا التفريق أنبّه على الآتي:

أ- يُعدّ المصطلح القرآني أقوى من غيره، فالأخوة الإسلامية له دلالاته النظرية والتطبيقية في كل الظروف والأحوال.

ب- يمكن القول بأن المؤاخاة هي فعل تطبيقي للقاعد القرآنية الكبرى، فالواجب يقتضي الربط بين القاعدة والتطبيق وعدم الفصل بينهما.

ج- يجب أن نحرص على اختيار المصطلحات الفاعلة المرتبطة بالتطبيق إذا أردنا أن تكون أساليب العلاج نافعة.

٣. العلاج الثالث: استخدام الأساليب التربوية المؤثرة: قام الإمام النورسي باستخدام الأساليب التربوية التي تؤثر في الإنسان، منها:

الأسلوب الأول: أسلوب القصة وضرب الأمثال في معالجة مشكلة العنف: وقد ذكر النورسي الحوادث التاريخية التي تدل على نبذ السابقين للعنف والعدوان، ومن القصص التي ذكرها^(٢):

(١) انظر: بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص ٤٦، بتصريف.

(٢) انظر النورسي، المكتوبات، ص ٣٤٥، بتصريف.

- قصة علي بن أبي طالب عليه السلام في رفضه لقتل الكافر الذي نفل في وجهه خوفاً من أن يكون قتله له انتقاماً لنفسه وليس قتلاً في سبيل الله.

- قصة الحاكم الذي عزل قاضيه لحدته وغضبه أثناء تطبيق حد السرقة.

- قصة القبائل التي تناحرت، وفور تعرضها لخطر خارجي تكافقت وتعاونت في دحره.

- قصة اليهودي الذي صرف أموالاً طائلة في شراء قطع زجاجية وبلورات ثلجية زائفة، ظناً منه أنها ألماس^(١)، وهذا الأسلوب التربوي له أثره النفسي في المخاطب.

الأسلوب الثاني: استخدام الحوار كأسلوب تربوي ناجح في معرفة خواطر الإنسان الذي ابتلي بالعدوان، والرد عليها ومثال ذلك قوله:

«إذا قلت: إن الأمر ليس في طوقي، فالعداء مغروز في كياني، مغمور في فطرتي، فليس لي خيار، فضلاً عن إنهم قد جرحوا مشاعري وآذوني، فلا أستطيع التجاوز عنهم. فالجواب: إن الخلق السيئ إن لم يجر أثره وحكمه، وإن لم يعمل بمقتضاه كالغيبية مثلاً، وعرف صاحبه تقصيره، فلا ضير، ولا ينجم منه ضرر، فما دمت لا تملك الخيار من أمرك ولا تستطيع أن تتخلص من العداء، فإن شعورك بأنك مقصر في هذه الخصلة، وإدراكك أنك لست على حق فيها، يُنجياتك -بإذن الله- من شرور العداء الكامن فيك، لأن ذلك يُعد ندماً معنوياً، وتوبة خفية، واستغفاراً ضمناً، ونحن ما كتبنا هذا المبحث إلا ليضمن الاستغفار المعنوي، فلا يلتبس على المؤمن الحق والباطل، ولا يُوصم خصمه المحق بالظلم»^(٢).

ويتضح للقارئ أن الإمام التورسي فتح أبواب الأمل في وجه المبتلى بمرض الحقد والعدوان طالما أنه اعترف بمرضه، الاعتراف بداية الطريق للعلاج، وقد عدّه توبة خفية واستغفاراً، لتضمّنه استشعار الحاقد للندم في قلبه، ولا يعني ذلك أن يقف عند هذا الحدّ، بل هو البداية الطريق للتخلص من هذا الداء.

(١) انظر التورسي، المكتوبات، ص ٣٤٢.

(٢) التورسي، المكتوبات، ص ٣٤٦.

والخلاصة أن كلامه هذا ينطبق على كثير من الأمراض والآفات التي تصيب النفس الإنسانية، فمعظم الذنوب يُمكن التخلص منها ومعالجتها عن طريق هذا الأسلوب؛ ففي أساليبه إثارة لدافعية التعلم، وبتّ لروح التفاؤل والتفاعل في نفس المتعلم للإقبال، بالإضافة إلى تكوين العلاقة الإيجابية بين المُربي والمتعلم.

الأسلوب الثالث: تفعيل القيم الإيجابية داخل النفس الإنسانية وتنميتها، وهذه ميزة واضحة في كليات رسائل النور، ومن هذه القيم: قيمة المحبة، قيمة التسامح، وقيمة الشفقة، وقيمة العدالة، وقيمة التعقل والرجوع إلى المنطق، وكلامه السابق دال عليها، فهذه القيم كقيلة في نزع العداوة من النفوس ونبذ العنف من الحياة الاجتماعية.

٤. العلاج الرابع: أسلوب القدوة: فمن الجدير بالذكر أن الأسلوب الفاعل في معالجة مشكلة العنف والعدوان هو التطبيق العملي الواضح في حياة الإمام النُورسي، وفي حياة طلابه، لذلك أسهمت رسائله في إعداد مجاهدين في سبيل حفظ الأمن والنظام، فعددهم الناس أفراد أمن معنويين للحفاظ على النظام في البلاد^(١).

وحتى في أحلك الظروف، وأشد حالات الضيق والألم، وهو اختيار صعب تعرض له طلاب رسائل النور، عندما تعرضوا للسجن، إذ شهد مجموعة من الضباط في حقهم بأن طلاب النور ضباط معنويون للأمن في البلاد، فقد ساعدوا الضباط في الحفاظ على الأمن والنظام^(٢).

وقد شهد الإمام النُورسي كذلك بقوله:

«ثم إنه رغم كثرة طلاب رسائل النور، ورغم ما في أيديهم إلى هذا الحد من القوة والحق، لم يمستوا الأمن والنظام بشيء، بل لم يُخلّ ألف طالب منهم بالحياة

(١) انظر: النُورسي، الملاحق، ص ٣٦٨، بتصرف.

(٢) انظر: النُورسي، اللغات، ص ٤٠٠، بتصرف.

الاجتماعية بقدر ما يُخلّ به عشرة أشخاص آخرين، وإن هذا الأمر مشاهد لمن كان
نه قلب غير فاسد»^(١).

ومن هنا فإن الإمام التّوزسي لم يدخل في معالجة مبتورة أو نظرة أحادية، ولم يُبق طرائقه
العلاجية في دائرة التجريد الفكري، وإنما أدرك أن صراع العصر يقتضي الشمولية المتكاملة
المتوازنة، التي أوجدها في القرآن الكريم، لأن الموقف الذي واجهه في عهد الجمهورية، والتي كانت
تخطط للقضاء النهائي على الإسلام، يقتضي تكوين جيل مؤمن بالسلوك القرآني والتربية النبوية،
ليواجه الطغیان والتربية المنحرفة دون عنف؛ ولأجل ذلك نجح مشروعه الإصلاحی الإسلامي رغم
صعوبة أوضاع المجتمع التركي.

(١) التّوزسي، الملاحق، ص ١٦٥.

المبحث الرابع مشكلة الفقر

تعدُّ مشكلة الفقر من أهم المشكلات الاجتماعية ومن أكثرها خطورة، فهي تصيب الفرد بالعجز وتعطل قدراته ومهاراته، وهي مشكلة مجتمعية بمعنى أن المسؤول عنها المجتمع ككل، ولكل فرد فيه دوره في مكافحة الفقر في أنفسهم وفي محيطهم^(١).

وقد قدّم الإمام النُّوزسي رؤية متكاملة لمشكلة الفقر وأساليب معالجتها، فعمل على توضيح حقيقة الفقر، وأنواعه وأسبابه، بالإضافة إلى بيان خطورته على أفراد المجتمع التركي كأنموذج للمجتمعات البشرية التي تعاني من هذه المشكلة، وكذلك قدّم إجراءات علاجية للقضاء عليها. ومن خلال استقرائي لكليات رسائل النور، أقدم رؤية الإمام النُّوزسي لمشكلة الفقر من خلال

المطالب الآتية:

المطلب الأول: حقيقة الفقر وأنواعه.

المطلب الثاني: واقع مشكلة الفقر وأسبابه.

المطلب الثالث: الإجراءات العلاجية لمشكلة الفقر.

(١) انظر: العيسوي، عبد الرحمن محمد، تحليل ظاهرة الفقر دراسة في علم النفس الاجتماعي، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١٩، بتصريف.

المطلب الأول: حقيقة الفقر وأنواعه

يتبادر إلى الذهن معانٍ قريبة للفقر، مؤداها عدم قدرة الإنسان على نيل احتياجاته الأساسية في الحياة، إما بسبب زهده في الدنيا، أو بسبب الكسل الموصل إلى فقدان أساسيات الحياة، فينشأ الفرد الفقير في مقابل الفرد الغني، أو المجتمع الفقير في مقابل المجتمع الغني.

ويمكن تعريف الفقر بأنه: نقص في القدرات الفردية الإنسانية والمجتمعية المؤسسية، كما أن الفقر: هو عدم القدرة على توفير الحد الأدنى من مستوى المعيشة، ويشير إلى غياب ملكية الأصول، فهو يُعبّر عن عجز الإنسان عن إشباع حاجاته البيولوجية، ويُعبّر عن عجز البناء الاجتماعي عن توفير مستلزمات الإنسان المادية والمعنوية، لذا فإن التعريف المناسب للفقر هو ذلك التعريف الذي يصف أحوال الفقراء، وهو يختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى^(١)، وعليه فلا بدّ من التمييز بين ثلاث معانٍ للفقر، هي^(٢):

١. الفقر الاجتماعي: ويعني عدم المساواة الاقتصادية الناتجة عن نقص الدخل وانخفاض مستوى المعيشة بالإضافة إلى عدم المساواة الاجتماعية والشعور بالنقص والاستغلال.

٢. الفقر المادي، بمعنى الحاجة.

٣. الفقر الأخلاقي، ويشير إلى ما إذا كان الفقير مقبولاً أخلاقياً وإلى المكانة التي يشغلها الفقير.

وللفقر أشكال متعددة، فما ذكر سابقاً يمثل الشكل التقليدي المألوف، وهناك أنواع أخرى للفقر مثل الفقر السياسي، ويعني فقدان الإرادة السياسية، والتي يتبعها فقدان الإرادة الاقتصادية والاجتماعية، وفي ذلك يقول الإمام النورسي:

(١) انظر: العذاري، الدعوي، قياس مؤشرات ظاهرة الفقر في الوطن العربي، ص ٢٩.

(٢) انظر: العيسوي، تحليل ظاهرة الفقر، ص ٢١٦.

«أو تظن أن فقرنا ناجم من زهد الدين أو كسل ناشئ من ترك الدنيا، إنك مخطئ في ظنك أشد الخطأ، ألا ترى أن المجوس والبراهمة في الصين والهند والزنج في إفريقيا وأمثالهم من الشعوب المغلوبة على أمرها والواقعة تحت سطوة أوروبا هم أفقر منا حالاً»^(١).

فضرب الإمام التورسي مثلاً على الفقر السياسي، وهو فقر المجوس والبراهمة وفقر الزنج، معللاً أنها شعوب مغلوبة على أمرها ومستعمرة من قبل أوروبا في تلك الفترة الزمنية، أي في أوائل القرن العشرين.

ويلمس قارئ عبارة الإمام التورسي أنه يهون أمر الفقر الاقتصادي في مقابل الفقر السياسي، فكأنه يوجه رسالة لمجتمعه، بأن لا يعظّموا شأن هذا الفقر طالما أنهم يملكون إرادتهم السياسية؛ لأنهم قادرون على امتلاك الإيرادات الأخرى، وقادرون على معالجة الخلل الذي أوصلهم إلى هذا النوع من الفقر.

وتجدر الإشارة هنا إلى ملحظ مهم في حديث التورسي عن مشكلة الفقر، حيث تكررت كلمة الفقر مقترنة بالعجز، مبيناً بذلك أن هناك نوعاً إيجابياً من أنواع الفقر وهو الفقر إلى الله والعجز أمام الخالق، فقد امتدح هذا النوع مشيراً بذلك إلى التواضع والتذلل أمام الخالق عزّ وجل، وعدّها سمة تفوق إذ لا تتحصل إلا للذين كَمَل إيمانهم، وفي ذلك يقول:

«ومن هنا وجد الذين كَمَل إيمانهم لذة تفوق أية لذة كانت في العجز ومخافة الله، حتى أنهم تبرؤوا إلى الله براءة خالصة من حولهم وقوتهم، ولانوا بعجزهم إليه تعالى، واستعاذوا به وحده، مقدّمين هذا العجز والخوف وسيلتين وشفيعين لهم عند البارئ الجليل»^(٢).

وقد بيّن الإمام التورسي أنّ هذا النوع من أنواع الفقر هو فقر إرادي، يبحث عنه المؤمن ويُعلنه أمام البارئ الجليل، بغرض الشفاعة يوم القيامة، منطلقاً من قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ

(١) التورسي، اللغات، ص ١٨٧.

(٢) التورسي، الكلمات، ص ٢٩.

الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ^(١)، ويُمكن إجمال سمات هذا النوع من خلال أقوال الإمام بالآتي:

١. أنه تفوق إيجابي، وله لذة فريدة من نوعها، فهو فقر إيجابي كما ظهر من خلال العبارة السابقة.
٢. أنه طريق سهل وقصير للوصول إلى الله ﷻ، وفي ذلك يقول:

«لِلْوَصُولِ إِلَى اللَّهِ سَبْحَاتِهِ.. طَرِيقًا قَصِيرًا وَسَبِيلًا سَوِيًّا هُوَ طَرِيقُ الْعِزِّ، الْفَقْرِ، الشَّفَقَةِ، التَّفَكِيرِ»^(٢).

وهذا الطريق يحمل معانٍ وإجراءات متعددة، وهي (العجز، والفقر، والشفقة، والتفكير)، وبينها قاسم مشترك، فكلها طرق موصلة إلى الله ﷻ، من خلال إظهار التذلل والتواضع وكثرة التفكير في عالم الأنفس والآفاق.

٣. أن هذا الفقر قوة ورفعة، وهو موصل إلى التواضع، فمع استشعار الإنسان لهذه الرفعة، إلا أنه يعلم أنها في أصلها ضعف وعجز وفقر إلى الله، وقد بيّن النُّورسي ذلك بقوله:

«اعلم أيها الإنسان، لا تتكبر على الحيوان، إن سبب رفعتك على سائر الحيوانات إنما هو ضعفك وعجزك، كما أن الصبي يحكم على والديه وإخوانه بقدرة عجزه وقوة ضعفه.. هل ترى في الحيوانات أعجز منك في تحصيل لوازمات الحياة، بل ما يحصل لك بالتجارب والتدريس في عشرين سنة... يحصل للحيوان في عشرين يوماً...»^(٣).

٤. رؤية الإنسان في نفسه الفقر والعجز توصله إلى التعلم والإفادة من القرآن الكريم، وقد أقرّ الإمام النُّورسي هذا المبدأ عندما أفاد من القرآن الكريم من خلال أربعة خطوات دالة على التواضع والتذلل

(١) سورة فاطر: آية ١٥.

(٢) النُّورسي، الكلمات، ص ٥٥٨.

(٣) النُّورسي، المثنوي العربي النوري، ص ٤٤٤، باختصار.

لرب العالمين، وهي: عدم تزكية الإنسان نفسه، اعترافه بالفضل إلى الله، ورؤيته العجز والقصور والفقير في نفسه، وإدراكه في نفسه بأنه مفقود معدوم حادث^(١).

فالإمام التُّوزسي قد قَسَمَ الفقر إلى نوعين رئيسيين هما:

- فقر مادي، وهو الفقر الاقتصادي والفقر السياسي. وهو نوع سلبي.
- وفقر معنوي، وهو الفقر إلى الله ﷻ، فهو فقر إيجابي يعزز قيم التواضع والعلم والتفكير. والمقصود في هذه الدراسة بمشكلة الفقر في فكر الإمام التُّوزسي، هو الفقر بمعناه المتبادر إلى الذهن؛ أي الفقر المادي.

المطلب الثاني: واقع مشكلة الفقر وأسبابه

ظاهرة الفقر قديمة جديدة في كل العصور، ومجتمعاتنا المعاصرة تعاني منها، فحالنا اليوم يشير إلى أوضاع العالم في أزمان سبقت، فلو تأملنا ما ورد في تقرير اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا التابعة للأمم المتحدة والذي صدر في أوائل سبتمبر (٢٠٠٣م)، نجد أن حوالي نصف سكان العالم العربي يعيش الفرد منهم بأقل من دولارين في اليوم الواحد، وهذا الوضع مرشح للاستمرار بسبب النمو الاقتصادي العربي الضعيف^(٢).

كما أن قراءة التحليلات والأرقام الإحصائية حول الفقر والتفاوت المعيشي على مستوى دول العالم يُظهر حجم ظاهرة الفقر في العالم، ويمكن رصد بعض الملاحظات المهمة، منها:

١. يتضح أن منطقة الشرق الأوسط ومنطقة شمال أفريقيا من بين المناطق التي لوحظ أن عدد الفقراء فيها قد زاد عن (٦٠) مليون عام (١٩٨٥م) إلى (٢١٣) مليون بحلول عام (١٩٩٠م).

(١) انظر التُّوزسي، المثنوي، ص ٣٣٩ - ٣٤٠، بتصريف.

(٢) انظر: العيسوي، تحليل ظاهرة الفقر، ص ٣٣٣.

٢. يعيش فوق كوكب الأرض (٦) مليارات من البشر يبلغ عدد سكان الدول النامية منها (٤,٣) مليارات، يعيش منهم ما يقارب (٣) مليارات تحت خط الفقر وهو دولاران أميركيان في اليوم للفرد الواحد، ومن بين هؤلاء هنالك (١,٢) مليار يحصل الواحد على أقل من دولار واحد يومياً.
٣. وفي المقابل توضح الإحصاءات الغربية بالأرقام أن الدول الصناعية تملك (٩٧%) من الامتيازات التقنية والإنتاج والتسويق، وأن أكثر من (٨٠%) من أرباح إجمالي الاستثمار الأجنبي المباشر في البلدان النامية يذهب إلى (٢٠) دولة غنية.
٤. وفي البلدان النامية نجد أن نسبة (٣٣,٣%) ليس لديهم مياه شرب آمنة أو معقمة صالحة للشرب والاستعمال، و(٢٥%) يفتقرون للسكن اللائق، و(٢٠%) يفتقرون لأبسط الخدمات الصحية الاعتيادية، و(٢٠%) من الأطفال لا يصلون لأكثر من الصف الخامس الابتدائي، و(٢٠%) من الطلبة يعانون من سوء التغذية ونقصها.
٥. وفي المقابل تبلغ ثروة ثلاثة من أغنى أغنياء العالم ما يعادل الناتج المحلي لأفقر (٤٨) دولة في العالم، كما أن ثروة (٢٠٠) من أغنى أغنياء العالم تتجاوز نسبتها دخل (٤١%) من سكان العالم مجتمعين، وتوضح الدراسات أنهم لو أسهموا بـ (١%) من هذه الثروات لغطت تكلفة الدراسة الابتدائية لكل الأطفال في العالم النامي^(١).
- وتبرز كل هذه الأرقام الخلل الكبير الحاصل في تمركز رأس المال العالمي، وهو خلل لا يمكن تجاهل تفاعلاته السلبية وما يترتب عليها من آثار وخيمة على البشرية.

(١) انظر: العذاري، عدنان داوود محمد، الدعمي، هدى زوير مخلف، قياس مؤشرات ظاهرة الفقر في الوطن العربي، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٠م، ص٢٩.

وقد اختلفت رؤى المفسرين الغربيين لظاهرة الفقر استناداً إلى واقعهم الذي يعيشونه وبينتهم المختلفة، ومن ذلك نظريات ثلاث، وهي (١):

١. أن للفقر حلقة مفرغة تبدأ به وتنتهي به، وهذه الحلقة تبدأ من انخفاض مستوى الدخل، ثم انخفاض مستوى الإنتاجية، وتنتهي بانخفاض مستوى الدخل مرة أخرى.

٢. النظرية المalthوسية في تفسير الفقر: وتُشير إلى أن تزايد أعداد السكان له تأثير على ازدياد الفقر والسكان، وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقضايا التخلف والفقر وتدهور مستوى المعيشة في هذه البلدان.

٣. التفسير الماركسي: فسّر ماركس (٢) الفقر بأنه أساس الصراع الطبقي في المجتمع الرأسمالي، فالطبقة المهيمنة الرأسمالية تمتلك وسائل الإنتاج، وتستغل الطبقة العمالية التابعة.

وبالنظر إلى هذه التفسيرات أثرت على نوعية المعالجات التي انطلقت منها، لذلك جاءت الحلول قاصرة بسبب انطلاقها من تفسيرات غير صحيحة وتتعارض مع الفطرة الإنسانية السليمة.

وقد عرض الإمام التوزسي تفسيراً واضحاً لأسباب الفقر في حديثه عن الرزق وأقسامه منطلقاً من أسسه العقدية، فقد تعهد الله بحفظ أرزاق الناس ما لم يتدخلوا فيها بعمل يؤدي إلى معاقبتهم بالحرمان، وبالتالي يصلون إلى الفقر، ويظهر ذلك من خلال ما أراده الإمام التوزسي بقوله:

«إن الرزق قسمان: القسم الأول: هو الرزق الحقيقي الذي يتوقف عليه حياة المرء، وهو تحت التعهد الرباني بحكم الآية: ﴿وَمَا مِنْ ذَابَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، يستطيع المرء الحصول على ذلك الرزق مهما كانت الأحوال، إن لم يتدخل سوء اختياره، دون أن يضطر إلى فداء دينه أو التضحية بشرفه وعزته.

(١) انظر: العذاري، قياس مؤشرات ظاهرة الفقر في الوطن العربي، ص ٣٧ - ٤٠.

(٢) كارل ماركس (١٨١٨م-١٨٨٣م): فيلسوف واقتصادي اشتراكي ألماني، أسس المذهب المعروف باسمه- الماركسية، وطرح الرؤية المادية للتاريخ، وقال بالصراع الطبقي محركاً للتقدم الاجتماعي، كما قال بديكتاتورية البروليتاريا، وقد عدّها شكلاً للحكم في المرحلة الانتقالية إلى الاشتراكية، وبالقيمة الزائدة أساساً للاستغلال الرأسمالي، انظر: يفريموفا. سلوم معجم العلوم الاجتماعية، ص ٢٧٣.

القسم الثاني: هو الرزق المجازي، فالذي يُسيء استعماله لا يستطيع أن يتخلى عن الحاجات غير الضرورية، التي غدت ضرورية عنده نتيجة الابتلاء ببلاء التقليد، وثن الحصول على هذا الرزق باهظ جداً ولا سيما في هذا الزمان، حيث لا يدخل ضمن التعهد الرباني، إذ قد ينقاض ذلك المال لقاء تضحيته بعزته سلفاً راضياً بالذلّ، بل قد يصل به حدّ السقوط في هاوية الاستجداء المعنوي، والتنازل إلى تقبيل أقدام أناس منحطين وضعيين، بل قد يحصل على ذلك المال المنحوس الممحق بالتضحية بمقدساته الدينية التي هي نور حياته الخالدة»^(١).

وفيما سبق أشار الإمام النورسي إلى عدة أسباب موصلة لمشكلة الفقر وهي كالآتي:

١. سوء الاختيار وعدم إحسان التصرف بالرزق: ولهذا السبب عدة تطبيقات حياتية نراها في سلوكات البشر، فالكسل سوء اختيار وموصل إلى الفقر، وإهدار الرزق عدم إحسان التصرف وموصل إلى الفقر بسبب الإسراف والتبذير، والتواكل سوء اختيار كذلك.

٢. اختلال ميزان الأولويات: فالمسلم مطالب باتباع الأولى، واختيار الضروري، واختيار الأهم فالمهم، في جميع تصرفاته وسلوكاته، وقد تكفل الله بإرادته إرزاق البشر، بشرط إحسانهم التصرف فيها، واتباع الأولى من أهم القواعد التي تحكم إنفاقهم، فالأولى للضرورة ثم للحاجي ثم للكمالي، فإذا انقلب هذا الميزان، فلا يحق للإنسان أن يسأل عن سبب فقره وفقدانه للرزق.

٣. التقليد: وهو داء موصل إلى الفقر، لأنه إلغاء للعقل والتفكير، واتباع الغير دون امتلاك الإرادة، فالمقلد على استعداد للتنازل والذلّ في سبيل الحصول على الرزق من البشر، وقد نسي أو تناسى أن رزقه بيد الله، فكان سبباً في حرمانه منه وفقره، وبذلك يفقد ماله ودينه.

٤. الخوف من ضياع الرزق: لتعلق الإنسان بالأسباب الموصوفة للرزق ونسيانه أن الرزاق هو الله ﷻ، إذ يخاف من الساسة والقادة لاعتقاده أنهم سبب في إرزاقه، لذلك يقول:

«إن من يتوجس خيفة على دينه من انقلاب سياسي فليس له نصيب من الدين إلا الجهل، وليس له إلا التقليد الذي يرميه في أحضان الاضطراب والارتباك؛ لأنه لما

(١) النورسي، اللغات، ص ٢١٦.

ظنّ - بالعجز ويفقدان الثقة بالنفس - أن سعادته ليست إلا في جيب الحكومة، تصور أن قلبه وعقله كذلك هما في كيس الحكومة، فلا جرم أن يملأه الخوف»^(١).
وبذلك يؤكد الإمام التّوزسي في هذه العبارة أن التعلق بأسباب الرزق الموهومة والكاذبة هي سبب للفقر، فلا رازق إلا الله، أما الظن بأن البشر قادرين على الإرزاق، فهذه كارثة تؤدي إلى بيع العقل والقلب وكذلك الدين لأسباب الرزق الموهومة.

ومن الجدير بالذكر أن أسباب ظاهرة الفقر متعددة وليست محصورة فيما ذكر سابقاً، غير أن الإمام التّوزسي قد أكد تلك الأسباب بأقواله.

المطلب الثالث: الإجراءات العلاجية لمشكلة الفقر

حدّثت الكتابات الحديثة في علم المشكلات عدد من المقترحات لعلاج مشكلة الفقر منطلقاً من التفسيرات الغربية لمشكلة الفقر، منها:

١. تنظيم الأسرة، لمعالجة الفقر الناتج عن التضخم السكاني، وأول الدول التي طبقت هذا القانون هي الصين، حيث حدّدت لكل أسرة طفلاً واحداً فقط^(٢).

وتعدّ حملة تنظيم النسل وتحديد حمة فاشلة بكلّ المقاييس، فقد تكفّل الله تعالى بالرزق إذ قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(٤)، وكذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً﴾^(٥).

(١) التّوزسي، صيقل الإسلام، ص ٣٨٨.

(٢) انظر العيسوي، تحليل ظاهرة الفقر، ص ٣٦٦، بتصرف.

(٣) سورة الذاريات: آية ٢٢.

(٤) سورة الأنعام: آية ١٥١.

(٥) سورة الإسراء: آية ٣١.

٢. بالنسبة لعلاج الفقر ومحاربة أزمة الجوع اقترح عدد من خبراء الاقتصاد والسكان والتغذية، مجموعة من الحلول منها^(١):

أ- الاستيراد الخارجي للغذاء.

ب- التوسع في المساحات الزراعية والعناية بالتربة.

ج- المساعدات التي تقدمها الدول المتقدمة.

د- البحث عن مصادر أخرى للغذاء كالثروة الزراعية والبحرية.

هـ- تطبيق العدالة الاجتماعية بين الدول.

و- التغلب على مشكلة التخلف والامية والبطالة.

٣. تحارب عدد من الحكومات والمنظمات الفقر في البلدان النامية عن طريق تحسين الرعاية الاجتماعية المنظمة، والخدمة الاجتماعية، وبرامج التأهيل الوظيفي.

٤. تعمل المنظمات الخيرية ووكالات الإغاثة العالمية في عديد من البلدان النامية بتوزيع الطعام والدواء في المناطق الأكثر فقراً.

٥. يرضى البنك الدولي والأمم المتحدة وعدد من الوكالات برامج التنمية الاقتصادية في بعض البلدان التي تعاني ركوداً اقتصادياً.

٦. تقدم بعض الخبراء باقتراح التخفيض أو الإعفاء من الديون المستحقة على تلك البلدان لصالح الدول الصناعية الدائمة، وإلغاء قيود الاستيراد حتى تستطيع بيع منتجاتها بسهولة^(٢).

٧. منذ عام ١٩٩٣م يتم الاحتفال سنوياً باليوم العالمي للقضاء على الفقر، حيث حددت الجمعية

(١) انظر العيسوي، تحليل ظاهرة الفقر، ص ٣٦٧، بتصريف.

(٢) انظر العيسوي، تحليل ظاهرة الفقر، ص ٣٦٥.

العامه يوم ١٧ تشرين الأول للاحتفال به يهدف إلى تعزيز الوعي حول الحاجة للحدّ من الفقر^(١).

وقد أغفلت هذه الحلول أن علاج مشكلة الفرد ينبغي أن ينطلق من الفرد والجماعة على حدّ سواء ومن منطلق الواجب أولاً ثم تأتي الحقوق، فما جدوى مساعدة الفرد لفترة آنية بتسديد الديون والإعانات وغيرها، مع عدم تقديره لواجبه في تصحيح حاله وواقعه.

كما أن التضخم السكاني لا يسبب مشكلة إذا كان كلّ فرد منتجاً وعنصراً فاعلاً، فالأولى توجيه الجهود إلى تنمية طاقات الفرد وقدراته لذلك أمر الله تعالى بالعمل الصالح حيث قال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^(٢).

وقد قدّم الإمام النُّوزسي منهجاً لمعالجة مشكلة الفقر، فبعد أن بيّن حقيقة الفقر وأنواعه وأسبابه، لم يترك تفسيره نظرياً بل تطرق إلى الجانب العملي، من خلال مجموعة من الإجراءات العلاجية بنوعها المادية والمعنوية، وبيّنها على النحو الآتي:

أولاً: معالجة مشكلة الفقر المادي بالفقر المعنوي الذي يُمثل صحة العقيدة الاقتصادية: وأقصد بالفقر المعنوي ما بيّنته سابقاً في أنواع الفقر عند الإمام النُّوزسي وهو الفقر والعجز إلى الله ﷻ، وقد شغل هذا الموضوع حيزاً كبيراً في كتابات الإمام النُّوزسي، وأولاه عناية خاصة، فكان أول الإجراءات العلاجية التي يصحح الإنسان بها طريقة تفكيره، ويضبط بها مشاعره وسلوكاته، ويحكم رغباته واحتياجاته.

وفي ذلك يقول الإمام النُّوزسي:

«ففي الإنسان أوف من الرغبات الإيجابية والسلبية أمثال هذه الرغبة، رغبة البقاء، تلك الرغبات ممتدة إلى جهة الأبد والخلود، منتشرة في أقطار العالم كله، فالذي

(١) انظر العيسوي، تحليل ظاهرة الفقر، ص ٣٤٥.

(٢) سورة طه: آية ١٣٢.

يُطمئن هذه الرغبات ويهددها، ويضمد جرحي الإنسان، العجز والفقر ليس إلا الواحد الأحد الذي بيده مقاليد كل شيء»^(١).

فرغبات الإنسان متعددة وممتدة على حدّ تعبير الإمام التّوزسي فيلزمها ضابط وموجّه، وإلا تحول الإنسان إلى حيوان هائج لا يشبعه شيء، وهذا يزيد من فقره وحاجاته، وقد بين الله ﷻ ذلك بقوله: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»^(٢)، واعتراف الإنسان بعجزه وفقره، أمام مولاه الخالق المالك لمقاليد كل شيء هو السبيل إلى كبح جماح الرغبات وحدّها بالضروري منها.

ويعد ذلك يُحدّد الإمام التّوزسي الوسائل التربوية للوصول إلى الله ﷻ عن طريق الفقر والعجز، ومن هذه الوسائل:

١. الإيمان بالله ﷻ: يُعدّ الإيمان بالله علاجاً لكل مرض مادي، كما يعبر الإمام التّوزسي بقوله:

«نعم، إن ألم الأمراض المادية الجزئية يزوب وينسحق تحت وابل السرور المعنوي والشفاء اللذيذ، القادمين من الإيمان»^(٣).

ويبيّن الإمام التّوزسي آثار هذه الوسيلة في النفس الإنسانية بقوله:

«إن الإيمان بالله الخالق الرحيم هو الذي يجعل أرواحهم تنبسط، وقابلياتهم تنمو، ومواهبهم تتربى بسعادة - بما يكمن فيهم من ضعف وعجز - ويستطيعون أن ينظروا إلى الحياة نظرة اشتياق بتلقين التوكل الإيماني والتسليم الإسلامي تلقيناً يمكنهم من أن يصمدوا إزاء ما ستجابهم من أحوال وأهوال»^(٤).

ذلك أن المؤمن بالله ﷻ يتوكل عليه ويستطيع اختيار الحلول لجميع ما يواجهه من مشكلات

ومنها مشكلة الفقر، لأنه يمتلك سلاحين يُخلصان الإنسان من الفقر، هما:

(١) التّوزسي، الشعاعات، ص ١٩.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٦٨.

(٣) التّوزسي، اللمعات، ص ٣٢٢.

(٤) التّوزسي، المكتوبات، ص ٥٤٥.

■ سلاح التوكل في مواجهة الخوف من الأسباب الموهومة للرزق، فإذا أدرك الإنسان أنه يجب أن

يُتعلّق بالله ﷻ، ويعتقد بأنه وحده الرزاق، فلا بدّ أنه سيعتمد على الله ويتوكل عليه حقّ التوكل.

■ سلاح العزة والرفعة في مواجهة التقليد والتبعية، وبذلك سيحافظ على شخصيته من الذلّ والإهانة.

وبذلك استحققت هذه الوسيلة إطلاق الإمام النُّوزسي عليها بأنها "نقطة استناد البشر في

مواجهة المصائب" حيث يقول:

«إن نقطة استناد البشر عند مهاجمة المصائب والأعداء من الخارج والداخل، مع عجزه وقلة حيلته، وكذا نقطة استمداده لآماله غير المحدودة الممتدة إلى الأبد مع فقره وفاقته، ليس إلا معرفة الصانع والإيمان به والتصديق بالآخرة، فلا سبيل للبشرية المتيقظة إلى الخلاص من غفوتها سوى الإقرار بكل ذلك»^(١). فتعدّ هذه الوسيلة سبيلاً وحيداً للبشرية حتى تتخلص من مصائبها ومشكلاتها الداخلية والخارجية ومنها مشكلة الفقر.

٢. الدعاء: وترتبط هذه الوسيلة بالإيمان، وهي تابعة لها، وقد عبّر الإمام النُّوزسي عن ذلك بقوله:

«وحيث أن الإنسان متعرض لما لا يحصى من أنواع البليات والمطالب ومهاجمة الأعداء لما يحمل من عجز مطلق، وله مطالب كثيرة وحاجات عديدة مع أنه في فقر مدقع لا نهاية له، لذا تكون وظيفته الفطرية الأساس "الدعاء" بعد الإيمان وهو أساس العبادة ومخها»^(٢).

ويُعلّل الإمام النُّوزسي حرصه على هذه الأسلحة في علاج مشكلة الفقر بقوله: "فهذا الكلام

دواء مجرب لمرض العجز البشري وسقم الفقر الإنساني "حسبنا الله ونعم الوكيل" إذ هو الموجد

الموجود الباقي فلا بأس بزوال الموجودات لدوام الوجود المحبوب ببقاء موجد الواجب الوجود"^(٣).

(١) النُّوزسي، صيقل الإسلام، ص ٤٩٤.

(٢) النُّوزسي، الكلمات، ص ٣٥٥.

(٣) النُّوزسي، الشّعاعات، ص ٩٦.

وملخص ما سبق أن الإمام النُّوزسي قد قدّم أهم الإجراءات العلاجية لمشكلات الفقر؛ وهو صحة العقيدة الاقتصادية، وهذا الأسلوب له فاعلية كبيرة في مواجهة الفقر بأنواعه المختلفة، إذ يتوصل الإنسان بوساطته إلى الفهم الصحيح لمفردات العقيدة المتعلقة بالرزق، والمفردات المتعلقة بعلاقة الإنسان بالكون والحياة، من خلال الفهم الصحيح للقضاء والقدر بشأن الفقر، بالإضافة إلى الفهم الصحيح للتوازن بين الموارد الاقتصادية وحاجات البشر.

ولا يخفى على أحد تكاملية المنهج الإسلامي في عرض هذه المفردات، فالعقيدة وصحتها عنصر مهم في علاج مشكلة الفقر وبقية المشكلات الاجتماعية، وهذا الأسلوب يقع تحت عنوان: "الوقاية خير من العلاج"، فكان الإمام النُّوزسي يؤكد على ضرورة الوسائل الوقائية ويُعلي من شأنها.

ثانياً: معالجة مشكلة الفقر عن طريق تصحيح العلاقة بين الأغنياء والفقراء: وبعد الطريق الأول الموصل إلى الله ﷻ، والذي تتخلص به الذات الإنسانية من أمراض النفس، وتلجأ إلى مولاها بصدق وهمة، ينبغي أن لا يرى في المجتمع الإسلامي إلا الفقراء غير القادرين على العمل، وهؤلاء هم الذين شرعت الزكاة من أجلهم، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١).

والزكاة هي أداة الإسلام الرئيسية في محاربة الفقر، وهي ثلاثة أركان الإسلام الخمسة، بعد الشهادتين وإقام الصلاة، ويعني ذلك أن التشريعات الإسلامية للقضاء على الفقر تنطلق وتبدأ من أركان الإسلام.

وقد سعى النُّوزسي قبل التذكير بالإلزام بالزكاة والنفقة الواجبة، إلى تصحيح العلاقة بين الأغنياء والفقراء بمعالجة نفسية الغني كما عالج نفسية الفقير سابقاً، فقال:

(١) سورة البقرة: آية ٢٧١.

«إنَّ النَّاسَ قَدْ خُلِقُوا عَلَى صُورٍ مُتَبَايِنَةٍ مِنْ حَيْثُ الْمَعِيشَةِ، وَعَلَيْهِ يَدْعُو اللَّهُ الْأَغْنِيَاءَ لِمَدِّ الْمَعَاوَنَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الْفُقَرَاءَ، وَلَا جَرَمَ أَنْ الْأَغْنِيَاءَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْتَشْعِرُوا شَعُوراً كَامِلاً حَالَاتِ الْفَقْرِ الْبَاعِثَةَ عَلَى الرَّأْفَةِ، وَلَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَحْسُوا إِحْسَاساً تَاماً بِجُوعِهِمْ إِلَّا مِنْ خِلَالِ الْجُوعِ الْمَتَوَلِّدِ مِنَ الصَّوْمِ»^(١).

وبذلك يُضَيِّفُ الإمامُ النَّوْزِسِيُّ واجباً على الغنى حتى يبذل ما وجب عليه من زكاة ونبقة واجبة، وما يقممه تطوعاً من صدقات، ألا وهو الصيام، وقد علَّلَ ذلك: بأن الغني لا يستطيع أن يشعر بإحساس الفقير إلا من خلال جوعه عندما يصوم، لأن التجربة هي التي تخرجه من عالم الترف والخيال الذي يعيش فيه إلى عالم الواقع الذي يعيشه الفقير، ففي لحظات الجوع تتوحد مشاعرهما، فيجِدُ في الإعانة والصدقات دونما مَنَّةٍ أو إذلال.

وإنَّ تنبيه النَّوْزِسِيِّ على هذا الأمرِ إشاراتٌ تربويةٌ للعلاقة القوية بين الفقراء والأغنياء، إذ تعمل على تقوية الروابط الاجتماعية الإيجابية، وإلغاء الطبقة؛ حيث أن هذه المشاعر تولد علاقة قوية بين الغني ومجتمعه، وتظهر هذه العلاقة من قوله ﷺ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفَافاً وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٢)، وتعمل على توليد إحساس قوي لدى الفقير بأن الأغنياء يشاركونه وهم من أهم فئات المجتمع فعالية.

ثالثاً: معالجة مشكلة الفقر عن طريق تكوين النظرة الإيجابية للمشكلة: يؤكد النَّوْزِسِيُّ على تكوين النظرة الإيجابية لمفردات الحياة جميعها، هذه النظرة التي تدعو إلى الفاعلية في الحياة والسعي بثبات في عمارتها، فيقول:

«إنَّ حياتي بضعفها وعجزها وفقرها واحتياجها، تؤدي مهمة مرآة عاكسة لقدرة خالق الحياة وقوته وغناه ورحمته، إذ كما تُعَلِّمُ درجات لذة الطعام بمقدار الجوع،

(١) النَّوْزِسِيُّ، المكتوبات، ص ٥١٥.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٧٣.

وتُعلم مراتب الضوء بمراتب الظلام،... كذلك عرفتُ بالعجز والفقر غير المحددين الكافيين في حياتي القدرة المطلقة لخالقي ورحمته الواسعة من حيث إزالة حاجاتي التي لا تنتهي ودفع أعدائي الذين لا يُعدون، فعملت وظيفته العبودية، وتزودت بالسؤال والدعاء والالتجاء والتذلل»^(١).

فقد حوّل الإمام النُّوزسي مشكلة الفقر من الناحية النفسية إلى نعمة تُبقي المسلم في تذكر وتذلل لخالقه، فهو مستسلم للقدر بعد أخذ الأسباب اللازمة، يعرف قدرة الخالق، ويتلذذ بمعرفة رحمته تعالى، وقد أخبر الله تعالى عن هذه الروح الإيجابية التي يجب أن يتصف بها الفقير بقوله ﷺ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَتَّصِرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْلِيكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).

رابعاً: معالجة مشكلة الفقر عن طريق الحث على العمل: أدرك الإمام النُّوزسي أن التواكل والكسل سبب من أسباب الفقر، فعالجه بالحث على العمل، مؤكداً على معناه القيمي، الذي يمثل ثقافة التقدم والارتقاء، مستنبطاً ذلك من قوله ﷺ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣)، ولذلك نجده يوجه رسالة لجميع الكسالى، يُحفزهم على العمل ويبين لهم لذته وسعادته بقوله:

«يا من لا يدرك مدى اللذة والسعادة في السعي والعمل، أيها الكسلان أعلم أن الحق تبارك وتعالى قد أدرج لكم كرمه جزاء الخدمة في الخدمة نفسها، وأدمج ثواب العمل في العمل نفسه... تأمل في وظائف أعضائك وحواسك، ترى أن كلاً منها يجد لذات متنوعة أثناء قيامه بمهامه في سبيل بقاء الشخص أو النوع، فالخدمة نفسها والوظيفة عينها تكون بمثابة ضرب من التلذذ والمتعة بالنسبة لها، بل يكون ترك الوظيفة والعمل عذاباً مؤلماً لذلك العضو»^(٤).

(١) النُّوزسي، الشعاعات، ص ٨٣.

(٢) سورة الحشر: آية ٨.

(٣) سورة التوبة: آية ١٠٥.

(٤) النُّوزسي، اللغات، ص ١٨٨-١٨٩ باختصار.

فقد أوضح الإمام التُّوزسي فكرة رائعة وقاعدة ضرورية في حديثه السابق، إذ يُحدد أن أجر العمل في العمل نفسه، ولذة الأجر تتولد من خلال قيام الإنسان بمهامه المطلوبة، وهذه القاعدة رسالة موجّهة لكل إنسان، وللكسالي خاصة؛ ومضمونها: أن استشعروا لذة العمل أثناء القيام به، فبالعمل يشعر الإنسان بكرامته وبقيّمة وجوده في الحياة.

ويلحظ القارئ أن الإمام التُّوزسي لم يكتفِ بذكر هذه الرسالة، بل أوضحها بتشبيه بليغ غاية في الإتقان، وذلك بتشبيه العامل في مجتمعه بالعضو في الجسم البشري، فكما يتلذذ العضو في إتمام وظائف الجسم لأعماله فتتكامل أعمال الأعضاء في سبيل بقاء الإنسان، وكذلك لا بدّ للعامل أن يتقن عمله ويجد فيه في سبيل بقاء أهله ومجتمعه، وباستخدام هذا التشبيه حقّق مقصدين هما:

١. إشعار الكسالي باللذة المصاحبة للعمل وإتمام الواجبات المطلوبة بسبب سمو الغاية والهدف.

٢. إظهار خطورة ترك الأعمال والكسل عنها؛ لأن ترك أعضاء الجسم لأعمالها هو موت محقق.

"والمهم بالنسبة للعالم الإسلامي، ليست قضية إمكان مالي، ولكن قضية تعبئة الطاقات الاجتماعية، ضمن إطار مشروع حضاري ينطلق من روح الإسلام، والعدالة، والإيجابية في نيل حياة كريمة"^(١).

لذلك فإن تأكيد الإمام التُّوزسي على العمل يُعدّ تصحيحاً لعقيدة الفقير، فيدفع الفقير ليقضي على فقره، من خلال اهتمامه بالعنصر المادي في الحياة فلا يهمله، وهذا الأمر له أهمية في حياتنا المعاصرة، وحتى يكون العمل فاعلاً ووسيلة علاجية للفقير لا بدّ من توافر شرطين هما:

(١) ابن نبي، مالك، المسلم في عالم الاقتصاد، د.ط، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩، ص ٧٣.

الأول: اقتِران العمل بالإخلاص! وفي ذلك يقول الإمام النُّوزسي:

«إن محور النجاة ومدارها الإخلاص، فالفوز به إذن أمر في غاية الأهمية لأن نرة من عمل خالص أفضل عند الله من أطنان من الأعمال المشوبة، فالذي يجعل الإنسان يحرز الإخلاص هو تفكره في أن الدافع إلى العمل هو الأمر الإلهي لا غير، ونتيجته كسب رضاه وحده»^(١).

وقد فسّر الإخلاص في قوله هذا، بضرورة قصر الهدف من العمل على طلب رضا الله

تعالى، منطلقاً من قوله ﷺ: «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ»^(٢)، ويتحقق

الإخلاص من خلال:

- تربية الفرد على تكوين الدافع للعمل، وهنا يُحدد الدافع بالالتزام بأوامر الله.
- عدم مخالفة السنن الإلهية أو التدخل في النتائج، فإذا فعل الإنسان هذا الأمر في جميع أعماله، كان عمله مقبولاً.

ونتيجة الإخلاص في العمل تحقّق بقظة الحياة للإنسان، وفي ذلك يقول النُّوزسي:

«إن أشد الناس شقاءً واضطراباً وضيقاً هو العاطل عن العمل، لأن العطل هو ابن أخ العدم، أما السعي فهو حياة الوجود ويقظة الحياة»^(٣).

والثاني: الحرص على الصالح العام وترك الغيرة والحسد في العمل: وقد فسّر الإمام النُّوزسي هذا الشرط، وبين أن الصورة المثالية للعمل هي التي يتعاون فيها الجميع على إنجازه، الضعيف والقوي، الصغير والكبير، فيفرح الجميع بالتفوق ولا يكون هناك مجال للحسد أو الغيرة، ولا ضرورة لوجود الرقابة، فالرقابة داخلية في ضمير كل عامل، وغالباً ما تكون هذه الصورة موجودة في الأعمال الأخروية، فكأنه يدعو إلى تطبيق هذه الصورة في المؤسسات الدنيوية عندها ترتقي المؤسسات

(١) النُّوزسي، اللمعات، ص ٢٠١.

(٢) سورة الزمر، آية ١١.

(٣) النُّوزسي، المكتوبات، ص ٦١٣.

وتزدهر، فإذا خالف الإنسان وأشرك الناس في مقصده من عمله، واحتاج إلى رقابة وانعدم الإخلاص، أبطل عمله وفقد لذته وقوته.

وفي ذلك يقول:

«إن عرق الرقابة والغبطة والحسد إنما يتحرك عند أخذ الأجرة وتوزيع المكافأة وملاحظتها، أما عند الخدمة وفي وقت العمل فلا، بل الأضعف يُحبّ الأقوى، والأدنى يميل إلى الأعلى، ويستحسن تفوقه عليه، ويحب زيادته في الخدمة عليه، لأنه يتخفف عنه ثقل الخدمة وكلفة العمل، فإذا كانت الدنيا دار خدمة وعمل فقط للأموال الدينية والأعمال الأخروية، لا بدّ أن لا يتداخل فيها الرقابة والحسد، وإذا تداخلت فيها الرقابة يظهر عدم الإخلاص. وأن العامل في تلك الأعمال يلاحظ مكافأة دنيوية أيضاً، وهو تقدير الناس واستحسانهم، ولا يعرف المسكين أنه بهذه الملاحظة أبطل عمله -بدرجة- بعدم الإخلاص بتشريك الناس برب الناس في إعطاء الثواب، وأضعف قوته بتفجير الناس عن معاونته»^(١).

ومن خلال ما سبق يظهر تفوق الفكر الإسلامي في المفهوم القيمي للعمل، والذي عرض الإمام النورسي أنموذجاً له، عند مقابلته بالفكر الاقتصادي الوضعي الذي يؤكد على المفهوم المادي للعمل، بل ويفرده به دون الالتفات إلى المفهوم الديني الإيماني.

وخلاصة منهج النورسي في معالجة مشكلة الفقر، أن وسائل استئصال هذا المرض الاجتماعي تنقسم إلى نوعين هما:

النوع الأول: الوسائل الروحية النفسية لمعالجة الفقر، وذلك بالإيمان والنظرة الإيجابية.

النوع الثاني: الوسائل المادية العملية، وذلك بتصحيح العلاقة بين الفقراء والأغنياء والحث على العمل.

وبذلك يكون قد جمع بين الإجراءات العملية والنظرية ليحقق التكامل بينهما، كل ذلك في سبيل الوصول إلى الحل الأنجع لهذه المشكلة، وتكوين خطة متكاملة تضمن مكافحة الفقر في

(١) النورسي، المثوي العربي النوري، ص ٣٧٦.

المستقبل، كما أنه من خلال منهجه هذا يُشير إلى تكامل منهج الإسلام بنظامه العقدي الاقتصادي والاجتماعي والفكري والسياسي في معالجة مشكلة الفقر، وليس قصره على النظام الاقتصادي فقط. وقد توصلتُ إلى أهم قاعدتين تربويتين استخلصتهما من كلام الإمام النُوزسي لتطبيق منهجه في معالجة مشكلة الفقر أثناء تربية الجيل الجديد:

١. ضرورة غرس القيم الاقتصادية الإيمانية في نفوس النشء منذ الصغر مثل قيمة الإخلاص وقيمة الإتقان.

٢. تربية الأفراد على حب العمل مع التدريب المتواصل عليه.

المبحث الخامس

مشكلة العنصرية

كانت البلاد الإسلامية ولا زالت تعاني من مشكلة العنصرية عبر العصور، وهكذا حال تركيا، فقد وقعت فريسة لهذا الداء، لذلك خصّص الإمام النورسي في رسائل النور نصيباً كبيراً للبحث في مفردات هذه المشكلة، وما هذه العناية إلا حماية للدين الإسلامي والقرآن الكريم من خطر أهدق بالأمة، وسعى إلى تمزيقها وتفتيتها إلى دويلات وقبائل متناثرة، وقد انتشر هذا الفكر في زمن النورسي أيما انتشار، وهذا ما أكد عليه الإمام بقوله:

«لقد انتشر الفكر القومي وترسخ في هذا العصر، ويثير ظالمو أوروبا الماكرون
بخاصة هذا الفكر بشكله السلبي في أوساط المسلمين ليمزقوهم ويسهل لهم
ابتلاعهم»^(١).

وقد تناول الإمام هذه القضية بالدرس من شتى جوانبها، فبحث في مفهومها، وأهدافها، ووسائل معالجتها في مواطن كثيرة من كليات رسائل النور، وعليه تمّ تقسيم المبحث إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم العنصرية وأضرارها وعلاقتها بالقومية السلبية.

المطلب الثاني: العوامل المغذية للعنصرية وأهدافها.

المطلب الثالث: الإجراءات العلاجية لمعالجة مشكلة العنصرية.

(١) النورسي، المكتوبات، ص ٤١٤.

المطلب الأول: مفهوم العنصرية وأضرارها وعلاقتها بالقومية السلبية

قامت هيئة الأمم المتحدة بتعريف العنصرية والتفرقة: بأنها أي سلوك يقوم على التمييز المعتمد على خفيات للفئات الطبيعية أو الاجتماعية، وكذلك كل سلوك لا علاقة له بقدرات الفرد أو كفاءاته.

فهي تميز نسبي بين الأفراد في مواقف معينة أو أماكن أو امتيازات خاصة أو حماية لجماعات معينة، وتتضمن معاملة غير متكافئة لأفراد أو جماعات معينة اعتماداً على بعض الخصائص الطائفية مثل العنصر أو السلالة أو الدين أو الطبقة^(١).

وعلى الرغم من اهتمام الإمام النورسي بقضية العنصرية، إلا أنني لم أجد عنده تعريفاً محدداً لها، لكنه أشار إلى عدد من العناصر المكونة لها، والتي تتحد فيما بينها لتشكل ملامحها، كما أن الإمام ساوى بين مصطلح القومية السلبية، ومصطلح الدعوة إلى العنصرية، موحداً بينهما؛ لاشتراكهما في الأهداف والوسائل والآثار، فكانت عناصر مفهوم العنصرية عنده، هي: أولاً: إن العنصرية والقومية السلبية هي الافتخار بالانتماء لعنصر معين؛ لوجود قاسم مشترك سواء الاشتراك في اللون أو العرق أو البلد أو غير ذلك، وقد أشار الإمام النورسي إلى هذا المفهوم عندما قال:

«إن قلتم: يطلقون عليك اسم "سعيد الكردي" فربما تحمل فكر العنصرية والدعوة إليها، وهذا ما لا يتفق وشأننا ولا طائل لنا به، وأنا أقول: أيها السادة! إن ما كتبه سعيد القديم وسعيد الجديد في متناول اليد، أبينه شاهداً ولقد نظرت - منذ السابق - إلى القومية السلبية والدعوة إلى العنصرية نظرة السم القاتل، لأنها مرض أوروبي خبيث سار... ولقد ألفت أوروبا بذلك المرض الوييل بين المسلمين؛

(١) انظر: نخبة من أساتذة قسم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية لطلاب قسم الاجتماع، ص ١٣٦، بتصرف.

ليمزقهم ويفرقهم، ليسهل عليها ابتلاعهم قطعاً متناثرة، ولقد بذلت ما وسعني من الجهد لعلاج هذا الداء الخبيث، ويشهد طلابي ومن له علاقة معي بذلك»^(١).
فقد اتهم الإمام النورسي بحمل فكر العنصرية بسبب انتمائه للأكراد، وذلك أن هذا الصراع دائر في كل الأزمان والأماكن، فوجود عنصرين أو أكثر في منطقة جغرافية قابل لنمو هذه النعرات، خاصة إذا استجيب للدعوات الهدامة من قبل العناصر الخارجية المغذية للقبلية والعنصرية والتفرقة بين الأتراك والأكراد.

ويلمس القارئ حرص الإمام النورسي على درء هذه التهمة عن نفسه، لكنه أولى اهتماماً أكبر بعلاج مرض العنصرية، واستدل برسائله وطلابه والمحيطين به على استمرار حربه ضده.
ثانياً: أشار الإمام النورسي إلى أن العنصرية هي مرض أوروبي خبيث: فالعنصرية عصبية جاهلية، حاربها الإسلام على مر الأزمان، كما في الشاهد السابق، وقد ساوى الإمام بين مصطلح القومية السلبية، ومصطلح الدعوة إلى العنصرية، موحداً بينهما؛ لاشتراكهما في الأهداف والوسائل والآثار، فكلاهما سمّ زعاف، صدره الغرب إلينا بهدف تمزيق وحدة المسلمين وتفريقهم.

ثالثاً: العنصرية والقومية السلبية بمفهوم التمييز أو الاستثناء أو التفضيل:

فهي تُعطي فئة معينة أفضلية على غيرها، أو منفعة تختص بها على حساب غيرها من الفئات، وهذه هي الحمية الجاهلية، والتي أشار إليها بقوله:

«إذ الحمية بمفهوم العنصرية يمكن أن يجلب النفع والفائدة لاثنتين من كل ثمانية أشخاص من الناس، فائدة مؤقتة، فينالون مما لا يستحقونه من الحمية، أما الستة الباقون فهم إما شيخ أو مريض أو مبتلى ببلاء، أو طفل، أو ضعيف جداً، أو متق يخشى الله ويرجو الآخرة... فهؤلاء يبحثون عن سلوان ونور يبعث فيهم الأمل، حيث أنهم يتوجهون إلى حياة برزخية وأخروية، فهم محتاجون إلى أيدي اللطف

(١) النورسي، المكتوبات، ص ٧٩.

والرحمة تُمدد إليهم، فأية حمية تُسمح لإطفاء نور الأمل لدى هؤلاء والتهوين من سلوانهم؟!»^(١).

وبهذا يوضح خطر التمييز أو الحمية المبنية على أسس غير منطقية وظالمة، تحقق النفع للقلة، وتظلم الآخرين، كما أنها فائدة مؤقتة زائلة، فهي مصدر للاعتداء على الآخرين وسلب حقوقهم، ويقول في ذلك أيضاً: «وشأن العنصرية هو التجاوز حيث تكبر بابتلاع غيرها»^(٢).
رابعاً: العنصرية والقومية السلبية بمفهوم العصبية والعناد والأنانية: تتضمن العنصرية مجموعة من القيم السلبية التي تتأى عنها الطباع السليمة، وهذه الرذائل الخفية تؤدي إلى ارتكاب المظالم والمآسي، وإلى ذلك أشار الإمام التورسي أثناء إجابته عندما سُئل:

«أفلا يدفعكم الفضول إلى الاهتمام بالتيارات الجارية في العالم والسؤال عنها، أجاب: نعم، لأن هذه الحروب المدمرة ليست لأجل إحقاق الحق وإرساء الحقيقة ولا لأجل إعلاء شأن الدين وإقرار العدالة، بل تستند إلى العناد والعصبية القومية والمصلحة النوعية وإشباع أنانية النفس، فترتكب مظالم شنيعة ومآسي أليمة لم يُر مثيلها في العالم، والدليل على ذلك: إفناء الأبرياء من أطفال وعوائل وشيوخ ووصى بالقتال المدمرة بحجة وجود جندي أو اثنين من جنود الأعداء فيما بينهم»^(٣).

وكما يُلحظ من أقوال الإمام التورسي أن لهذا الفكر الهدام الكثير من الأضرار أخصها بالآتي:

- أ. الظلم والاعتداء على الآخرين، وبالتالي الخلل الجسيم في شبكة العلاقات الاجتماعية.
- ب. تمزيق الأمم والشعوب ليسهل استعمارهم ونهب خيراتهم.
- ج. إشعال نار الفتنة بين الدول والقبائل وسيادة الحروب المدمرة.
- د. أعمال العنف المختلفة من قتل ونهب وقسوة وعداوة.

(١) التورسي، المكتوبات، ص ٤٢١.

(٢) التورسي، الكلمات، ص ٤٧٢.

(٣) التورسي، الملاحق، ص ٢٠٣.

وقد بين الشريفيين أن النُوزسي قد وصف العنصرية وصفاً دقيقاً، ليخرج الباحث الجاد بتصور

واضح رغم عدم وجود تعريف إجرائي للقضية، وهذه الخصائص ممثلة بالنقاط الآتية^(١):

أولاً: تعدي العنصرية والقومية السلبية على الآخرين وتُسلب حقوقهم.

ثانياً: تتجاوز الآخرين وتبتلعهم بما في ذلك من ظلم واعتداء على الغير.

ثالثاً: التصادم مع الآخرين المؤدي إلى الدمار والهلاك.

رابعاً: تحدي أوامر الحق سبحانه وتعالى.

كما بين الإمام النُوزسي نوعين للقومية هما:

١. القومية السلبية: وهي التعصب لجنس معين أو قوم معينين، وهي العصبية الجاهلية التي

تتربى وتتمو بابتلاع الآخرين، وتدوم بعداوة من سواهم، الخطر المترتب من هذا النوع: أنه يولد

المخاصمة والنزاع وتفرقة القلوب، بالإضافة إلى أنه يؤدي للدمار والحروب، الضعف وتردي

الأحوال، والتباغض والتنافر والفقير^(٢).

٢. القومية الإيجابية: وهي القومية الإسلامية، أي تعصب المسلم لدينه الإسلامي وولاؤه لعقيدته

الإسلامية، فهي سبب للتعاون والتساند، ومنافع هذا النوع: تشجيع الأخوة الإسلامية التي تتضمن

ألوف من أنواع الأخوة، وتضمن الترابط والتآلف بين المسلمين على اخلاف ألوانهم ولغاتهم

وأعرافهم وأجناسهم^(٣).

(١) انظر: الشريفيين، عماد عبدالله، العنصرية والقومية السلبية من خلال كليات ضوء رسائل النور للنورسي، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان سعيد النُوزسي، استانبول، ٢٠١٠م، ص ٧٤٥-٧٤٦، بتصرف.

(٢) انظر النُوزسي، المكتويات، ص ٤١٤-٤١٥، بتصرف.

(٣) انظر النُوزسي، المكتويات، ص ٤١٥-٤١٦، بتصرف.

المطلب الثاني: العوامل المغذية للعنصرية وأهدافها

تُغذي العنصرية والقومية السلبية في أساسها عوامل نفسية، فيلجأ الإنسان إلى تعويض ذلك النقص بالدعوة إلى التفوق الاجتماعي أو الاقتصادي أو العلمي أو غير ذلك من نزعات ظالمة، وما يغذي هذه التّعرة الجاهلية عوامل أخرى خارجية، كالاستعمار والعوامل السياسية وغير ذلك مما أشار إليه الإمام النورسي في كليات رسائل النور، وقد صنفتُ هذه العوامل بما يأتي:

أولاً: العوامل الداخلية المغذية للعنصرية: وأولها العوامل النفسية مثل الأنانية، وقد قدّم الإمام النورسي تحليلاً دقيقاً لنا والآنانية، والتي تؤدي في نهاية المطاف إلى تنمية روح العنصرية والقومية السلبية بقوله:

«إن (أنا) مع أنه ألف رقيق، خيط دقيق، خط مفترض، إلا أنه إن لم تعرف ماهيته ينمو في الخفاء - كنمو البذرة تحت التراب- ويكبر شيئاً فشيئاً، حتى ينتشر في جميع أنحاء وجود الإنسان، فيبلعه ابتلاع الثعبان الضخم، فيكون ذلك الإنسان بكامله وبجميع لطائفه ومشاعره عبارة عن (أنا)، ثم تمده (أنانية) النوع نافخة فيه روح العصبية النوعية القومية، فيستغلظ بالاستناد على هذه (الأنانية) حتى يصير كالشيطان الرجيم يتحدى أوامر الله ويعارضها»^(١).

ينبّه الإمام إلى أن اعتزاز الإنسان بنفسه وبخصائصه بعيداً عن إيمانه ودينه، يتحول إلى أنانية مرفوضة، توّقد روح العصبية وتعمل على تتميتها، ويزداد الشعور بالتفوق حتى يتحول الإنسان إلى شيطان يعتدي على الآخرين، ويعصي أوامر الله تعالى ويتحداها بذلك العصيان.

وثاني العوامل الداخلية هو ضعف الإيمان والحقد على الإسلام، وهذا الحقد الدفين ظهر في زمن الإمام النورسي من جهتين، الجهة الأولى: وهي الغرب وسبق أن أشرتُ إلى مجموعة من أقوال النورسي بشأن أوروبا وحقدتها على الإسلام وأملها في تفريق الأمة الإسلامية وتمزيقها، والجهة الثانية: الحكومة التركية وهي الأشد خطراً لأنها مبطنّة وغير واضحة أمام بقية الأتراك، فمن

(١) النورسي، الكلمات، ص ٦٣٨.

الطبيعي أن يعرف الأتراك كره أوروبا للإسلام، ولكنهم لا يدركون خطر الحكومة التركية في تلك الفترة، إذ ادّعت انتمائها للإسلام، وأبطنت العداء له.

وقد بيّن الإمام النورسي هذا الخطر من خلال حديثه عن الفتوى التي سادت في تركيا بشأن

إقامة الصلاة باللغة التركية، وقد حرّم هذه الفتوى وأعلن أنها نتاج للعنصرية لذلك نجده يتساءل:

«أي أصل من أصولكم هذا الذي تستندون إليه في تكليف أمثالي ممن هم من قوم آخرين: أن أقم الصلاة باللغة التركية، بناء على فتوى محرفة مبتدعة، باسم العنصرية التركية التي تعني التفرنج المنافي كلياً لقومية وأعراف وعادات هذه الأمة التي امتزجت واتحدت بالإسلام منذ القدم واحترمته، وعلى الرغم من أنني على علاقة وثيقة وصداقة صميمية وأخوة خالصة بالأتراك الحقيقيين، فإني لست على علاقة أبداً مع الدعوة القومية لأمثالكم من المتفرنجين»^(١).

واعتمد الأتراك في هذه الفتوى على رأي الإمام أبي حنيفة النعمان من جواز الصلاة بقراءة

سورة الفاتحة بالفارسية وغيرها من الألسنة، فردّ على ذلك:

تبان فتوى الإمام الأعظم، فتوى خاصة بخمس جهات:
الأولى: أنها تخص أولئك القاطنين في دار أخرى، وبلاد بعيدة عن مركز الإسلام.
الثانية: أنها مبنية على الحاجة الحقيقية.
الثالثة: أنها خاصة بترجمتها إلى الفارسية، التي تعد -في رواية- من لسان أهل الجنة.

الرابعة: أنها حكم بالجواز خصيصاً لسورة الفاتحة، لئلا يترك الصلاة من لا يعرف سورة الفاتحة.

الخامسة: لقد أظهر الجواز ليكون باعثاً لفهم العوام المعاني المقدسة - لحماية إسلامية نابغة عن قوة الإيمان - والحال أن ترك أصلها العربي، وترجمتها بدافع الهدم الناشئ من ضعف الإيمان، والنابع من فكر العنصرية والنفور من لسان العربية - الناجمة من ضعف الإيمان - ما هو إلا دفع للناس إلى ترك الدين والخروج عليه^(٢).

(١) النورسي، المكتوبات، ص ٥٥٥.

(٢) النورسي، المكتوبات، ص ٥٥٩-٥٦٠.

فبيّن الإمام صراحة أن دافع هذه الفتوى ومحفزها هو العنصرية، والتي تحمل في طياتها كرهاً للعرب وللغتهم، ومنبعها ترك الدين والحدّ عليه الناتج من ضعف الإيمان.

ثانياً: العوامل الخارجية المغذية للعنصرية: وأولها: المدنية الحاضرة وفلسفتها المادية، والتي تعتمد على القوة وتسيطر عليها المنفعة والمصالح الشخصية، وبالتالي هي حريصة على تنمية روح العنصرية ليسهل عليها نيل ما تريد من العناصر الأضعف والأقلّ تفوقاً، وما كانت أقلّ تفوقاً إلا بسبب تفزقها وتمزقها إلى فئات صغيرة يسهل السيطرة عليها، ولذلك ينبّه الإمام النورسي على ذلك بقوله:

«فالمدينة الحاضرة تؤمن بفلسفتها: إن ركيزة الحياة الاجتماعية البشرية هي (القوة) وهي تستهدف (المنفعة) في كل شيء، وتتخذ (الصراع) دستوراً للحياة، وتتزم بالعنصرية والقومية السلبية رابطة للجماعات، وغايتها هي (الهُوَ عابث) لإشباع الرغبات والميول التي من شأنها تزييد جموح النفس وإثارة الهوى، ومن المعلوم أن شأن (القوة) هو (التجاوز)، وشأن (المنفعة) هو (التزاحم) إذ هي لا تفي بحاجات الجميع وتلبية رغباتهم، وشأن (الصراع) هو (التصادم) وشأن (العنصرية) هو (التجاوز) حيث تكبر بابتلاع غيرها»^(١).

وثاني العوامل الخارجية: الأحوال السياسية والحكم، فتلجأ بعض الحكومات إلى إضرام نار النعرة القومية والعنصرية لتفريق الناس وتمزيق وحدتهم، وهذا الأمر شائع عبر العصور، وقد أشار الإمام النورسي لذلك بقوله:

«كما فرقت الناس شر فرقة في بداية عهد الحرية وإعلان الدستور، حيث تأسست النوادي والتكتلات، كما استغلت إثارة النعرة القومية مجدداً لتفريق بين الأخوة العرب النجباء وبين الأتراك المجاهدين، فعمّ الاضطراب وسلبت راحة الناس»^(٢).

(١) النورسي، الكلمات، ص ٤٧٢.

(٢) النورسي، الملاحق، ص ٤١٥.

وقد خصّ الإمام النُّوزسي الوضع الذي عاشه من حالة التفريق بين العرب والأتراك لما لذلك الوضع من خطر على الإسلام، لأن التفريق في أساسه ما كان إلا لينتزع الإسلام من تركيا بحجة أنه موجّه للعرب وللغتهم العربية، وهذه وسيلة الساسة للوصول إلى أغراضهم تحت شعار فَرَق تَسُد.

المطلب الثالث: الإجراءات العلاجية لمشكلة العنصرية

اجتهد الإمام النُّوزسي في معالجة مشكلة العنصرية أيما اجتهاد، وقد توصل الشريفيين إلى أربعة مرتكزات علاجية لمشكلة العنصرية عند الإمام النُّوزسي، وهي (١):

١. الدعوة إلى قراءة التاريخ البشري وتاريخ الدول التي حكمت البلاد، والبحث في أسباب انهيارها لأخذ العبرة والعظة.

٢. بيان حكم الشرع في العنصرية وأنها لا تتلقى مع الإسلام، فقد كانت سبباً يحول دون توحيد المجتمعات.

٣. طرح البديل الإسلامي المتمثل بالأخوة الإسلامية والقومية الإيجابية.

٤. التذكير بالمآثر والتحذير من الوقوع في المكائد، وكشف حقيقة العنصرية والقومية المعادية للشعب التركي وللعالم الإسلامي.

والواضح أن الإمام النُّوزسي اقترح حلولاً كثيرة في معالجة مشكلة العنصرية، بعضها من الجانب النظري والثاني من الجانب العملي، وتفصيل ذلك:

أولاً: الإجراءات التربوية النظرية في معالجة العنصرية، ومن هذه الإجراءات:

(١) انظر: الشريفيين، العنصرية والقومية المتطرفة من خلال كليات ضوء رسائل النور للنورسي، ص ٧٤٨-٧٥٨، بتصرف.

١. الإجراء الأول: وجه الإمام النورسي رسالة كاملة من خلال المبحث الثالث من المکتوب السادس والعشرين^(١)، للشعب التركي، مصدرًا إياها بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(٢)، ووجهها بطريقة تربوية مؤثرة، حيث بحث الموضوع من خلال سبعة مسائل، لخص فيها قضية العنصرية وبيّن حقائقها في موضع واحد، وبيّن مدى حرصه على التخلص منها بسبب أضرارها الكبيرة على المجتمع الإسلامي.

وقد حرص في رسالته على توجيه تحذير للشعب التركي من خلال أسلوبه الفريد في إظهار المحبة والأخوة لقارئها، ومن ذلك: استعماله لعبارة "أيها الأخ التركي"، وكذلك التذكير بحال الأمم السابقة والمعاصرة، فقد ضرب أمثلة كثيرة على تمسك بعضها بالقومية الإيجابية، وبعضها بالقومية السلبية، وما لكل قسم من إيجابيات وسلبيات.

٢. الإجراء الثاني: الدعوة إلى الوحدة القائمة على الإسلام: حيث ذكر المجتمع الإسلامي بالعوامل التي توحدتهم وهي عوامل أبدية قائمة إلى يوم القيامة، فيقول الإمام النورسي في ذلك:

«وكذلك الأمر في المجتمع الإسلامي الشبيه بالجيش العظيم، فقد قُسم إلى قبائل وطوائف، مع أن لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة، إذ خالقهم واحد، ورازقهم واحد، ورسولهم واحد، وقبلتهم واحدة، وكتابهم واحد، ووطنهم واحد، وهكذا واحد، واحد... إلى الألف من جهات الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة، بمعنى أن الانقسام إلى طوائف وقبائل - كما نقلته الآية الكريمة - ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم»^(٣).

ومما سبق يشير الإمام النورسي إلى مرتكزات الوحدة، وهي:

أ. وجود الآلاف من عوامل توحيد المسلمين، وبذلك تلغي عوامل التفريق إن وجدت.

(١) راجع النورسي، المکتوبات، ص ٤١٣ - ٤٢٠.

(٢) سورة الحجرات: آية ١٣.

(٣) النورسي، المکتوبات، ص ٤١٣-٤١٤.

ب. إن مقومات توحيد المسلمين تولّد المحبّة والأخوة، الأمر الذي يقضي على النزعات والاختلافات.

ج. يجب الاعتراف بالقومية الإيجابية والانقسام إلى طوائف وقبائل، لأنها ظاهرة إيجابية وليست عاملاً للتمزق، فقد حدّد الله هدفها التعارف والتعاون، وهذا يزيد من التمسك بوحدة المسلمين وتعاضدهم، فهم كالجسد الواحد.

وفي موضع آخر يؤكد على رابطة الدين لتحلّ مكان العنصرية في قوله:

«أما حكمة القرآن فهي تقبل (الحق) نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلاً من (القوة)، وتجعل (رضى الله ونيل الفضائل) هو الغاية و(الهدف) بدلاً من (المنفعة)... وتتخذ دستور (التعاون) أساساً في الحياة، بدلاً من دستور (الصراع) وتلتزم رابطة (الدين) والصنف والوطن لربط فئات الجماعات، بدلاً من (العنصرية) والقومية السلبية... وتجعل غاياتها الحد من تجاوز النفس الأمانة ودفع الروح إلى معالي الأمور، وتطمين مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل العليا لجعل الإنسان إنساناً حقاً»^(١).

وبذلك يكون قد أعطى البديل المناسب، وهذا الأسلوب من أكثر الإجراءات النظرية فاعلية؛ لأنه لا يترك فراغاً في حياة الناس الاجتماعية جراء تغيير سلوك متأصل فيهم، بل يسارع إلى تقديم ما يحلّ مكانه، لذلك يُتقبل البديل بسرعة دون إحداث أي خلل في الحياة الاجتماعية.

وبالرجوع إلى الوحدة التي تمكنا من تركيز وسائل التفكير العقلي بدلاً من تشتيتها، نستطيع تخفيض عدد المشكلات، ويجب أن لا تتغير عملية التخفيض إلى التغير من طبيعة المشكلة، وبالتالي إلى تغيير طبيعة النتيجة النظرية التي يجب أن تجد ترجمتها في عمل اجتماعي حقيقي، ضمن برامج سياسية واقعية واعية لأهدافها مدركة لوسائلها^(٢).

(١) النورسي، الكلمات، ص ٤٧٢-٤٧٣.

(٢) انظر: بن نبي، مالك، مشكلات الحضارة "القضايا الكبرى"، ط ١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩، ص ٣٦-٣٧.

٣. الإجراء الثالث: المخاطبة العقلية من خلال الإقناع العقلي وضرب الأمثلة، وهذا أسلوب تربوي له مضامينه التربوية التي ترسخ السلوك المراد وتبعث على الإسراع بتنفيذه في كل الظروف، لأنه صادر عن قناعة تامة وإدراك صحيح.

وقد ذكر الإمام النورسي في المسألة الخامسة من المبحث الثالث والمسألة السادسة والسابعة من المکتوب السادس والعشرين^(١)، كثيراً من الحجج والبراهين العقلية لإبطال دعوى العنصرية، ألخصها بالآتي تجنباً للإطالة:

- إن الذين تمسكوا بالعنصرية ضحوا بالكثير من مقدساتهم في سبيل تقليد أوروبا، فالأصل أن يلبس الإنسان ما يناسب قامته، ولو اتحد نوع القماش.
- لكل جنس بشري ظروف اجتماعية تختلف عن غيره، ومثل ذلك أن أوروبا تكنة عسكرية وآسيا مزرعة، وما يناسب الجندي لا يناسب الفلاح، وهكذا.
- أكثر الأنبياء ظهوراً في آسيا دلالة على أن إيقاظهم بالدين والقلب، أما أوروبا فتسود فيهم الفلسفة والحكمة، وهذا رمز للقدر الإلهي حيث ينبغي التعاون وليس إحلال الفلسفة مكان الدين.
- الأوروبيون متمسكون بدينهم ومتعصبون له، وهذا أولى بالمسلمين.
- لا ينبغي على المسلم قياس نفسه بالنصرانية حيث تطورت عندما تركت دينها، فهذا قياس مع الفارق، فهم اتخذوا دينهم وسيلة لسجن العوام والفقراء، أما الإسلام فهو أداة المسلمين للرقى والحضارة، وهو وسيلتهم للوحدة والجماعة.
- يخاطب المغالين في العنصرية، بأن دعوتهم باطلة، ذلك أنه حدثت هجرات كثيرة في بقاع الأرض، وتعرضت الأقوام إلى تغيرات وتبديلات، فلا يمكن تمييز العناصر الحقيقية بعضها عن بعض إلا بانفتاح اللوح المحفوظ.

(١) راجع: النورسي، المکتوبات، ص ٤١٧-٤٢٠.

• يبين الإمام التُّوزسي أخطار العنصرية وأضرارها.

• خاطب العنصرين بأن عليهم محبة مجموع الأمة إن كانوا يريدون خيراً بها، وليس القلة

القليلة^(١).

ثانياً: التطبيقات العملية في معالجة العنصرية: سعى الإمام التُّوزسي بكل ما أوتي من وسائل

وأساليب تربوية إلى معالجة مشكلة العنصرية، ولذلك عني بالتطبيقات العملية التي تحدّ من هذه

المشكلة، ومن ذلك:

١. الإجراء الأول: متابعة طلابه وإجراء مقابلات ميدانية لتخليصهم من داء العنصرية وفي ذلك

يروى حادثة مع أحد طلابه بقوله:

«حينما كنت في مدينة (وان) قلت لأحد طلابي الأكراد الغيورين: لقد خدم الأتراك

الإسلام كثيراً، فكيف تراهم؟ قال: إنني أفضل تركيا مسلماً على شقيقي الفاسق، بل

أرتبط به أكثر من ارتباطي بوالدي، لخدمته الإيمان خدمة فعلية.

ومرت الأيام والسنون، ودخل ذلك الطالب - أيام أسري - المدرسة الحديثة في

استانبول، ثم قابته بعد عودتي فلمست أن عرق القومية الكردية قد تحرك فيه من

جاء الدعوى العنصرية التركية لدى بعض معلميه فقال لي: إنني أفضل الآن كردياً

فاسقاً مجاهراً بل ملحداً على تركي صالح.. ثم جلست معه بضع جلسات فأنقذته

بإذن الله، فافتنع أن الأتراك هم جنود أبطال لهذه الأمة»^(٢).

ويظهر من رواية الإمام أنه لا يزال يتابع طلابه، ويناقشهم لتفحص فكرهم مهما ابتعدوا عنه

وفرقت بينهم المسافات، وإذا رأى خللاً فكرياً مستجداً عالجه بأسلوب حكيم ورؤية تربوية مقنعة.

٢. الإجراء الثاني: وضع البديل الإسلامي للعنصرية، وهو الحمية الإسلامية المقدسة، وقد قدّم هذا

البديل للحياة الاجتماعية، مشيراً إلى فوائده التربوية، منها:

(١) انظر التُّوزسي، المكتوبات، ص ٤١٧-٤٢٠، بتصرف.

(٢) التُّوزسي، الملاحق، ص ٤١٨.

• أن الذي حافظ على حياة الدولة الإسلامية وكيانها - رغم أن تعدادها عشرون أو ثلاثون مليوناً- تجاه جميع دول أوروبا هو مفهوم الشهادة الذي ينبع من القرآن أثناء جهادهم، مما جعلهم يستقبلون الموت باسمين، فالذي بعث روح التضحية هو ذلك المفهوم وليس العنصرية.

• إن أي إيذاء من قبل الدول الأوروبية لدولة إسلامية تجعل عامة المسلمين يتنون لأذاها، فتلجأ إلى سحب هذا الأذى، حتى لا تثير عواطف المسلمين عامة فهذه الوحدة في المشاعر والأحاسيس أكسبتهم إياها حميتهم الإسلامية، والحمية الإسلامية تتضمن معنى الأخوة الإسلامية.

• قدّم مقترحاً لإقامة جامعة إسلامية على غرار الأزهر: وقد أوضح فوائد هذه الجامعة بقوله:

«قبل خمس وستين سنة أردت الذهاب إلى الجامع الأزهر باعتباره مدرسة العالم الإسلامي، لأنهل منه العلوم، ولكن لم يكتب لي نصيب فيه، فهداني الله إلى فكرة وهي: إن الجامع الأزهر مدرسة عامة في قارة أفريقيا، فمن الضروري إنشاء جامعة في آسيا على غرار، بل أوسع منه بنسبة سعة آسيا على أفريقيا، وذلك لئلا تُفسد العنصرية الأقوام في البلدان العربية والهند وإيران والقوقاس وتركستان وكردستان، وذلك لأجل إنماء الروح الإسلامية التي هي القومية الحقيقية الصائبة السامية الشاملة، فتعال شرف الامتثال بالدستور القرآني "إنما المؤمنون إخوة"، وكذلك لتتصافح العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين، وتتصالح الحضارة الأوروبية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة، ولتتفق المدارس الحديثة وتتعاون مع المدارس الشرعية في الأناضول»^(١).

فهذه الجامعة من شأنها أن تنمي الروح الإسلامية، وتقوي العلاقات الاجتماعية والأخوة بين

المسلمين، بالإضافة إلى التلاحق الفكري الإيجابي، بتصافح أنواع العلوم.

وهذا يُثبت أن النورسي أكد في مشروعه المتكامل في مكافحة العنصرية على منهج تربوي

إيماني يقوم على تهذيب النفس وإصلاحها، وتدريب الإنسان لأن يؤدي مسؤولياته بدافع إيماني

(١) النورسي، الملاحق، ص ٤١٦-٤١٧.

داخلي، وأساس هذا المشروع الإيمان والمحبة والعدل والتعاون بين أفراد المجتمع لإرساء قواعد المجتمع الأنموذج^(١).

كما أكد الإمام النورسي على ضرورة توجيه الخطاب الفردي والجماعي في سبيل الوصول للمعالجة المستمرة، ويتضمن الخطاب الداخلي والنفسي للفرد الذي يؤكد على القيم والأخلاق والتهذيب، كما يتضمن الخطاب الخارجي الذي يؤكد على قيم التعامل الإنساني، وبهذا التكامل بين الجانبين يصل المجتمع إلى حالة العدالة والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد.

(١) انظر: زاده، جلال جلال، قضية العنصرية والظلم الاجتماعي الناتج منها من منظور الإمام النورسي، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبيدع الزمان سعيد النورسي، استانبول، ٢٠١٠م، ص ٧٣١، بتصرف.

المبحث السادس

مشكلة الظلم والاستبداد

تُعدّ مشكلة الظلم والاستبداد من أخطر الأمراض الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات، وقد انتشر هذا الداء في العالم الإسلامي، وهيمن على مجالات متعددة في البيئة الإسلامية، لذا تصدى الإمام النُوزسي في رسائله لهذه المشكلة في مواضع متعددة؛ بسبب تراكم أشكالها وصورها واختلاف مسمياتها، فعمل على بيان مفهوم الظلم والاستبداد، وتسليط الضوء على أنواع الاستبداد ومظاهره وأسبابه، وانتهى من ذلك إلى إيجاد الإجراءات العلاجية للمشكلة.

ونظراً لأهمية هذه القضية في فكر الإمام النُوزسي وفي واقعه، قسّمها إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم الاستبداد وتفسيره.

المطلب الثاني: أنواع الاستبداد.

المطلب الثالث: أسباب تفاقم مشكلة الظلم والاستبداد.

المطلب الرابع: الإجراءات العلاجية لمشكلة الظلم والاستبداد.

المطلب الأول: مفهوم الاستبداد وتفسيره

يُعرّف الاستبداد بأنه: "التصرّف في الشؤون المشتركة بمقتضى الهوى"^(١)، ويراد بالاستبداد، عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصة، لأنها أعظم مظاهر أضرارها التي أشقت الإنسان، وأما تحكم الأب والأستاذ والزوج، ورؤساء بعض الشركات، وبعض الطبقات، فيوصف بالاستبداد مجازاً أو مع الإضافة^(٢).

وعلى الرغم من الاهتمام الكبير الذي حازه مفهوم الاستبداد في كليات رسائل النور، إلا أن الإمام التورسي لم يقدّم تعريفاً محدداً له، وقد يعود هذا الأمر إلى وضوحه في الأذهان ولكثرة شيوعه، غير أنه قدّم تحديداً لأهم المفاهيم التي تشكّل مفهوم الاستبداد، وهي:

• الإكراه، والقسر، والتسلط: ومما قاله في هذه المكونات:

«إن الفضيلة المتّسمة بالإيمان، كما لا تكون وسيلة للإكراه، لا تكون سبباً للاستبداد قطعاً، إذ الإكراه والقسر والتسلط على الآخرين رذيلة ليس إلا، بل إن أهم مشرب لدى أهل الفضيلة هو الاندماج في المجتمع بالعجز والفقر والتواضع»^(٣).
ففي معرض حديثه هنا عن الفضيلة والرذيلة بين الإمام التورسي أن الفضيلة المتوافقة مع الإيمان تكون عادة ضد الإكراه والقسر والتسلط، وهي مكونات الاستبداد الذي عدّه بجميع مكوناته من الرذائل، وقد شاعت هذه الرذائل عند الجبابرة، ومن ذلك قوله تعالى مخبراً عن ظلم فرعون واستبداده: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السُّخْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى﴾^(٤).

• كما تحدّث عن مكونات أخرى للاستبداد، مثل الفردية والأنانية، وهذا ما أوضحه في قوله:

(١) الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبداد، ط٣، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٢٠.

(٢) انظر: الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبداد، ص ٣٧، بتصرف.

(٣) التورسي، اللغات، ص ٢٥٩.

(٤) سورة طه: آية ٧٣.

«إن أشد أنواع الظلم مع أشد أنواع الاستبداد قد أصبحا دستوراً وقانوناً من قوانين الصراع والنزاع المادي في هذا العصر، وهذا يعني أن كثيراً من الأبرياء يذهبون ضحية خطأ فرد واحد، أو يقع هذا الفرد مغلوباً على أمره، عند ذلك يتوهم من هجر دينه من أجل دنياه أو جعل دينه وسيلة لدنياه أن حقائق القرآن... قد تم استغلالها في ساحة الدعاية السياسية»^(١).

ومما سبق نلاحظ أن الإمام التورسي قد عقد منظومة متكاملة من القيم السلبية، شكّلت مفهوماً محدداً للاستبداد تتضمن معنى القوة والسيطرة والإكراه لصالح جهة معينة فريدة، وهذا ما عليه التعريفات المعاصرة للاستبداد.

كما قدّم الإمام التورسي في رسائله تفسيراً شاملاً للظلم والاستبداد من الناحية النفسية والاجتماعية، فعمل على تفسيره من ثلاث جهات، هي:

أولاً: ينتج الاستبداد بسبب اختلاف أنظمة الحكم، سواء السياسية أم الدينية بصورة سريعة ومتطورة من غير توازن يُذكر، وهذا ما ذكره عن المسلم إذا تخلّى عن دينه، حيث قال:

«إن المسلم يختلف عن أفراد الأمم الأخرى، إذ لو تخلّى عن دينه فلا يكون إلا إرهابياً فوضوياً لا يقيدته شيء أياً كان، بل لا يمكن إدارته بأي من وسائل التربية والإدارة إلا بالاستبداد المطلق والرشوة العامة، هناك حجج كثيرة تثبت هذه الحقيقة»^(٢).

فالهوة بين الإسلام والأديان الأخرى كبيرة، لذا يعدّ هذا التغيير الذي يتعرض له المسلم الذي يتخلّى عن دينه انقلاباً سريعاً غير متوازن بكل المقاييس، فلا وسيلة للسيطرة على هذا الإنسان إلا بالاستبداد.

ثانياً: يدلّ الاستبداد على الخضوع بالإكراه لجهة أقوى كالسلطة المستتدة إلى القوة، وقد بيّن ذلك من خلال حديثه عن مستقبل السلطة المستتدة بقوله:

(١) التورسي، الشعاعات، ص ٤٢٤، باختصار.

(٢) التورسي، الملاحق، ص ٣٠٦.

«إن السلطة المستندة إلى القوة والإكراه كانت هي الحاكمة في سالف الأزمان وهي محكومة بالتدني والانقراض، حيث إنها حصيلة الجهل والوحشية، فأى دولة جرت في عروقها دماء السلطة المستبدة، فإن سطور صحائف تاريخها تنعق نعيق البوم بالانقراض»^(١).

ويلاحظ مما سبق امتياز الإمام النورسي ببعد النظر الثاقب، إذ بين مآل السلطة المستبدة ونتيجتها الحتمية وهي الانقراض؛ لأنها لم تقم على أسس سليمة، بل قامت على أسس القوة والإكراه وإخضاع الناس بالقوة والوحشية، وبهذا بين تفسيراً جديداً للاستبداد.

ثالثاً: تفسير الاستبداد عن طريق الخضوع المباشر والذاتي وليس الإخضاع كما في التفسير السابق، وهذا يعني أن الفرد يخضع للاستبداد خضوعاً طوعياً، لأنه يعيش حالة من اللامبالاة واليأس، وهذا الأمر بينه الإمام النورسي بقوله:

«إن قصور فرد عن شيء لا يكون عذراً لقصور آخر، اعلموا أن اليأس مانع كل

كمال، إن هدية الاستبداد وتذكاره هو: مالي أنا... فليفكر غيري»^(٢).

فاليأس الذي تحدث عنه الإمام النورسي هو السبب الرئيس لحالة الخضوع المرغوب من قبل هذه الفئة من الناس، والتي تجعلهم يطيعون الجهات المستبدة طواعية؛ إذ يقوم بإلغاء ملكاتهم الفكرية وقدراتهم العقلية بإرادتهم وموافقتهم، وخير مثال يبين هذه الطبيعة قوله تعالى في بيان خضوع اليهود طواعية وعبادتهم العجل: «وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ»^(٣)، ففي ظل الحكم الاستبدادي يُصاب الفرد بالقلق وعدم الاستقرار، وتتعطل طاقاته وتقل طموحاته، وبهذا تُحرم البلاد من عطاء أبنائها، وتنتشر اللامبالاة، وتتسع قضية الاغتراب بين الحكومات والمواطنين، فيتصرفون حيال مؤسسات الدولة كأنها لا تعنيهم، وبهذا نتوقف عجلة التقدم ويسود التخلف غالبية الميادين.

(١) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٤٦٩.

(٢) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٥٢٨.

(٣) سورة البقرة: آية ٥١.

المطلب الثاني: أنواع الاستبداد

تعددت أنواع الاستبداد في زمان الإمام التورسي، والتي عدّها من العوامل التي أدت إلى كسوف شمس الإسلام، وتراجع المسلمين وتخلفهم، فقد قسمها إلى قسمين: قسم داخلي، وقسم خارجي، ويدل على ذلك قوله:

«هذه الموانع التي أدت إلى كسوف شمس الإسلام، أما الموانع التي في الأجانب فهي: التقليد والجهل وتعصبهم وسيطرة القسس عليهم. أما الموانع التي عندنا فهي: الاستبداد المتنوع، وسوء الخلق، والأحوال المضطربة واليأس الذي تنجم منه العطالة»^(١).

فكان الاستبداد المتنوع من أهم الأسباب الداخلية التي أدت إلى نواتج سلبية، ودلالة القول أن للاستبداد أنواعاً: وقد بينها الإمام التورسي في أقوال أخرى بيّن فيها عدة تصنيفات لأنواع الظلم والاستبداد، ومن هذه التصنيفات:

١. تصنيف الاستبداد بحسب المصدر (استبداد فرد واستبداد جماعة): ففي كل مرحلة زمنية يظهر أحد هذين النوعين؛ فزوال قوة استبداد الفرد تؤدي إلى زوال استبداد الجماعة والعكس صحيح، وهذا ما بينه من خلال حديثه عن الموانع الثمانية التي تحول دون استيلاء حقائق الإسلام في الزمان الماضي استيلاء تاماً، وفي ذلك يقول:

«فلقد حالت ثمانية موانع دون استيلاء حقائق الإسلام على الزمان الماضي استيلاء تاماً: المانع الأول والثاني والثالث: جهل الأجانب وتأخرهم عن عصرهم وتعصبهم لدينهم، هذه الموانع بدأت تزول بفضل التقدم العلمي ومحاسن المدنية. المانع الرابع والخامس: تحكم القسيسين وسيطرة الزعماء الروحانيين على أفكار الناس وأذهانهم، وتقليد الأجانب لأولئك القسيسين تقليداً أعمى، فهذان المانعان يأخذان بالزوال بعد انتشار حرية الفكر وميل النوع البشري إلى البحث عن الحقائق.

(١) التورسي، صيقل الإسلام، ص ٢٣.

المانع السادس والسابع: تفشي روح الاستبداد فينا، وانتشار الأخلاق الذميمة النابعة من مجافاة الشريعة ومخالفتها، فإن زوال قوة استبداد الفرد الآن يشير إلى زوال استبداد الجماعة والمنظمات الرهيبة بعد ثلاثين أو أربعين سنة، ثم إن فوران الحمية الإسلامية والوقوف على النتائج الوخيمة للأخلاق الذميمة كفيلا برفع هذين المانعين»^(١).

وكما يلحظ من قول الإمام التورسي أنه بين هذه الأنواع مدعماً إياها بأمثلتها الحية على مر التاريخ، مع الإشارة إلى أسباب الاستبداد في هذه الفترات الزمنية، فقد ظهر استبداد الجماعة من تحكم القسيسين وسيطرتهم على أفكار الناس، ومن أسبابه الجهل والتقليد والحجر على حرية التفكير والتعصب.

إن أصول الحرية التي قرر الإسلام بها حقوق الشعوب، وقيد بها سلطان الحاكمين، وكبرياء الحاكم وتعاليه التي تكتف الحكم المطلق وتجعل من الفرد المتسلط جباراً لا دين له، ضدان لا يتفقان^(٢)، وقد مثل التورسي الاستبداد الفردي، بما يجري في زمانه داخل تركيا، وأوضح خطر استبداد الفرد السائد في بيئته الاجتماعية من خلال قوله:

«إن الاستبداد الذي فينا أقام جسداً مظلماً جائراً إزاء حرية آسيا، فما كان لضياء الحرية أن ينفذ من ذلك الستار الكثيف المظلم ليُفتَح الأبصار ويُرِي الكمالات، لكن بخراب هذا السدّ انتشر وسينتشر فكر الحرية ومفهومها حتى إلى الصين»^(٣).
فقد عبّر عن خطورة الحال بطريقة واضحة وتعبير شفاف يبين مدى صدق إحساسه وشدة اهتمامه بقضايا عصره، إذ صور هذا النوع من أنواع الاستبداد الذي تفشى في بيئته بأنه جسر مظلم يمنع من وصول الحرية إلى الأفراد والجماعات، وأن كمونه في داخلنا يعطيه القوة والمناعة،

(١) التورسي، صيقل الإسلام، ص ٤٩٦.

(٢) انظر: الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي، ص ٢٩، بتصرف.

(٣) التورسي، صيقل الإسلام، ص ٣٩٧.

وكان أخطر الأنواع هي التي تتبع من الداخل، لأن خطرهما يستحيل استئصاله لسرعة امتداده وتفشيه.

٢. تصنيف الاستبداد بحسب المجال، فهناك استبداد ديني، واستبداد اجتماعي، واستبداد سياسي، وقد ظهر هذا التصنيف من خلال القول السابق إلا أن الإمام التُّوزسي بيّن هذه الأنواع في نصوص أخرى من رسائله، ومن ذلك:

• الاستبداد الديني: له أثر بالغ في حياة الناس، ويعدّ من أقوى الأنواع هيمنةً على العقول، وقد بيّن الإمام هذا النوع في حديثه عن السفيناني الدجال، الذي ظهر في زمنه، فيقول:

«بأنه يطلق النفوس الحائرة العصبية الذاهلة من عقالتها لفتية ضائعة شاردة، فينقض العرى النورانية التي تربط أفراد المجتمع الإنساني كاحترام والمحبة، ويكره الناس على حرية هي عين الاستبداد، لتتصارع النفوس الضالة، في مستنقع الأهواء والرذيلة، فاتحاً الطريق إلى إرهاب شنيع وفوضى رهيبية بحيث لا يمكن أن ينضبط أولئك الناس إلا باستبداد في منتهى الشدة والقوة»^(١).

ويلمح القارئ الخطر الذي يصيب الأفراد حال تعرضهم لهذا النوع من الاستبداد الذي يحجر على العقل، ويطلق العنان للضلال والضياع في الرذائل، الأمر الذي يؤدي إلى مشكلة أخرى، هي مشكلة العنف والإرهاب جرّاء الفوضى والعبثية، وغياب القانون الموحد الضابط، ويتفشى خطر الاستبداد الديني ليصل إلى عدم القدرة على ضبط الأفراد إلا بمزيد من الاستبداد والسيطرة.

• الاستبداد الاجتماعي: قدّم الإمام التُّوزسي شخصية أخرى كانت معروفة في زمنه هي شخصية رستم بن زال، حيث قال:

«فإن شئت فانظر إلى صورة رستم بن زال المعنوية الذي نما في خيال العجم...، فإنه لما اشتهر بالشجاعة اغتصب مفاخر الإيرانيين وأغار عليها بقوة الشهرة،

(١) التُّوزسي، الشعاعات، ص ١٢٢.

ويحكم الاستبداد الذي لم يتخلص منه الإيرانيون قط، وهكذا ضخمت تلك الشخصية واستعظمت في الخيالات»^(١).

فالشهرة الاجتماعية والقوة الخيالية التي تنامت في العقول لهذه الشخصية، قد اندمجت بقوة

الاستبداد، فأحكمت سيطرتها على عقول الناس وأذهانهم، وهذا الحال يُقال عن الشخصيات السياسية التي تمتعت بالقوة والسيطرة.

٣. تصنيف الاستبداد بحسب الأسلوب (استبداد مباشر واستبداد غير مباشر): وهذا ما بينه الإمام

الثورسي في إجابته عن القيود الثلاثة التي قيّد الاستبداد المعنوي بها العالم الإسلامي، فأجاب:

«إن استبداد حكومة روسيا - مثلاً - قيد، وتحكم الشعب الروسي قيد آخر، وتغلب

عاداتهم الكفرية الجائرة على العادات الإسلامية قيد ثالث، والحكومة الانجليزية، وإن

كانت تبدو غير مستبدة إلا أن أمتها متحكمة مسيطرة، وعاداتها مهيمنة»^(٢).

فمن خلال هذه الإجابة بين الإمام الثورسي أن استبداد حكومة روسيا هو استبداد مباشر

ظاهر، من خلال ثلاثة مظاهر توضح هذا الاستبداد:

١. التحكم والسيطرة من قبل الحكومة بفعل القوة السياسية.

٢. تحكم الشعب الروسي بفعل الغلبة والقوة.

٣. تحكم عادات الشعب الروسي الاجتماعية والدينية، فطالما أن القوة السياسية بيد روسيا فهي

الغالبية ولها السيطرة في كل المجالات، فلها الاستبداد المطلق.

أما استبداد الحكومة الانجليزية، فهو استبداد خفي غير مباشر، فقد دخلت هذه الحكومة عن

طريق آخر غير الطريق الذي دخلت به روسيا إلى تركيا، فلم ترد أن تظهر وجهها المتوحش، بل

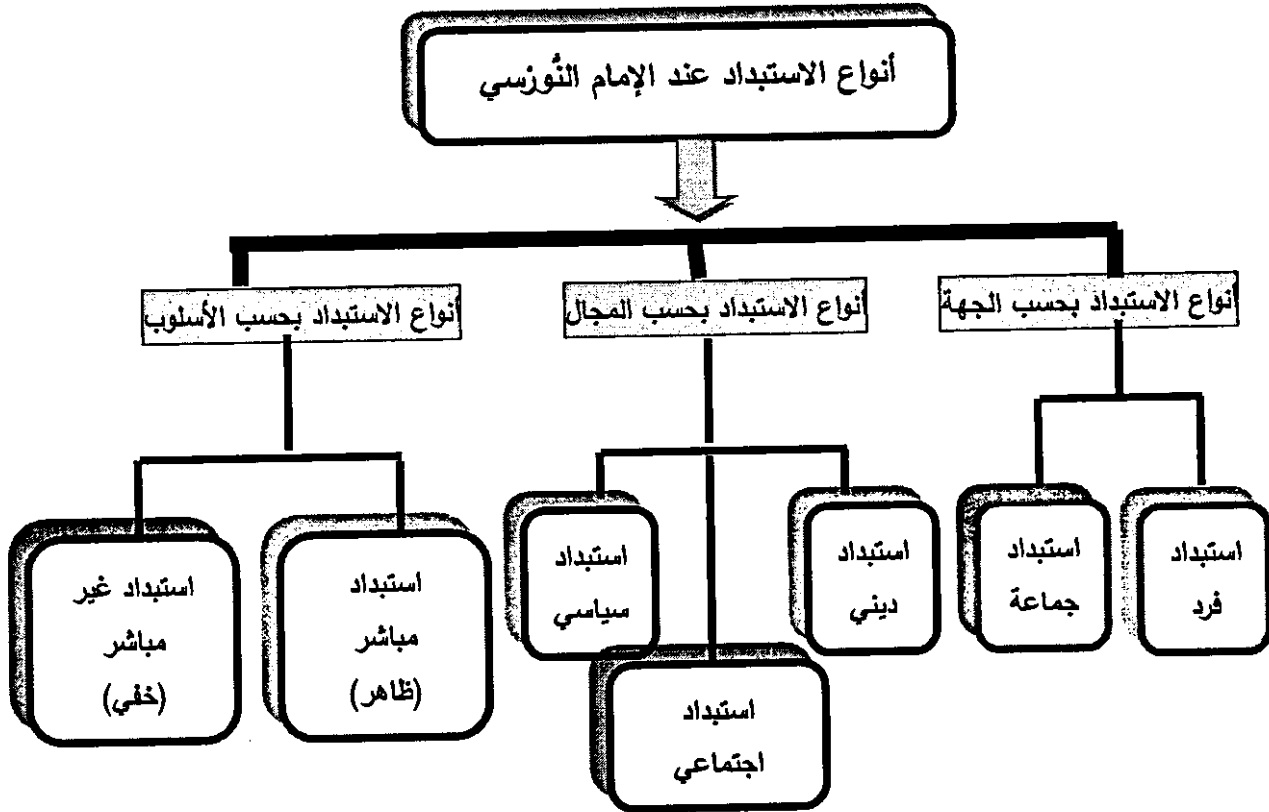
أدلت بستار خفي على استبدادها وسيطرتها للوصول إلى مأربها.

(١) الثورسي، صيقل الإسلام، ص ٣٨.

(٢) الثورسي، صيقل الإسلام، ص ٣٩٦.

وخلص الموضوع: أن التصنيفات التي قدمها الإمام النورسي للاستبداد كانت شاملة، وقد أثبتت وجودها على مرّ العصور والأزمان، وفيما يلي أرسم مخططاً ليبيّن هذه الأنواع من الاستبداد لتكتمل الصورة في ذهن القارئ:

الشكل (٤) يبين أنواع الاستبداد عند النورسي



المطلب الثالث: أسباب تفاقم مشكلة الظلم والاستبداد

الاستبداد داءٌ يُبلى به بعض الشعوب، وهو أسوأ أنواع السياسة، وأكثرها فتكاً بالإنسان في المجتمع المحكوم بالظلم والطغيان، والذي يؤدي إلى التراجع في كافة مرافق الحياة ووجوهها، وإلى تعطيل الطاقات وهدرها، وإلى سيادة النفاق والرياء بين مختلف فئات الشعب، حكماً ومحكومين^(١).

(١) انظر: الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد، ص ٧، بتصرف.

ولقد عانت البيئة الاجتماعية التي عاش فيها الإمام النُوزسي من تفاقم مشكلة الظلم

والاستبداد لأسباب متعددة، هي:

١. الأسباب السياسية: فقد مارست السلطات أقسى أساليب التعامل مع الناس، إذ عانت تركيا من ديكتاتورية الحكم زمن الدولة العثمانية، واستمر هذا التحكم في عهد الجمهورية، ولكنه أصبح مضاعفاً، فكان الاستبداد سمة عامة للعصر، وقد بين ذلك الإمام النُوزسي من خلال ما أورده في رسائله، فقال:

«إن المهيمن على الوضع الحاضر استبداد شديد وتحكم صارم، وذلك من حيث الجهل المتفشي، وكان الاستبداد والتجسس قد تناسخا روحاً، والذي يبدو أن الغاية ما كانت استرداد الحرية من السلطان عبد الحميد، بل تحويل استبداد ضعيف وضئيل إلى استبداد شديد قوي»^(١).
وبالإضافة إلى القوة والإكراه كأساليب سياسية للتعامل مع الإنسان، كان أسلوب الحجر على العقل مهيمناً لتستطيع السلطات إحكام السيطرة على الناس، وقد شهد بذلك الإمام النُوزسي بقوله:
«لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد»^(٢).

وملخص الأسباب السياسية هي القوة والسيطرة، وإحكام القبضة على العقل الإنساني ومحاولات إلغائه.

٢. الأناية والفردية: والتي تعدّ ظلماً عظيماً للنفس وللغير، لما تُسببه من العناد والاستكبار التي توقع الإنسان في ظلم عظيم، وبالتالي تنتشر الظاهرة حتى تكوّن مظهراً أكبر، ألا وهو الاستبداد، ويُفسّر الإمام النُوزسي ذلك بقوله:

«كما أنه ظلم عظيم إذا ما أعطي إلى شخص واحد ما تملكه الجماعة، ويكون الشخص مرتكباً ظلماً قبيحاً، إذا ما غصب ما هو وقف للجماعة، كذلك الأمر في

(١) النُوزسي، صيقل الإسلام، ص ٤٥٩.

(٢) النُوزسي، صيقل الإسلام، ص ٤٤٠.

النتائج التي تتحصل بمساعي الجماعة وعملهم، والشرف والمنزلة المترتبة على محاسن الجماعة وفضائلها، إذا ما أسند إلى رئيسها أو أستاذها أو مرشدها يكون ظلماً واضحاً بحق الجماعة، كما هو ظلم بين بحق الأستاذ أو الرئيس نفسه، لأن ذلك يداعب أنانيته المستترة فيه ويسوقه إلى الغرور، فبينما هو حارس بواب للجماعة، إذا به يتزياً بزي السلطان ويُوهم الآخرين بزيه، فيظلم نفسه، بل ربما يفتح له هذا طريقاً إلى نوع من شرك خفي»^(١).

٣. التعصب والهوى: من أبرز آثار التعصب واتباع هوى النفس، التحكم والاستبداد، يقول تعالى:

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾^(٢)، فالمحبة ليس لها معيار ثابت، وليست مبنية على أسس ثابتة، وكذلك الخصومة، وقد تحدّث الإمام النُّوزسي عن ذلك بقوله:

«ففي ديار الماضي كان السائد في الأغلب هو: القوة، والهوى، والطبائع، والميول والأحاسيس، لذا فإن إحدى سيئاته أنه كان هناك في كل أمر من أموره - ولو بصورة عامة - تحكم واستبداد وظهور محبة شخص على حساب خصومة آخر، وغلبة خصومة مسلك الآخرين على محبة مسلكه... ومداخلة الالتزام والتعصب.. والانحياز المانع عن كشف الحقيقة»^(٣).

ويلاحظ من قول الإمام النُّوزسي وجود منظومة من المفردات المتقاربة قد كوَّنت جسد الاستبداد كالقوة والهوى واختلاف الطبائع والأمزجة، والميول والأحاسيس العشوائية والمحبة والخصومة العبيئية، وكذلك الانحياز، وهذه كلها من الرذائل التي أوصلت العالم الإسلامي إلى مشكلة الظلم والاستبداد المتحكم في حياة الناس.

٤. التقليد الممزوج بالجهل والعناد: وقد أشار الإمام النُّوزسي إلى هذا السبب الموصل إلى الاستبداد، من خلال الإجابة عن سؤال من طلابه، ونصّه:

(١) النُّوزسي، اللّمعات، ص ٢٠٤.

(٢) سورة نوح: آية ٧.

(٣) النُّوزسي، صيقل الإسلام، ص ٥٠.

«من هم المشوشون على الأفكار والذي لا يقدرّون الحرية والمشروطية حق قدرها؟ فأجاب: "جمعية تشكلت من (الجهل) آغا، و(العناد) أفندي، و(الغرض) بك، و(الانتقام) باشا، و(التقليد) حضرتلرى، ومسيو (الثثرة)، وهي جمعية من الناس تشوه (الشورى) التي هي منبع سعادتنا وتكدرها، فالمنتسبون إليها - في البشرية- هم الذين لا يضحون بدرهم واحد من حسابهم لأعظم مصلحة من مصالح الأمة ومنافعها.. والذين يرون نفعهم في إضرار الناس، ويدانتهم في هزال الآخرين... والذين يفسرون الأمور دون محاكمة عقلية عادلة فيطلقون المعاني جزافاً... فبينما ترى أحدهم لا يكبح جماح نفسه للثأر ولا يضحى بغرضه الشخصي، إذا به يدعى بغرور استعداده لنداء روجه للأمة... وهم أولاء الذين يحملون أفكاراً غير معقولة أمثال تكوين الإمارات (البلك) أو الحكم الذاتي - المختارية- التي هي مقدمة طوائف الملوك أو الجمهورية، بمفهوم الاستبداد المطلق... وهم أولاء الذين رأوا الظلم فامتلت قلوبهم غيظاً ورغبة في الثأر حتى لم يستطيعوا أن يهضموا العفو العام والأمن العام وهما من أولى حسنات (الحرية) و(المشروطية)، فيثيرون الآخرين للإخلال بالأمن ويهيجونهم للقيام بالاضطرابات كي يتشفوا بإنزال العقوبة بهم وتأديبهم»^(١).

وهذه الإجابة تحمل من التصوير الحي لواقع الحال الشيء الكثير، إذ بينّ التورسي سمات أنصار الظلم والاستبداد الذين زادوا من سلطته وإحكامه على حياة الناس الاجتماعية، والمتمعن في هذه السمات يجدها ذاتها الأمراض الستة التي أودت بالعالم الإسلامي على أعتاب القرون الوسطى في عصور التخلف، وهي:

- حصر الهمة في المنفعة الشخصية، وما تحمل من صفات الأنانية والفردية والتي تهدم معاني التضحية والإيثار.
- الاستغلال والكراهية بين البشر، والتي تهدم معاني المحبة والوفاء.
- الجهل المطبق وعدم التحاكم العقلي في الأمور، سواء الجهل بالعلوم المختلفة والمنطق وكذلك الجهل بالروابط بين البشر وبين المسلمين بالذات.

(١) التورسي، صيقل الإسلام، ص ٣٨٩.

▪ النفاق والتقليد الذي يسبب موت الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية.

كل ذلك أدى إلى سلبات وخيمة، وانعكاسات سلبية سببت انتشار الظلم والاستبداد والقضاء على الشورى والحرية.

وينطبق على المستبدين وصف الغزالي بقوله: "إن عقول المستبدين لا تعرف مبدأ التفاهم ولا تطبيق الأخذ والرد للوصول إلى الحق، ويكاد لا ينبعث صوت للخير حتى يلاحقه سوط من الإرهاب فيطلب إما إخراسه وإما قتله"^(١)، كما أشار الإمام الثوزي إلى الجمعيات القائمة على الاستبداد في عصره ومنها: الإمارات (الملك)، الحكم الذاتي (المختارية)، الجمهورية، والقاسم المشترك بين هذه المنظمات المستبدة أنها أنظمة قائمة على التقليد للغرب، وعلى الفردية المسيطرة، وهدفها هو تجهيل الشعوب والإخلال بالأمن والاستقرار للوصول إلى غاياتها في الحكم. ولا شك أن الأسباب الموصلة لظاهرة الاستبداد أكثر من ذلك، ولكن هذه الأسباب أكثر وضوحاً من غيرها في أقوال الإمام الثوزي.

المطلب الرابع: الإجراءات العلاجية لمشكلة الظلم والاستبداد

لخص الإمام الثوزي منهجه في علاج مشكلة الظلم والاستبداد بأربع خطوات، إذا اجتمعت فإنها تستطيع استئصال هذه المشكلة، والحد من وجودها، وهي: التربية الدينية، وسيادة القانون الإلهي، والشورى، والحرية الشرعية، وقد بين في رسائله أن هذه الإجراءات كفيلة في القضاء على أنواع الظلم والاستبداد وتمزيقها، وتفصيل ذلك بالآتي:

أولاً: معالجة الاستبداد بالتربية: يؤثر الاستبداد على الأجسام فيورثها الأسقام، ويسطو على النفوس فيفسد الأخلاق، ويضغط على العقول فيمنع نماءها بالعلم، فالتربية والاستبداد عاملان

(١) الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي، ص ٧٧.

متضادان في النتائج، فكل ما تَبْنِيهِ التَّربِيَّة يَهْلِمُهُ الاستبداد بِقُوَّتِهِ^(١)، ويقول الإمام النُّزَمِيُّ في ذلك:

«إن يختلف عن أفراد الأمم الأخرى، إذ لو تخلى عن دينه فلا يكون إلا إرهابياً فوضوياً لا يُقَيِّدُهُ شيء أياً كان، بل لا يمكن إدارته بأي من وسائل التربية والإدارة إلا بالاستبداد المطلق والرشوة العامة»^(٢).

فالتربية الإسلامية كقيلة بصياغة عقل المسلم وضبط تفكيره وتقويم سلوكاته، فلا يحتاج إلى سيطرة خارجية ولا إلى قوة حاكمة تضبطه؛ لأن تربيته الدينية تمنعه من السلوكات الفوضوية أو الإرهابية، ويلحظ القارئ أن الإمام يؤكد مرة أخرى على أن النتيجة الحتمية لغياب التربية الدينية هي العنف والإرهاب ولا سبيل في إدارة الأمور بعد ذلك إلا بسيطرة الاستبداد، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٣)، ويؤكد الغزالي هذه الحقيقة بقوله: "إن الإسلام والاستبداد ضدان لا يلتقيان، فتعاليم الدين تنتهي بالناس إلى عبادة ربهم وحده، أما مراسيم الاستبداد فترتد بهم إلى وثنية سياسية عمياء"^(٤)، وتأثير الاستبداد يمتد في مختلف وجوه حياتنا وتفكيرنا وسلوكنا وتعليمنا وإدراكنا، ويثمر ثماره المسمومة في التعصب والتطرف وإدعاء امتلاك الحقيقة المطلقة^(٥).

ثانياً: معالجة الاستبداد بسيادة القانون الإلهي: يعتمد الحدّ من الاستبداد على سيادة القانون الإلهي، فعدم الالتزام به يستدعي التحكم البشري والسيطرة التي تتجاوز الحدّ، فالقانون البشري لا يخلو من الظلم لقصوره، وحتى تتم معالجة مشكلة الاستبداد لا بدّ من قانون إلهي، وقد بيّن ذلك بقوله:

(١) الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد، ص ١٢٥.

(٢) النُّزَمِيُّ، الملاحق، ص ٣٠٦.

(٣) سورة الأنعام: آية ٨٢.

(٤) الغزالي، محمد، الإسلام والاستبداد السياسي، ط ١، دار النهضة، مصر، ١٩٦١، ص ١٣.

(٥) انظر: مكاري، عبد الغفار، جذور الاستبداد، ط ١، عالم المعرفة، ١٩٩٤، ص ٩، بتصرف.

«إن القوة لا بد أن تكون في القانون وإلا فسيفشى الاستبداد في الكثيرين، ولا بد أن يكون المهيمن والامر الوجداني قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١)، وهذا يكون بالمعرفة التامة والمدنية الكاملة أو بتعبير آخر بالإسلام وإلا سيكون الاستبداد دائماً»^(٢).

فالقانون الحاكم الذي يقضي على الاستبداد هو قوة الله وعزته، أي القانون الإلهي الممثل بالإسلام، وإلا فسيستمر الاستبداد وتزداد هيمنته على الأفراد خاصة على عقولهم وأذهانهم. ثالثاً: معالجة الاستبداد بالشورى: وهي النقيض المباشر للاستبداد، فالشورى نظام إسلامي قائم على العدل وحرية الرأي، لذا فهي العلاج المباشر لمرض الاستبداد، والبديل المناسب للوضع القائم، ومما قاله النورسي في ذلك:

«إن فك القيود التي كبلت ثلاثمائة بل أربعمائة مليون مسلم، ورفع أنواع الاستبداد عنهم إنما يكون الشورى والحرية الشرعية النابعة من الشهامة الإسلامية والشفقة الإيمانية، تلك الحرية التي تتزين بالآداب الشرعية وتنبذ سيئات المدنية الغربية»^(٣). ويؤيد هذا القول ما ذهب إليه الكواكبي حيث قال: «إن أصل هذا الداء هو الاستبداد السياسي ودواؤه دفعه بالشورى الدستورية»^(٤)، ويقول النورسي كذلك:

«إن مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية إنما هو الشورى، فالآية الكريمة تأمرنا باتخاذ الشورى في جميع أمورنا إذ يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٥)، أجل فكما أن تلاحق الأفكار بين أبناء الجنس البشري إنما هو شورى على مر العصور بوساطة التاريخ، حتى غدا مدار رقي البشرية وأساس علومها، فإن سبب تخلف القارة

(١) سورة الحج: آية ٤٠.

(٢) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٥٢٧.

(٣) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٥١٤.

(٤) الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد، ص ٣.

(٥) الشورى: آية ٣٨.

الكبرى التي هي آسيا عن ركب الحضارة إنما هي لعدم قيامها بتلك الشورى الحقيقية»^(١).

وفي كلام النورسي بعد تربوي مهم، إذ يُنبّه على فاعلية المفردات القرآنية وشموليتها، فقد ساد استخدام مصطلح الشورى في المجال السياسي، إلا أن استخدام المصطلح في المجال التربوي يُعبر عن تلاحق الأفكار وتناقل التراث بين الأجيال، يُظهر شمول المصطلح القرآني ودلالاته في كل مجالات الحياة.

رابعاً: معالجة الاستبداد بالحرية الشرعية: كانت الحرية وستبقى مطلباً وغاية يسعى لها الإنسان بكل ما أوتي من قدرة، وبالمقابل كان الاستبداد وسيبقى داءً معطلاً لحركة التقدم في المجتمعات، يحاول الإنسان التخلص منه؛ ليحقق كرامته ويحافظ على فطرته^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٣).

ويعدّ الإمام النورسي مفهوم الحرية الشرعية ضرورة اجتماعية، حتى يُصحح المفاهيم المغلوطة التي قامت وقتها، فأراد به المعالجة والتصحيح، ويربطه بمفهوم الشورى، وقد بين أن:

«الحرية الشرعية ترشد البشرية إلى سُبُل التسابق والمنافسة الحقة نحو المعالي والمقاصد السامية، والتي تمزق أنواع الاستبداد وتشتتها، وتهيج المشاعر الرفيعة لدى الإنسان»^(٤).

فبين كيفية معالجة الحرية الشرعية لمرض الاستبداد، وذلك عن طريق تمزيق أنواع

الاستبداد، والتأثير القوي في المشاعر الإنسانية، أي معالجة النفس وطرائق التفكير معاً.

(١) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٥١٤.

(٢) انظر: الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارح الاستبعاد، ص ١٣، بتصرف.

(٣) سورة الإسراء: آية ٧٠.

(٤) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٥٠٠.

ولم يكتف الإمام النُّوزسي ببيان تأثير الحرية الشرعية على النفس الإنسانية، بل عمل على

بيان أسسها، في حديثه حيث قال:

«إن الحرية الشرعية النابعة من الإيمان تآتمر بأساسين هما:

١. أن لا يُذَلَّ المسلم ولا يتذَلَّل... من كان عبداً لله، لا يكون عبداً للعباد.

٢. وأن لا يجعل بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله، من لا يعرف الله حق معرفته يتوهم نوعاً من الربوبية لكل شيء»^(١).

فقد بين ضرورة تحرر المسلم من العبودية لغير الله، والعبودية لله وحده كفيلة بجعل المسلم

حراً عزيزاً لا يقبل الذل ولا الإهانة.

ويلاحظ أن الإمام النُّوزسي يقرن بين الشورى والحرية الشرعية لأن أساسهما واحد، وهما

واحد في النهاية وهو التخلص من سيطرة الظلم والاستبداد، وبذلك يكتمل عرض الإمام النُّوزسي

لمشكلة الظلم والاستبداد من خلال جمع حلقات العقد المتناثرة في رسائل النور.

وفي نهاية هذا الفصل خلصت إلى أن الإمام النُّوزسي وجّه المجتمع إلى أن إصلاحه لا يمكن

أن يتم من خلال مرحلة واحدة، ولا يمكن أن يقوم به شخص بمفرده، وأن هناك أولويات لا بدّ من

تحقيقها في مسيرة الإصلاح، منها: العمل على ترسيخ قاعدة الإيمان الحقيقي، والتي تحتاج إلى

القوة المعنوية والدافعية الفردية المتمثلة في الإخلاص والوفاء وقوة العقيدة، وكذلك تطبيق مبادئ

الشرعية الإسلامية والالتزام بأحكامها، وهي وظيفة تحتاج إلى قوة مادية وسلطة سياسية متمثلة بنظام

الحكم الإسلامي، وكذلك الاستناد إلى القيم الإيجابية كالوحدة والأخوة الإسلامية والتسامح، وتحتاج إلى

القوة الاجتماعية المتمثلة بتعاقد أفراد المجتمع.

وقد أظهر الإمام النُّوزسي اهتماماً واضحاً بقضايا عصره، وبحل مشكلات المجتمع الذي عاش

فيه في ضوء قيم الإسلام وعقيدته، وذلك مؤكداً على أن الدراسات الاجتماعية والإنسانية بطبيعتها

(١) النُّوزسي، صيقل الإسلام، ص ٥١٤.

تصطبغ بأيدولوجية أصحابها ومرجعياتهم، وتتمايز الرؤى بين المذاهب والعقائد والدراسات، كما أن الدراسات النفسية والاجتماعية لها نسقها وأدواتها ووسائلها ونتائجها.

وقد أجاد الإمام الثورسي بالإسهام في المعرفة الموجودة وأضاف إليها، وهذه رسالة إلى الباحثين في المشكلات الإنسانية؛ بأن لا يكفي الباحث بمواكبة ما هو سائد، بل يجب أن يكون مُزوّداً بالروح النقدية المصحوبة بالوعي بالتناقضات في النموذج السائد لإعادة بناء الحقل المعرفي على أسس جديدة، ولا يتأتى ذلك إلا عندما يطرح بدائل ناجحة متفقة مع عقيدة المجتمع وفلسفته وقيمه.

الفصل الرابع

التطبيقات التربوية المعاصرة لمنهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية

تأتي أفكار التجديد والإصلاح فاعلة مؤثرة إذا جسدها في واقع الحياة مؤسسات تربوية تجديدية خالصة الغايات، صائبة الممارسات، وهذه الأفكار تُعد بذوراً تنمو لثمر مؤسسات وتطبيقات، فيأتي هذا الفصل ليبيّن التطبيقات التربوية المعاصرة لمنهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية، وهو ثمرة الفصول السابقة؛ لأنه في قسمه الأول يُوضّح التطبيقات التربوية التي عملت المدرسة النورسية على إنجازها داخل المجتمع التركي، وهذا الجانب الواقعي الذي تمّ تطبيقه، ويبيّن القسم الثاني مقترحات تطبيقية في المؤسسات التعليمية، تحديداً في الأسرة والمدرسة، لذا قسّمْتُ الفصل إلى مبحثين، هما:

المبحث الأول: التطبيقات التربوية المعاصرة لمنهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية داخل المجتمع التركي.

المبحث الثاني: المقترحات التربوية المعاصرة لمنهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية داخل المؤسسات التعليمية.

المبحث الأول

التطبيقات التربوية المعاصرة لمنهج رسائل النور في معالجة

المشكلات الاجتماعية داخل المجتمع التركي

أكد الإمام النورسي أن جميع رسائل النور، وكل موضوع من موضوعاتها تحلّ ما لا يُحصر من المشكلات، وقد ضمن شهادة معاصريه في ذلك^(١)، وفي ذلك إشارة إلى عنصر الاستمرارية فيها، بمعنى أن معالجة المشكلات الاجتماعية استمرت بعد وفاته نظراً لبقاء رسائل النور بين يدي طلاب النور، فاستنبطوا منها تطبيقات تربوية معاصرة جسّموها في مشروعات ومراكز لخدمة القرآن الكريم، فأثمرت خدمة إيجابية على المجتمع التركي في جميع المجالات، وحتى تظهر هذه الثمرة لا بدّ من بيان التطبيقات التربوية، ثمّ التأكيد على الانعكاس الإيجابي لها في المجتمع التركي، لذا قسّمْتُ المبحث إلى مطلبين، هما:

المطلب الأول: التطبيقات التربوية المستنبطة من منهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية في المدرسة النورسية.

المطلب الثاني: أثر الخدمة الاجتماعية التي قدمتها رسائل النور في المجتمع التركي.

(١) انظر: النورسي، الملاحق، ص ٣٣، بتصرف.

المطلب الأول: التطبيقات التربوية المستنبطة من منهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية في المدرسة التونسية

أيقن الإمام التونسي بضرورة تربية الجيل الجديد وإعداده إعداداً قيادياً، للوقوف في وجه المشكلات التي تعرّض لها العالم الإسلامي في بداية القرن العشرين الميلادي، كما نبّه التونسي على أن عملية الإصلاح لا تُجدي نفعاً دون العمل الجماعي المنظم، بحيث تسير من خلاله الجماعة نحو هدف محدّد ومقصود، متغلبة على كل التحديات والمشكلات، وفي ذلك يقول:

«إن هذا المسكين سعيد، برغم حاجته الشديدة إلى الكتابة وجودة الخط، وانشغاله بها منذ سبعين سنة، واضطراره إلى تصحيح منتي صفحة في اليوم الواحد أحياناً، لا يملك من الخط ما يتعلمه طفل ذكي في العاشرة من العمر في عشرة أيام، هذا الأمر محير حقاً، ...، فأنا مقتنع تمام الاقتناع بأن حكمة بقائي نصف أمي برداءة الخط، وأنا في أشد الحاجة إليه، هي: إنه سيأتي زمان لا يمكن للقدرات والقوى الشخصية والجزئية أن تقاوم وتصدّ هجوم أعداء رهيبيين، فيبحث سعيد بحثاً حثيثاً عن الذين يملكون خطأ جيداً ليُشركهم في خدمته، فيشكلون معاً آلاف الأقلام التي تحوّل تلك الخدمة الشخصية الجزئية إلى خدمة كئيبة عامة قوية، إذ يجتمعون حول تلك البذرة، بذرة النور، اجتماع الماء والهواء والنور، ويمدون تلك الشجرة المعنوية بالعون، ففضلاً عن هذه الحكمة فإن إذابة أنانيته في حوض الجماعة المبارك كإذابة قالب الثلج نيلاً للإخلاص الحقيقي، حكمة أخرى تدفع لخدمة الإيمان»^(١).

وقد كانت الخطوة الأولى التي اعتنى بها، وذلك أن بدأ بتكوين جماعة النور التي تعمل على

استمرارية الهدف والتطبيق.

تكوين النواة الأولى لجماعة النور

لم تحلّ القوانين المعادية للدين التي سنّها العلمانيون - من منع للدروس الدينية، ومنع الأذان بالعربية، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية- دون تكوين الإمام التونسي لجماعة من الطلاب والطالبات سرعان ما اتسع نطاق انتشارها وقوة تأثيرها، إذ بعد أن التف حوله مجموعة من

(١) التونسي، الملاحق، ص ٣٦٥-٣٦٦.

الشباب قام كل من لديه معرفة بالخط باستساخ ما كان يُملِّه الإمام من الرسائل، فانتسعت بذلك دائرة الاستساخ كما اتسعت دائرة القراءة، ولأن النُوزي لم يستطع أن يُنشئ مدارس تعليمية خاصة - للمنع القانوني - فقد وجّه طلابه إلى استجار بيوت في كثير من المدن والقرى التركية، فتحوّلت إلى مراكز لدراسة الرسائل، ثم تشكّلت من هذه البيوت شبه مدارس صغيرة، يقوم بإدارة كل منها أحد طلبة النور المتفرغين، حيث يدعو غيره لاسيما طلاب مراحل الدراسة الأولى والثانوية، فيدرسون رسائل النور ليقوموا بدورهم بدعوة غيرهم إليها، وسُمي المسؤول المكلف بالتدريس "وقفاً"، لأنه وقف نفسه لتبليغ الإسلام والدعوة إليه^(١).

وقد تعرّضت رسائل النور للاتهامات المتلاحقة، وبعد مدّة ليست بقصيرة استطاعت أن تُثبت براعتها عن طريق مرافعات مؤلفها الإمام النُوزي أمام المحاكم التركية، وبين الإمام النُوزي أن سبب توجيه الاتهامات لرسائل النور الإيقاع بمؤلفها، لذا أكد على انفصال رسائل النور عن شخصه، إذ جاءت من القرآن الكريم وله، ومما قاله في تلك:

«إن الحقائق والمزايا الموجودة في (الكلمات) ليست من بنات أفكاري ولا تعود إليّ أبداً وإنما للقرآن وحده، فلقد ترشحت من زلال القرآن، حتى أن الكلمة العاشرة ما هي إلا قطرات ترشحت من منات الآيات القرآنية الجليلة، وكذا الأمر في سائر الرسائل بصورة عامة، فما دمتُ أعلم الأمر هكذا، وأنا ماضٍ راحل عن هذه الحياة فينبغي ألا يُربط بي ما يدوم ويبقى من أثر»^(٢).

وقد نالت رسائل النور شهادات تقدير من أقطار الوطن العربي بعد قراءتها وتدقيقها، فقد

«دقق علماء من أجلاء مصر والشام وحلب والمدينة المنورة ومكة المكرمة، وعلماء من رئاسة الشؤون الدينية مجموعات رسائل النور، ولم ينتقدوا منها شيئاً، بل استحسَنوها وقَدروها حقَّ قدرها»^(٣).

(١) انظر: بكر، بديع الزمان سعيد النُوزي وأثره في الفكر والدعوة، ص ٢١٣، بتصرف.

(٢) النُوزي، المكتوبات، ص ٤٧٦.

(٣) النُوزي، الشعاعات، ص ٤٦٧.

وبعد مداولات أثبتت رسائل النور وجودها في تركيا، ويرجع الفضل في ذلك إلى الله تعالى، ثم إلى طلاب النور الذين خدموا نشرها وفهموا مقاصدها، فبذلوا ما استطاعوا من أجل خدمة القرآن الكريم ونشر تعاليمه في أوساط المجتمع، فجسدوا فهمهم الفكري والقلبي عملاً وتطبيقاً بمشروعات رائدة؛ لشهم في التنمية الشاملة للمجتمع التركي بحسب إمكانياتهم وقدراتهم، فشملت مجال الأسرة، ومجال النظام التعليمي، ومجال السجون وغيرها.

ومن المشروعات الاجتماعية والتطبيقات التربوية التي قدّمها طلاب المدرسة التُوزسية ما يأتي:

التطبيق الأول: تكوين جماعة النور الكبرى: سعت رسائل النور إلى الوحدة والأخوة والتعاون بين أبناء المجتمع الواحد، وسمة الجماعة التي تسعى إلى تكوينها هي امتداد لرسائل النور واستمرار لها في كل العصور ومن كل البلدان الإسلامية، فلم تقتصر على زمن التُوزسي أو من بعده فحسب، ولم تنحصر في الأتراك أو من يعيش في تركيا، بل تشمل كل مسلم في أي بلد كان، شعاره المحافظة على تعاليم الدين الإسلامي، وقد فهم طلاب النور هذا الأمر فطبقوه مستمدين مبادئهم من قول الإمام التُوزسي:

«أجل نحن جمعية.. جمعية لها منتسبون يبلغ عددهم في كل عصر ثلاثمائة وخمسين مليوناً، وفي كل يوم يُظهر كل منتسب حرمة وتوقيره الكامل لمبادئ هذه الجمعية المقدسة بأدائه الصلاة خمس مرات، ويظهر استعداده لخدمة هذه المبادئ، ويهتّبون لمساعدة بعضهم بعضاً بأدعيتهم وبمكاسبهم المعنوية حسب دستورهم المقدس ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)»^(٢).

(١) سورة الحجرات: آية ١٠.

(٢) التُوزسي، الشعاعات، ص ٤٤٩، باختصار.

فحدّد الإمام النُّوزسي لطلابه المبدأ العام للجماعة والأساس الأول لها، وشعاراتها وتطبيقاتها الصالحة لكل زمان ومكان، ومن خلال القول السابق يمكن تحديد أهم أسس جماعة النور الكبرى بالآتي:

١. شرط الانتساب لجماعة النور الكبرى: الإسلام.
 ٢. الهدف من تكوين الجماعة: خدمة الإسلام والقرآن في كل زمان، ويتحقق هذا الهدف تُحلّ غالبية مشكلات المسلمين الاجتماعية.
 ٣. العمر المحدّد للمنتسبين: كلّ فئات المجتمع؛ الصغير والكبير، المتعلم والأمّي، الغني والفقير، الرجال والنساء.
 ٤. طبقات الجماعة: للأفراد المنتسبين طبقات متعددة بحسب المواصفات والكفاءات العلمية؛ فرسائل النور تراعي الفروق الفردية بين المنتسبين، إذ تُشرك الجميع فلا تُخرج أحداً من دائرة خدمة القرآن الكريم، ولكنها لا تساوي بين المتعلم وغير المتعلم في الدرجة والواجبات.
- وقد أشار الإمام النُّوزسي إلى هذا التطبيق، تحت عنوان "ما يدفع إلى استنساخ الرسائل" فقد استنسخ رسائل النور فئات منهم: الأطفال الأبرياء الذين انكبّوا على الاستنساخ اليدوي؛ بحيث يتغلبون على جميع المبتكرات والوسائل الحديثة، والهدف من استنساخهم حت الصغار على قراءة الرسائل وسوقهم إليها.
- والفئة الثانية هم الشيوخ الأميون، وقسم منهم رعاة وبدو رحّل، ففي ظروفهم العصبية يفضلون السعي لرسائل النور، وقسم آخر هم أهل الحصاد والفلاحين والرعاة الذين يرون العمل لرسائل النور أولى من حاجاتهم الضرورية^(١).

(١) انظر: النُّوزسي، الملاحق، ٢٦١، بتصرف.

وفي إدخال فئات المجتمع في دائرة جماعة النور الكبرى فائدة تربوية مهمة، وهي تجنب المجتمع كاملاً لحل المشكلات والتحديات، فكل فرد مسؤول تماماً عن واجباته تجاه المجتمع تطبيقاً لقول عبد الله بن عمر قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْنُوءٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْنُوءٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْنُوءٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْنُوءَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْنُوءٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» - قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْنُوءٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْنُوءٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

وكذلك أشار الإمام إلى فوائد تربوية مهمة من حث الصغار على القراءة، وإشغال أوقات الناس بالمفيد، فقد يعترض أحدهم على استنساخ الأطفال والشيخ للرسائل، إذ قد يوقع الأخطاء غير المقصودة أو قد يُنقص منها شيئاً، ويردّ الإمام النورسي على الاعتراض بأنه يُراجع دائماً هذه النسخ، مخلصاً الفوائد من مراجعة الكتابة الناقصة للأطفال والشيخ الذين استنسخوا رسائل النور بالآتي:

١. تلجئ القارئ إلى التأمي والملاحظة الدقيقة.

٢. تدفع إلى تلقي الدروس بإعجاب بمسائل رسائل النور الدقيقة اللطيفة، والاستماع إليها من تلك الألسنة الطيبة الخالصة البريئة^(٢).

ونلاحظ أن النورسي يتكلم بلسان المرابي الذي يفكر في أفراد مجتمعه، ومع ذلك يؤكد على ضرورة تقسيم الطبقات التي ينبغي أن تكون في الجماعة الكبرى، كلٌ بحسب قدراته وكفاءاته، وفي ذلك يقول:

«إن رسائل النور ليست دائرة واحدة، بل لها طبقات كالدوائر المتداخلة، فهناك طبقة الأركان والمالكين والخواص والناشرين والطلاب والمولين وأمثالها من الطبقات، فمن

(١) البخاري، الصحيح، كتاب بدء الرحي، باب الجمعة في القرى والمدن، ج ٢، ص ٦، رقم الحديث (٨٩٣).

(٢) انظر: النورسي، الملاحق، ص ٢٦٢، بتصرف.

لم يكن أهلاً للدخول في طبقة الأركان لا يُطرد خارج الدائرة، بشرط عدم موالاته لتيار يخالف رسائل النور، والذي ليست له ميزات الخواص يمكن أن يكون طالباً بشرط عدم الدخول في مسلك مضاد... ولهذه لا تُخرجوا أحداً من جراء خطأ طفيف خارج الدائرة، لئلا يلتحق بصف الأعداء، ولكن لا يُشرك هؤلاء في التدابير الدقيقة التي يتخذها أركان رسائل النور ومالكوها»^(١).

وقد أقام طلاب النور هذه الجماعة ولا زالوا يعملون على نشر تعاليم القرآن الكريم في الدنيا قاطبة، من خلال الندوات والمؤتمرات العالمية، فاتحين الباب لقراء رسائل النور من المسلمين، للانضمام إلى هذه الجماعة، وبذلك عملوا على كسر الحواجز بين حلقات التاريخ الثلاث، الماضي والحاضر والمستقبل، وهذا يحقق الاستمرارية في التعلم والتعليم.

ويُعدّ هذا التطبيق حاجة ملحة في كل عصر وزمان، يحفظ المسلمين في دائرتهم، ويحميهم من دوائر الشرك، ويحلّ مشكلاتهم التي لا زال الإسلام يُسيطر على مضاعفاتها، فإن مالوا إلى الشرك والباطل استفحلت مشكلاتهم خطورة فلا سبيل لمعالجتها.

التطبيق الثاني: إقامة مدارس تربية في كل البلاد بحسب الإمكانيات والقدرات: تحوّلت بيوت طلاب النور إلى مدارس مصغّرة، يبدأ فيها الإنسان بتعليم أطفاله وجيرانه وهكذا، كل ذلك لنشر العلم والتعليم، وقد عمل طلاب المدرسة النورسية على تنفيذ هذا التطبيق مستندين على قول الإمام النورسي:

«ليحول كل شخص بيته إلى مدرسة نورية يتدارس فيها مع أطفاله وأهل بيته، وإن لم يكن له أحد وكان وحيداً، فليتخذ من بضع أفراد من جيرانه أحد المساكن مدرسة نورية يتدارسون فيه رسائل النور أو يستمعون لها أو يستسخونها، وذلك في الأوقات التي يتفرغون فيها عن أعمالهم ومشاغلم»^(٢).

(١) النورسي، الملاحق، ص ٢١٦.

(٢) النورسي، الملاحق، ص ٣٨١-٣٨٢.

وقد طبق طلابه ما أوصى به النُّوزسي، فجاء في الصفحة التي تليها تعزية لأحد طلاب النور

الذي اتخذ بيته مدرسة نورية صغيرة وهو "طاهري موظلو"^(١).

وقد بين الإمام النُّوزسي الفائدة التربوية لهذا التطبيق؛ بأن إقامة مثل هذه المدارس حماية

للجيل الجديد من التربية الأوروبية التي تُهدد إسلامهم وهوياتهم، وفي ذلك يقول:

«اجعلوا بيوتكم مدرسة نورية مصغرة، وموضع تلقي العلم والعرفان، كي يتربى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة على الإيمان، فيكونون لكم شفعاء يوم القيامة، وأبناء بررة في هذه الدنيا، وعندها تتقرر هذه السنة الشريفة فيكم حقاً، ويخلفه لو تربى الأولاد على التربية الأوروبية وحدها كما حدث خلال ثلاثين سنة خلت، فإن أولئك الأولاد يكونون غير نافعين لكم في الدنيا من جهة ومُدعين عليكم يوم القيامة»^(٢).

ويشير كلام النُّوزسي إلى بيان فائدة التربية التي يُقَمِّمها الإسلام للأجيال القادمة؛ فهذا الجيل

الذي يحتفظ بهويته النابعة من الإسلام، ويُفيد من كل ما يُعرض عليه، ويُجدد طريقه استناداً إلى الثوابت، وعنده القدرة على التمييز بين الغث والسمين، ورفض الدخيل المخرب، لهو جيل القيادة والحضارة.

فقد أثبت الإسلام مقدرته الفائقة على المقاومة والاحتفاظ بذاتية نقية من محاولات الاحتواء،

والإفادة من كل ما يُعرض عليه، كما تميّز بقدرته على تصحيح طريقه، وتجديد نفسه، فهو قادر

دوماً على رفض الدخيل؛ لامتلاكه أجساماً مضادة تتبع من أصوله^(٣).

(١) أحد طلاب النور الأوائل، وقد توفي سنة ٩٧٧م، انظر: النُّوزسي، الملاحق، ص ٣٨٣.

(٢) النُّوزسي، الملاحق، ص ٤٠٣.

(٣) الجندي، أنور، القرن الخامس عشر الهجري، التحديات في وجه الدعوة الإسلامية والعالم الإسلامي، د. ط،

المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، د. م، ٩٨٠م، ص ٦١.

وقد ذكرت سابقاً نماذج من جماعات النور، والتي من أبرزها جماعة فتح الله كولن التي عملت على تطوير نشاطاتها التربوية في التدريس، وإعداد عدد كبير من خريجي كليات الإلهيات لتولي قيادة الجماعة مستقبلاً، ويمكن تلخيص إنجازات هذه الجماعة بالآتي^(١):

١. أسست الجماعة مدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية بلغ عددها في تركيا أكثر من مائة مدرسة، ولغة الدراسة بها هي اللغة الإنجليزية، وتذكر المصادر أن حوالي خمسين مدرسة من هذه المدارس الإعدادية والثانوية معترف بها من قبل الدولة، وهي تعد من أرقى المدارس في تركيا من حيث مستوى التدريس.

أما في خارج تركيا، فقد أنشأت الجماعة حوالي مائتي مدرسة في أغلب قارات العالم: أوروبا، وأمريكا، وإفريقيا، وأغلبها في آسيا.

٢ - أنشأت الجماعة سبع جامعات كلها في وسط آسيا، وعندما سمحت الحكومة بتأسيس الجامعات الخاصة في تركيا سنة (١٩٩٦م)، قامت الجماعة بتأسيس جامعة "قانتح" الخاصة، وقد فتحت أبوابها للعام الدراسي (١٩٩٦-١٩٩٧م).

٣ - أقامت الجماعة مساكن للطلاب في أغلب مدن تركيا، وبلغ عددها ما يزيد على أربعمائة مسكن تستوعب أكثر من مائتي ألف طالب.

٤ - أقامت بيوتاً، بلغ عددها حوالي ستة آلاف بيت للطلبة الجامعيين، وهي تؤوي ما يزيد على مائة وأربعين ألف (١٤٠,٠٠٠) طالب وطالبة.

٥ - ويوجد لدى الجماعة أيضاً مدارس خاصة، يحضر فيها الطلاب لدخول امتحانات القبول في الجامعات، وهي حوالي مائتي مدرسة تستوعب ما يزيد على ثلاثمائة ألف (٣٠٠,٠٠٠) طالب وطالبة.

(١) انظر: بكير، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة، ص ٢١٣، بتصرف.

التطبيق الثالث: بناء جهاز إعلامي متكامل: ظهر هذا التطبيق ابتداءً من مبدأ استتساخ رسائل النور الذي تمت الإشارة إليه سابقاً، بحيث يقوم كل من يستطيع نسخ الرسائل بتوزيعها، ثم يقوم الإمام والعلماء من بعده بمراجعة النسخ، وأداة النسخ هي تطبيق قديم نبعت منه تطبيقات حديثة قام بها طلاب النور، وهي تثبت حفظهم لتراث أستاذهم الفكري من جهة، وتؤكد استمرارية دوره في الإصلاح، ومن الإنجازات في مجال الإعلام التي قدمها طلاب النور لنشر ما تعلموه ما يأتي:

١. الاهتمام بطباعة الكتب والرسائل العلمية ونشرها: والتي تتناول موضوعات عديدة، ومنها: طبع ونشر المئات من رسائل النور، وطبع سلسلة من الكتب العلمية التي تربط العلم بالإيمان، وطبع سلسلة علمية تتناسب مع إدراك وفهم الأطفال، وطبع القصص الإسلامية، وترجمة بعض رسائل النور إلى لغات مختلفة، وإصدار موسوعات عديدة ومهمة تخدم الجوانب العلمية والتاريخية، وإصدار كتب إسلامية تتناول موضوعات عقديّة وفكرية وتربوية واجتماعية وقانونية وأدبية وسياسية واقتصادية^(١).

٣. إنشاء محطات الإذاعة والتلفاز الإسلامية: سواء عن طريق بعض الأغنياء أم عن طريق التبرعات من أفراد الطلاب وتجمعاتهم، والاهتمام بإصدار المجلات والصحف، سواء كانت يومية أو أسبوعية أو شهرية أو فصلية، والتي تتناول المجالات العلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، وبلغات مختلفة، وفي بلدان مختلفة متفرقة، كألمانيا وأمريكا وغيرهما^(٢).

(١) انظر: القرني، المنهج التربوي عند الإمام النورسي، ص ٣٦.

(٢) انظر: القرني، المنهج التربوي عند الإمام النورسي، ص ٣٦.

٤. إقامة المؤتمرات التي تدعو إلى نشر فكر الإمام النُّوزسي في الإصلاح والتجديد: وتقيم

مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم مؤتمراً كل عامين مرة، ومن هذه المؤتمرات^(١):

• المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النُّوزسي، بعنوان تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين، والذي عُقد سنة (١٩٩٦م).

• المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النُّوزسي، بعنوان نحو فهم عصري للقرآن الكريم، رسائل النور أنموذجاً، وقد عُقد سنة (١٩٩٨م).

• المؤتمر العالمي الخامس لبديع الزمان سعيد النُّوزسي، بعنوان النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، وقد انعقد هذا المؤتمر سنة (٢٠٠٠م) بإستانبول، وشارك فيه عديد من الأساتذة من دول مختلفة: في لبنان، إيطاليا، مصر، رومانيا، أمريكا، المغرب، السودان، الجزائر، سوريا، فلسطين وأفريقيا الجنوبية.

• المؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان سعيد النُّوزسي، بعنوان العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، وقد نُظّم هذا المؤتمر سنة (٢٠٠٢م) بإستانبول، وشارك فيه مجموعة من الأساتذة ببحوث عربية من الدول الآتية: الجزائر، المغرب، فلسطين، الأردن، العراق، ماليزيا، الإمارات العربية المتحدة ومصر.

• المؤتمر العالمي السابع لبديع الزمان سعيد النُّوزسي، بعنوان ممارسة حياة إيمانية فاعلة في سلام ووثاق في عالم متعدد الثقافات من خلال رسائل النور، وانعقد هذا المؤتمر سنة (٢٠٠٤م) بإستانبول، ضم خمسة وثلاثين محاضراً، قِيموا من شتى البلدان الإسلامية وغيرها، ومنها: العراق،

(١) للاطلاع على محتوى أبحاث المؤتمرات انظر موقع مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، مؤسسة

إستانبول للثقافة والعلوم، تركيا، <http://www.nuronline.com/symposium.php>

المغرب، الجزائر، مصر، سوريا، الأردن، الإمارات، رومانيا، اندونيسيا، السعودية، ماليزيا، لبنان، اليمن والنيجر.

• المؤتمر العالمي الثامن لبيدع الزمان سعيد النورسي، بعنوان العدالة لأجل عالم أفضل للإنسانية، وانهقد هذا المؤتمر سنة (٢٠٠٨م)، وقد تضمن ٥٠ بحثاً من الأبحاث التي أقيمت باللغة العربية من قبل أساتذة قدموا من الدول الإسلامية وغيرها، وهي: الإمارات العربية المتحدة، الأردن، العراق، المغرب، اليمن، سورية، مصر، الجزائر، المملكة العربية السعودية، أفغانستان، تركيا، إيران، النيجر، ماليزيا و بلغاريا.

• المؤتمر العالمي التاسع لبيدع الزمان سعيد النورسي، بعنوان العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، وانهقد هذا المؤتمر سنة (٢٠١٠م)، وقد تضمن ٥٠ بحثاً من الأبحاث التي أقيمت باللغة العربية من قبل أساتذة قدموا من الدول الإسلامية وغيرها، وهي: الإمارات العربية المتحدة، الأردن، الإمارات العربية المتحدة، العراق، السودان، المغرب، اليمن، لبنان، مصر، الجزائر، المملكة العربية السعودية، تركيا، إيران، النيجر.

٥. إنشاء مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية: وهي مجلة علمية أكاديمية محكمة نصف سنوية، تصدر عن مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم، تعمل على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة، ممثلة في مصادر الإسلام، القرآن الكريم والسنة المطهرة، وثقافة العصر بما لا تتعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري،

إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه، والتأسيس للبدل المنبثق عن التصور التوحيدي للعالم والحياة والإنسان^(١).

٦. إقامة الندوات العالمية للأكاديميين الشباب، والتي ترعاها مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم، وقد عقدت لثلاثة أعوام على التوالي، حيث تقوم بدعوة الباحثين من طلاب الدراسات العليا الذين يُعدّون رسائل حول فكر الإمام سعيد النورسي^(٢).

وهذه التطبيقات المعاصرة دالة على الوعي المتزايد من قبل طلاب النور ومواكبتهم لاحتياجات العصر ومعرفتهم تزايد مشكلاته، فهم في سعي مستمر للإصلاح والتجديد، ومن التطبيقات المعاصرة لجماعة كولن في هذا المجال ما يأتي^(٣):

١ - جريدة يومية تسمى (جريدة زمان) (ZAMAN)، وهي تطبع داخل تركيا في خمسة مراكز، وخارجها في ثلاث عشرة دولة، منها دول وسط آسيا وألمانيا، وتبلغ أعدادها يومياً حوالي أربعمئة ألف (٤٠٠,٠٠٠) نسخة.

٢ - مجلة "سيزنتي" (SIZINTI)، وهي مجلة علمية وأدبية شهرية باللغة التركية، ويطلع منها مائة وعشرة آلاف (١١٠,٠٠٠) نسخة.

٣ - مجلة "يني إميد" (YENI UMID)، وهي مجلة علمية تصدر كل ثلاثة أشهر، ويبيع منها حوالي عشرين ألف عدد (٢٠,٠٠٠).

(١) انظر: مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، تصدر عن مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم، إستانبول، العدد الأول، ٢٠١٠م، ص ١.

(٢) أُقيمت هذه الندوات في حزيران من عام (٢٠٠٩م)، وكذلك في حزيران من عام (٢٠١٠م)، وقد شاركت في الندوة العالمية الثالثة المنعقدة في ١٩/١٨ حزيران من عام (٢٠١١م) بشأن موضوع هذه الدراسة، إذ عرضت ملخصاً عن دراستي وأهدافها وفصولها، وقد أُنذت من الملحوظات والمقترحات المقدمة من قبل الأساتذة وطلاب الدراسات العليا المشاركين فيها.

(٣) انظر: بكير، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة، ص ٢١٤، بتصريف.

٤ - مجلة " إيكولوجي " (EKOLOJI) ، تهتم بقضايا البيئة والتلوث، يصدر منها كل ثلاثة أشهر خمسة عشر ألف عدد (١٥,٠٠٠).

٥ - مجلة " فونتن " (fountain)، وهي مجلة علمية تصدر كل ثلاثة أشهر باللغة الإنجليزية وتنتشر في أوروبا وأمريكا.

وكان لهذه التطبيقات التربوية أثراً كبيراً في خدمة المجتمع التركي، كما أسهمت الانجازات النورية في معالجة كثير من المشكلات الاجتماعية.

المطلب الثاني: أثر الخدمة الاجتماعية التي قدمتها رسائل النور في المجتمع التركي

في فترات الازدهار أو الانحطاط التي تمرّ بها الأمم تتساوى مستويات الأداء والانجاز عند الأفراد والجماعات في ميادين الحياة المختلفة، وهذا يعني أن النجاح في فترات الازدهار وما يصاحبه من قيم الإخلاص والإتقان والمسؤولية والتعاون... لا يقف عند الميادين السياسية والعسكرية، وإنما يمتد إلى ميادين الثقافة والاجتماع وغيرها، وهو لا يقتصر على طبقة القيادة الناجحة إنما يمتد ليشمل الهيئات الرسمية والشعبية سواء، وفي المقابل لا يقف الفشل في فترات الانحطاط وما يصاحبه من صفات العجز والكسل والتقريط والتدابير عند الميادين السياسية والعسكرية، وإنما يمتد لتشمل كل ميادين الحياة، ولا يقتصر على القيادات المهزومة إنما يُصيب مختلف قطاعات الأمة^(١).

وبناءً على ما سبق فالتطبيقات التي أحدثتها رسائل النور والمشروعات التي قدّمتها أثمرت خدمات اجتماعية في كل مجالات الحياة، وانتشرت تطبيقاتها العملية في أرجاء البلاد وفي جميع المجالات، فكان لذلك آثار تربوية إيجابية، يمكن تلخيصها بالآتي:

(١) انظر: الكيلاني، ماجد عرمان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط٢، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٩م، ص ٤٩٧، بتصرف.

أولاً: الإسهام في الحضّ على تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الإسلامي التركي:
استطاعت رسائل النور نشر الوعي بحقائق الإيمان بالله تعالى وخدمة القرآن الكريم، فتبنت التفسير الصحيح للقرآن الكريم، وحاربت أعداء الدين بالحجج والبراهين المستندة إلى الأصول الصحيحة، فهي من بداية تأليفها جاءت نصرة للشريعة والقرآن، وقد بيّن النورسي سبب تأليفها بقوله:

«إن سبب تأليف هذه الرسائل هو نوع من الردّ على الخطة الرهيبة بجعل قراءة ترجمة القرآن الكريم بدلاً من القرآن نفسه»^(١).

فكان لرسائل النور أثر ملموس في الدفاع عن الشريعة، بل عملت على إدخال عدد من

الفلاسفة والمعارضين في الدين الإسلامي، وهذا واضح من قول الإمام النورسي:

«إن أجزاء رسائل النور قد حثت أكثر من مائة من أسرار الدين والشريعة والقرآن، ووضحتها وكشفتها، وألجمت أعتى المعاندين الملحدين وأفحمتهم، وأثبتت بوضوح كوضوح الشمس ما كان يُظن بعيداً عن العقل من حقائق القرآن، كحقائق المعراج النبوي والحشر الجسماني، أثبتتها لأشد المعاندين والمتمردين من الفلاسفة والزنادقة حتى أدخلت بعضهم إلى حظيرة الإيمان»^(٢).

وقد حرصت رسائل النور على تحقيق أهدافها في معالجة قضايا المجتمع التركي ومشكلاته،

التي وصفها الإمام النورسي بأنها دامية، فكانت قوة لا يُستهان بها في وجه التحديات التي واجهتها،

وهذا واضح من خلال قول النورسي:

«إن رسائل النور قد أصبحت تريباقاً شافياً لجروح عصرنا الدامية ومعجزة معنوية من معجزات القرآن الحكيم، ولمعة من لمعته، فلقد استطاعت بموازنتهم العديدة أن تحارب المعاندين المتعنتين بسيف القرآن الأمامي، وتتصّب الحجج وتقيم الأدلة على الوحدانية الإلهية وحقائق الإيمان بعدد نرات الكون، ولعل هذا السرّ هو الذي جعلها لا تُغلب ولا تهزم منذ خمسة وعشرين عاماً في وجه أشد الحملات شراسة»^(٣).

(١) النورسي، الملاحق، ص ٣٢٨.

(٢) النورسي، الملاحق، ص ٢٤٨.

(٣) النورسي، صيقل الإسلام، ص ٤٨٧.

كما امتازت رسائل النور بالحض على أداء العبادات فأمرت بذلك حتى القادة والأمراء دون

خوف أو وجل، وتذكر في صفحاتها قصة التورسي مع مصطفى كمال، حيث قال:

«دخل مصطفى كمال ديوان رئاسة الجمهورية بأنقرة وهو على أشد الغضب وقال للإمام: "إننا دعوناك إلى هنا لتقدم لنا أفكاراً راقية وآراء قيمة، ولكنك ما إن أتيت كتبت أشياء حول الصلاة، فأوقعت فيما بيننا الاختلاف والتفرقة"، ورد عليه سعيد: "إن من لا يُصلي خائن وحكم الخائن مردود"،... ولم يمسه مصطفى كمال بسوء... وإنها لكرامة ساطعة لرسائل النور، وقوة عظيمة خارقة لشخصها المعنوي ولطلابها الرواد الأبطال في المستقبل أن يخشى منها قواد جبابرة، كما لو كانوا يخشون من سعيد القديم»^(١).

ويُلاحظ مما سبق القوة التي كانت لرسائل النور في زمن الإمام التورسي في أقصى الظروف

والأحوال، وفي زمن العولمة، فرغم تلك التحديات استطاعت فرض أسسها وتطبيق هذه الأسس، وما ذلك إلا لأنها سارت على نهج القرآن الكريم.

ثانياً: بناء الجيل الجديد على أساس التربية الإسلامية: استطاعت رسائل النور بهمة مؤلفها وتلامذته بناء ذلك الجيل من الشباب على أساس التربية الإسلامية، فاتصف البناء الإنساني بالفكر الواعي، والبناء النفسي السليم، ورفع لواء القيم الإسلامية، وهذه مبادئ متأصلة في منهج التورسي

أثناء معالجته لمشكلات مجتمعه، حيث قال:

«إن عدد الذين أنقذوا إيمانهم برسائل النور، واندفع بها خطرهم عن المجتمع، بل أصبحوا أعضاء نافعين إيجابيين يزيد كثيراً عن مائة ألف شخص، وهم يشغلون مناصب رفيعة في كل دائرة من دوائر الحكومة الجمهورية، ويمثلون مختلف طبقات الناس، وهم يعملون بتفانٍ وإخلاص كاملين وعلى أتم وجه من الصدق والنفق والاستقامة، فالإنصاف يقتضي إذأ حماية هؤلاء ومساندتهم لا محاولة الإساءة إليهم»^(٢).

(١) التورسي، الشعاعات، ص ٤٨٧، باختصار.

(٢) التورسي، الشعاعات، ص ٤١٥.

وقد أثمر البناء التربوي الإسلامي الالتزام بالأخلاق الإسلامية، فتأثر الشباب الواعي بطلاب النور والتزموا، ومن الأدلة على ذلك: ما جاء في الذيل الثاني للمكتوب السابع والعشرين رسالة بكر آغا بعد قراءته لمجلد الكلمات، وهو الذي صار سبباً لإيقاظ أهالي إسبارطة وجلب أنظارهم إلى أسرار القرآن، فأدى أعمال العلماء الأجلء رغم أنه أمي، وقد سمى رسالته التي بعثها إلى الإمام النورسي "مفاتيح الأنوار" جاء فيها:

«سيدي! لا يخفى عليكم أن أخاكم وطالبكم هذا جاهل أمي. إلا أنه بفضل الله قد استقرأ جميع رسائلكم الفريدة من نوعها واستمع إليها، فرسائلكم النورانية لا يمكن حجبها عن الأنظار كما لا يمكن أن يحجب نور الشمس بشيء، فليس هناك احتمال لذلك^(١).

فهذا الشاب الأمي لدى سماعه لرسائل النور تحوّل إلى خادم جادّ للقرآن الكريم ومطبق لشريعته، وليس هذا فحسب بل مُربّ فاعل لأجيال أخرى يزرع فيهم أسس التربية الإسلامية ويحميهم من التربية الأوربية التي سببت غالبية مشكلات المجتمع الإسلامي.

وينبغي علينا مراجعة مفاهيمنا وطرقنا التقليدية حول مفهوم الأمية، إذ يتضح أنه لا توجد علاقة لازمة بين الأمية والجهل في الثقافات التي تعتمد على التداول الشفوي، فما أكثر الجهال بين من يعرفون القراءة والكتابة، وما أكثر الأميين الذين يملكون قدرًا من المعارف، وهذا يفرض إعادة النظر في مفهوم الأمية لمواجهة مشكلة الجهل، متجاوزين بذلك المناهج التقليدية^(٢).

ثالثاً: تقديم الخدمة الاجتماعية في السجون: تحوّلت المصائب إلى نعم ومسرات في حياة طلاب النور حتى في أصعب الظروف؛ لأن هدفهم ومقصدهم رضا الله تعالى، فكان باستطاعتهم تقديم

(١) النورسي، الملاحق، ص ٣٥.

(٢) انظر: تاراجوتا، فيديريكو مايور، نظرة في مستقبل البشرية قضايا لا تُحتمل، ترجمة محمود علي مكي، د.ط، دار العالم العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٨٥، بتصريف.

الخدمات الاجتماعية وحل المشكلات حتى في السجون، وهذه من لطائف التطبيقات التربوية للمدرسة التورسية.

وَجَّهت رسائل النور عنايتها إلى تخفيف مصاب طلابها وابتلائهم بالسجن والنفي، فبين الإمام التورسي أن هذه المصيبة شبيهة بمرض اجتماعي، سرعان ما انقلبت إلى نعم متعددة، ثم نكَّرهم بأن المصيبة لن تدوم، وأن ثورتهم مكاسب مادية ومعنوية للقلب والروح والإيمان، ثم بين أنهم لو لم يدخلوا السجن ربما نزل بهم بلاء التصنع والتزلف للموظفين في الدولة، وذكَّرههم بمنزلتهم بين الناس وتسميتهم بالعلماء، وأخيراً نكَّرهم بأن السجن تحول إلى مدرسة علمية، وكان طلاب النور مدرسين ومعلمين فيها، وستصبح بإذن الله سائر السجون بمثابة مدارس بفضل هؤلاء العلماء^(١).

وبذلك قدّم طلاب النور مشروعاً إصلاحياً متكاملًا في السجون، وخدمات هذا المشروع، هي:

١. الخدمات الأمنية: وتمثلت بحفظ الأمن والنظام - كما مر سابقاً في الفصل الثالث - حتى أشاد الضباط بفوائد الطلاب بمنع العنف والفوضى والإرهاب في السجون.

٢. الخدمات التعليمية: حيث قام طلاب النور بتعليم المساجين، فكانوا علماء ومدرسين، وبذلك تحولت السجون إلى مدارس تربوية إصلاحية.

٣. الخدمات النفسية: فمن التعاليم المستمدة من أنوار القرآن الكريم يستمد هؤلاء الطلاب الأمن النفسي الذي يشيعونه، فيقضون على القلق والأمراض النفسية، وهي مقدمة للخلاص من الجرائم والفساد، فكل طالب من طلاب النور يُعد مرشداً نفسياً نظراً للعلوم التي تلقاها من الرسائل، إذ امتلك القدرة على التحليل النفسي لماهية الإنسان وطبيعته ودوافعه إلى الجريمة، وامتلك منهجاً متكاملًا للإصلاح مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

(١) انظر التورسي، الشعاعات، ص ٣٦٩-٣٧٠، بتصرف.

رابعاً: تقديم الخدمات المتنوعة للأمة الإسلامية: سعت رسائل النور إلى جعل طلابها عناصر نافعة في المجتمع، إذ عملوا على حفظ البلاد من الفوضى والإرهاب، وعملوا على معالجة المشكلات التي صادفتهم بأساليب إيجابية مرتكزة على رسائل النور؛ لذلك رفع الإمام النورسي كلماته بتقة:

«ألا فليعلم أهل السياسة علماً قاطعاً رغم أننا لا علاقة لنا بهم: أن العلاج الوحيد لإنقاذ الأمة في هذا العصر من الفوضى والإرهاب، ومن التردّي المريع والتدنّي الرهيب هو أسس رسائل النور»^(١).

وقد سبق أن أشرت إلى أهمية رسائل النور وطلابها في حفظ الأمن والنظام في الدولة، وكيف حولوا أشد المؤسسات خطورة على المجتمع إلى مدرسة تربية، فعلموا قاطنيتها الأدب والأخلاق الإسلامية، فقال النورسي مفاخرًا الدنيا بطلابه:

«فلْيُشاهد مسؤولو السجن ومن يتولون أمره، أن من ظنّوهم مجرمين قتلة، وحسبوهم سفهاء مُخلّين بالنظام، قد أصبحوا طلاب مدرسة تربية مباركة يتعلمون فيها الأدب الجميل والخلق القويم، وغدوا أعضاء نافعين للبلاد والعباد»^(٢). وانطلاقاً من ثقة الإمام النورسي بطلابه إذا استمروا في نشر مضامين القرآن الكريم بين الناس - وما ينعكس من ذلك على الأمة من خدمات اجتماعية في شتى المجالات - طالب الأمة والبلاد بعدم التعرض لطلاب النور حتى يتمكنوا من أداء واجبهم وخدمة مجتمعهم وأمتهم، فقال:

«إن الخدمات الإيمانية التي قدمها طلاب النور، أركان مدرسة الزهراء، لهذه الأمة والوطن والعالم الإسلامي ووضعهم الحدّ أمام مكابد الملحدّين المخترين، هي حسنات عظيمة تُذهب أوف سيناتهم - لو كانت لهم سينات بفرض محال - لذا يجب عدم انتقاد أعمال أولئك الأركان وحركاتهم - وفي مقدمتهم خسرو - بل يلزم إسنادهم بإخلاص تام وتوثيق رابطة الأخوة معهم بوفاء خالص»^(٣).

(١) النورسي، الملاحق، ص ١٥٩.

(٢) النورسي، الشعاعات، ص ٢٤٦.

(٣) النورسي، الملاحق، ص ٣٣٩.

خامساً: معالجة مشكلات المجتمع التركي بواقعية تامة وبأساليب متنوعة: تضمن الفصل الثالث من هذه الدراسة تطبيقات عملية لمنهج رسائل النور في معالجة المشكلات، الأمر الذي يثبت فاعليتها في الحل أو المعالجة، وهذا الأثر كفيل في الحفاظ على نقاء المجتمع والارتقاء به، رغم ما تعرّض له من تحديات كادت أن تُوقع به وتُزيله عن الوجود.

سادساً: ترسيخ جذور استعمال اللغة العربية في تركيا: رغم الفتوى التي عملت بها تركيا أيام أتاتورك من إجازة الأذان باللغة التركية، ومنعه باللغة العربية، إلا أن الإمام النورسي ظلّ مرابطاً في مسجده هو وطلابه، محافظين على الأذان والإقامة باللغة العربية، وقد تعرضوا للاعتداء من قبل الحكومة، فعملوا على تخصيص جزء من رسائل النور لبيان تأثير الهجوم عليهم وإعلان جرم الحكومة بحقهم وبحق الإسلام، ومن الروايات التي تُبين خدمة رسائل النور للغة العربية من خلال التأكيد على ضرورة ختم القرآن الكريم وقراءته في وقت انتشرت فيه فتوى جواز قراءة ترجمته بدلاً منه كما سبق نكره، فقال:

«ولقد قمنا بتوزيع أجزاء مصحفين شريفيين على كل طالب من طلاب النور الخواص هنا، بحيث يقرأ كلّ منهم يومياً جزءاً مخصصاً له، وبهذا نختم كل يوم من أيام شهر رمضان المبارك _ ختمتان للقرآن الكريم، في مجلس معنوي واسع جداً يضم إسبارطة وقسطموني معاً، يتوسطهما طلاب رسائل النور حيث يتصور كلّ منهم نية جميع الطلاب معه»^(١).

والشاهد في الموضوع كيف أن ولايتي إسبارطة وقسطموني كونتا مجلساً واسعاً لقراءة القرآن الكريم في رمضان، وكما هو معلوم فإن في قراءة القرآن الكريم، والحفاظ على الأذان باللغة العربية، إصراراً على خدمة اللغة العربية وتوقيرها ونشرها.

(١) النورسي، الملاحق، ص ١٣٧.

سابعاً: تصحيح مسالك الفرق التي سببت الفرقة والنزاع بين الناس مثل الشيعة والطرق الصوفية: نادى الإمام التورسي بالوحدة من خلال نبذ الخلافات، وتحديد الهدف والمقصد الذي يجب أن يسعى له المسلمون في هذا الزمان، فقال:

«ثم إن مسلك رسائل النور ليس مسلك الطريقة الصوفية بل هو مسلك الحقيقة، فهو مسلك مقتبس من نور مسلك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، إن هذا الزمان ليس زمان الطريقة الصوفية بل زمان إنقاذ الإيمان»^(١). وفي ذلك تنبيه لجميع المسالك الفكرية والعقدية، من ضرورة اتباع الحقيقة النابعة من الإيمان، التي تُمد المسلمين بالتفكير الواعي المجتمعي، وبالأسلحة القوية لمواجهة التحديات.

(١) التورسي، الملاحق، ص ٢٦٢-٢٦٣.

المبحث الثاني

المقترحات التربوية المعاصرة لمنهج رسائل النور في معالجة

المشكلات الاجتماعية داخل المؤسسات التعليمية

تظهر مستويات النجاح والإنجاز المحصلة من منهج كليات رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية من خلال تطبيقاتها في البناء الاجتماعي، "الذي يتكون من مجموعة من الأنساق، مثل: نسق الأسرة، نسق الدين، نسق الاقتصاد، نسق السياسة، نسق التعليم"^(١)، وبوساطة المؤسسات التربوية تستطيع رسائل النور نشر مبادئها ومناهجها المستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وقد انتقبت مؤسسات تربويتين لإبراز أهم التطبيقات، وهما: مؤسسة التنشئة ممثلة بالأسرة، ومؤسسة التربية والتعليم ممثلة بالمدرسة، لذا قسّمتُ المبحث إلى مطلبين هما:

المطلب الأول: المقترحات التربوية المعاصرة المستنبطة من منهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية داخل الأسرة.

المطلب الثاني: المقترحات التربوية المعاصرة المستنبطة من منهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية داخل المدرسة.

المطلب الثالث: نموذج مقترح لبرنامج علاجي للمشكلة الاجتماعية.

(١) فرح، محمد سعيد، البناء الاجتماعي والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩م، ص ١٥.

المطلب الأول: المقترحات التربوية المعاصرة المستنبطة من منهج رسائل النور في معالجة المشكلات الاجتماعية داخل الأسرة

لكي يتم بناء نظام تربوي اجتماعي ينبغي أن تكون لدينا أفكار واضحة عن العلاقات التي تنظم استخدام الطاقة الحيوية، في مستوى الفرد، وفي مستوى المجتمع^(١)، وأولى الوسائط التي تنظم أوار الفرد داخل مجتمعه "مؤسسة الأسرة".

لذلك عُنيت رسائل النور بالأسرة، وبكل فرد من أفرادها؛ لأن لها دوراً بارزاً في توجيه الناشئة وتربيتهم تربية إسلامية خاصة في مراحل نموهم الأولى، وجعلتها رسائل النور القلعة الحصينة للإنسان، وعالمه الخاص، فأكد الإمام النُّوزسي على أهميتها حيث قال:

«إن الحياة العائلية هي ركيزة تجمع الحياة الدنيوية ولولبها، وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الأمين، وإن بيت كل فرد هو عالمه ودنياه الخاص، فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار»^(٢).

ويمكن لنا اشتقاق مشروعات وتطبيقات موجّهة للأسرة المسلمة في كل عصر وزمان، إذ قدّمت رسائل النور الأنموذج القرآني للأسر وهو نموذج "الأسرة الإنسانية"، التي تسعى إلى إحكام تنشئة الإنسان وصيانة إنسانيته من الانتقاص، ومن التطبيقات التربوية لرسائل النور في هذا المجال:

التطبيق الأول: صياغة دليل الأسرة المعاصرة (مشروع الإصلاح الفكري والنفسي للفرد)

وهذا المشروع مُوجّه للفرد في مراحل الطفولة والشباب والشيخوخة، والهدف منه الوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة، وأساسه المتين الإيمان بالآخرة، ونجد بذرة هذا المشروع فيما أكدّه الإمام

(١) انظر: بن نبي، مالك، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ص ٧٢، بتصرف.

(٢) النُّوزسي، الكلمات، ص ١٠٥.

التورسي، من أن عقيدة الآخرة هي أسّ الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية، وأساس جميع كمالاته ومثله وسعادته، وأورد على ذلك أربعة أدلة، هي:

الدليل الأول: أن الأطفال الذين يمثلون نصف البشرية، لا يمكنهم تحمل الحالات المؤلمة والمفجعة كحالات الموت والوفاة، إلا بالقوة المعنوية الناشئة من الإيمان بالجنة، فهذا الإيمان يفتح باب الأمل أمام طبائعهم الرقيقة فيتمكنون من العيش بهناء، ولولاه لهدم الموت تلك القوة المعنوية ولحطم نفسياتهم، فإما أن تموت أحاسيسهم وتغلب مشاعرهم، أو يُصبحوا كالحيوانات الضالة التعسة.

الدليل الثاني: أن الشيوخ الذين يتحملون مشاق الحياة بالإيمان بالآخرة، فهم الذين عادوا كالأطفال وأصبحوا مرهفي الحسّ في أرواحهم وطبائعهم، إنما يقابلون اليأس القاتل الناشئ من الموت والزوال، ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة، وإلا لشعروا بإضطراب نفسي وقلق قلبي، ولضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

الدليل الثالث: أن الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية، لا يُهدئ فورة مشاعرهم، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود إلى الظلم والتخريب، ولا يؤمن السير الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلا الخوف من نار جهنم، وإلا لحولوا الحياة إلى حياة حيوانية، ولقلبوا الدنيا إلى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز^(١).

الدليل الرابع: أن الحياة العائلية التي لا يُمكن أن تُحصّل السعادة والرحمة المتبادلة إلا بالإيمان، بوجود علاقات صداقة أبدية ورفقة دائمة، في زمن لا نهاية له، وتحت ظل حياة لا حدود لها، تربطها علاقات أبوة محترمة، وأخوة خالصة... حيث يحدث الزوج نفسه: "إن زوجتي هذه رقيقة

(١) انظر: التورسي، الكلمات، ص ١٠٤ - ١٠٥، بتصرف

حياتي، صاحبتي في عالم الأبد، فلا ضير أن أصبحت الآن دميمة أو عجزاً، إذ إن لها جمالاً
أبدياً سيأتي، فأنا مُستعد لتقديم أقصى ما يستوجبه الوفاء والرافة، وأضحى بكل ما تتطلبه تلك
الصدقة الدائمة^(١).

إن الأدلة التي ساقها النورسي كافية لتثبت اعتماد سعادة الإنسان على عقيدة الإيمان بالآخرة،
فخطر الموت يُهدد النفوس الضعيفة، ويوصلها إلى اليأس والقنوط، بل ويُصيبها بالقلق والضيق
والكثير من الأمراض النفسية، فإذا ما حددت الأسرة دليلاً ومنهجاً لحياتها اليومية قائماً على
الإيمان بالله واليوم الآخر، فستف قوة في وجه المصائب والتحديات الحاضرة والمستقبلية.

لذلك تحتاج السياسات التربوية أن تُعيد النظر في استراتيجياتها المتعلقة بنماذج الأسر القائمة
في الأقطار العربية الإسلامية، وأن تخطط لأنموذج أسري جديد له منطلقاته وأصوله الثابتة، ومن
تلك البذرة يُستنبط المشروع الحضاري المنشود، فيمثل هذه الأسر المسلمة التي اتخذت دليلاً عقدياً
واضحاً، تتكون سمات المجتمع الإسلامي المنشود، والتي تتحدد في النقاط الآتية^(٢):

١. أرضية المجتمع هي العقيدة الإسلامية.
٢. الانضباط والدقة فيصّل ما بين التمدن والتوحش.
٣. مجتمع التراحم والإحساس المشترك.
٤. حدود المباح والممنوع في المجتمع واضحة.
٥. مجتمع يحل مشكلاته عن طريق التقاهم.
٦. مجتمع يشارك في بنائه الجميع.

(١) النورسي، الكلمات، ص ١٠٦، باختصار.

(٢) انظر: بكار، عبدالكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩م،
ص ٢٦٢-٢٧٤، بتصرف.

التطبيق الثاني: تكوين دليل شامل للقيم الأسرية

وجّه الإمام النُّوزسي كلماته إلى مكونات الأسرة المسلمة، الوالد والوالدة، الزوج والزوجة والأولاد، ودعا إلى تصحيح الأفهام، واتباع سبيل دوام هذه العلاقة خوفاً من انقطاعها بسبب الركون إلى المصالح الدنيوية، فإن فُهمت القيم الإسلامية التي تُديم العلاقات الأسرية فستزداد أواصر المحبة بين أفرادها يوماً بعد يوم، وسيزداد تماسكها، وهي السبيل إلى تماسك المجتمع الواحد، ومن هذه القيم:

١. قيمة المحبة للوالد والوالدة: أرشدت رسائل النور إلى حقيقة المحبة بقول الإمام النُّوزسي:

«أما محبتك للوالد والوالدة، فهي عبادة تثاب عليها ما دامت في سبيل الله، ولا شك أنك ستزيد الحب والاحترام لهما عندما يبلغان الكبر، وتكسب لذة روحية خالصة وراحة قلبية تامة لدى القيام بخدمتهما... فتوجه إلى المولى القدير بأن يُطيل عمرهما لتحصل على مزيد من الثواب... ولكن لو كان ذلك الحب والاحترام لأجل كسب حطام الدنيا ونابعاً من هوى النفس، فإنه يولد ألماً روحياً قائماً، وباتا عبئاً عليك، ثم الأدهى من ذلك تمنى موتهما وترقب زوالهما»^(١).

٢. قيمة المحبة بين الزوج والزوجة: وحقيقة هذه العلاقة في قول الإمام النُّوزسي:

«أما محبتك لزوجتك وهي رفيقة حياتك، فلأنها قد أسست على حسن سيرتها وطيب شفقتها، وكونها هبة من الرحمة الإلهية، فستوليها حباً خالصاً ورافةً جادة، وهي بدورها تبادل لك هذه المحبة مع الاحترام والتقدير، وهذه الحالة تزداد بينكما كلما تقدمنا في العمر، فستقضيان حياة سعيدة هنيئة بإذن الله... ولكن لو كان ذلك الحب مبنياً على جمال الصورة التي تهواه النفس، فإنه سرعان ما يخبو ويذبل، وتفسد الحياة الزوجية أيضاً»^(٢).

٣. قيمة محبة الأولاد: بيّن النُّوزسي تلك القيمة بقوله:

«أما محبتك لأولادك، أي حبك لمن استودعك الله إياهم أمانة، لتقوم بتربيتهم ورعايتهم.. فحب أولئك المؤنسين المحبوبين من خلق الله، إنما هو حبٌ مَكْتَل

(١) النُّوزسي، الكلمات، ص ٧٧١.

(٢) النُّوزسي، الكلمات، ص ٧٧١.

بالسعادة والبهجة، وهو نعمة إلهية في الوقت نفسه، فإذا شعرت بهذا فلا ينتابك الحزن على مصابهم ولا تصرخ متحسراً على وفاتهم، إذ إن خالقهم رحيم بهم حكيم في تدبير أمورهم، وعند ذلك تقول: إن الموت بحق هؤلاء فهو سعادة لهم، فتنجو بهذا من ألم الفراق، وتتفكر أن تستدر رحمة تعالى عليك»^(١).

وما أشار إليه الإمام النورسي من عقائد إسلامية هي تصحيح لفكر الأسرة وتهذيب لقيمها الخلقية مما يوصلها إلى السعادة الدائمة ونبذ الخلافات والمنازعات، وهو الهدف الذي تسعى إليه الأسر في كل العصور، ذلك أن محبة الله لها من التأثير النفسي في أعمال المسلم الكثير، بل إنها تُعدّ أعظم محفز على العمل الصالح وعلى التضحية بالمال والولد والنفس في سبيل الله.

وتفسير ذلك أنه عند حصول المحبة لله تعالى يقع في النفس الاستعداد بطواعية للقيام بالأعمال الشاقة على النفس، والتي تصبح بالمحبة ممتعة طالما أن الغاية منها رضا المحبوب. وتنعكس آثار المحبة أيضاً على العلاقة بالناس، إذ بالمحبة يضمحلّ حظ النفس من العلاقات الاجتماعية مثل المعاملة بالمثل أو الانتقام أو طلب الشهرة، ويكون تعامل المسلم مع غيره طلباً لرضا الله وحده، وبالمحبة تهون آثار المصائب إذ تكون المحبة عندئذٍ معيناً لا ينضب من الصبر، فإذا ما ابتلي الإنسان بالخير أو الشر، فإن المحب يتعلق قلبه بالمحبوب القادر على كل شيء، والذي بيده قلوب الناس أجمعين، فبالمحبة يستغني المحب عن محبة الناس له، إذ محبة الله تكفيه وبها تقرّ عيناه إن جفاه الناس^(٢).

التطبيق الثالث: تحويل الأسرة إلى مدرسة فعلية لها منهجها وأهدافها المستمرة

شكّلت رسائل النور نظاماً محدداً للمدرسة الأسرية ومنهجية تُركّز على تنمية القيم عند الوالدين

قبل أن يطالبوا أولادهم بها.

(١) النورسي، الكلمات، ص ٧٧١.

(٢) انظر: القيسي، مروان إبراهيم، المضامين التربوية في العقيدة الإسلامية، محاضرات في مساق المضامين التربوية في العقيدة الإسلامية، جامعة اليرموك، ص ٣٧، بتصرف.

«فالأوضاع الحاضرة ستعكس على الجيل الآتي لهذه الأمة بعد خمسين سنة، ولا يخفى عليكم ما ستؤول إليه السجايا الدينية والأخلاقية الاجتماعية، سيَلطُحُ قسم من الجيل الآتي ذلك الماضي لهذه الأمة المُضحية منذ ألف سنة بلطخات رهيبة قد تقضي عليه بعد خمسين سنة، لذا فإن إنقاذ قسم من هذا الجيل من ذلك التردّي المرعب بتزويده بالحقائق التي تحتويها رسائل النور تُعدّ أفضل خدمة لهذه الأمة ولهذا الوطن، فنحن لا نُخاطب إنسان هذا الزمان، بل نُفكّر بإنسان ذلك الزمان»^(١).

وأما ملخص المناهج في المدرسة الأسرية التي بيّنتها رسائل النور فكانت ممثلة بالآتي:
١. منهج تعليم القرآن الكريم الذي يمدّ الإنسان بالإيمان: فقال الثورسي في هذا المنهج:

«إن رسائل النور التي هي تفسير حقيقي للقرآن الكريم، ببيان إعجاز معانيه الجليلة، تبين أن في الضلالة جحيماً معنوياً في هذه الدنيا، كما تثبت أن في الإيمان نعيماً معنوياً في الدنيا أيضاً، وهي تبرهن أن المعاصي والفساد والمتع المحرّمة آلاماً معنوية مبرّحة، كما أن الحسنات والخصال الحميدة والعمل بالحقائق الشرعية لذائد معنوية أشبه ما تكون بملذات الجنة»^(٢).

«وإن أعظم إحسان أعدّه في هذا الزمان وأجل وظيفة هو إنقاذ الإنسان لإيمانه والسعي لإمداد إيمان الآخرين بالقوة»^(٣).

٢. منهج إمداد الجيل بالعلم منذ الصغر: وقد بيّن الإمام أهمية العلم بقوله:

«إن دفع الضلالة والفساد سهل ويسير إن كانت آتية من الجهل، بينما إزالتها عسيراً جداً إن كانت آتية من العلم، ففي هذا الزمان تأتي الضلالة من العلم، لذا لا يمكن إزالتها، وإنقاذ من تردى فيها من الجيل المقبل إلا بأن يكون لديهم مؤلفاً كاملاً كرسائل النور»^(٤).

٣. منهج العبادة الشاملة: وهذا المنهج يعمل على تحويل المباحات الدنيوية إلى عبادات بفضل

النية والإخلاص لله وحده سبحانه وتعالى، فيوجه الإمام الثورسي الأسرة إلى أن ما تحمله من أنواع

المحبة في النفوس والتي تتعلق بالأطعمة اللذيذة، ومحبة النفس، والزوجة والأولاد والأصدقاء، وبكل

(١) الثورسي، الملاحق، ص ٢٣٤.

(٢) الثورسي، صيقل الإسلام، ص ٤٨٣.

(٣) الثورسي، الملاحق، ص ٢٥٩.

(٤) الثورسي، الملاحق، ص ٢٣٥.

ما هو جميل وبالربيع الزاهي خاصة وباللذات عامة، إذا كانت وفق إرشاد القرآن الكريم وفي سبيل الله سبحانه ومحبة الرحمن الرحيم، فإن نتائجها ستثمر في الدنيا، فضلاً عن نتائجها الطيبة الخالدة في الآخرة^(١).

٤. منهج الإرشاد الأسري للطفل: الذي يعمل على تهيئة الجو الخالي من التوترات والمشكلات الأسرية نتيجة العناية بالطفل واستعداداته ومواهبه، في ذلك يقول:

«إن الإنسان أرسل إلى الدنيا ضعيفاً وموظفاً، ووهبت له مواهب واستعدادات مهمة جداً، وعلى هذا أسندت إليه وظائف جليلة، ولكي يقوم الإنسان بأعماله وليكد ويسعى لتلك الغايات والوظائف العظيمة، فقد رُغب ورُهب لإنجاز عمله»^(٢).
فوسائل النور وُجّهت إلى الجميع حتى للأمينين، ومجموع هذه المناهج التي قدمت وسائل النور تكون وعاءً فكرياً ضخماً للأسر لتمدّ الجيل الجديد بثقافة دينية إرشادية ثابتة.

ومما سبق يُلاحظ تأكيد وسائل النور على ضرورة أن تضع الأسرة المعاصرة منهاجاً يستهدف إعداد الأبناء علمياً وروحياً واجتماعياً، وهذه البنية تستلزم وضع برنامج عملي تفصيله بالآتي:

١. الإعداد الديني والثقافي: ويتحدد هذا الإعداد بحسب عمر الطفل وحاله، فتبدأ الأسرة بتصحيح العقيدة والعبادة، ثم يتلقى إعداداً أوسع من ذلك وهكذا، وهنا تتحقق التنشئة العقيدة الصحيحة لأبناء المجتمع المسلم.

٢. الإعداد الروحي والنفسي: وذلك بأن تستهدف تربية إرادة الطفل حتى تتلقى القيم وتثبتها، فيتخلق بها وتصبح سجيته وعادته.

(١) انظر التورسي، الكلمات، ص ٧٧٠، بتصرف.

(٢) التورسي، الكلمات، ص ٣٧١.

٣. الإعداد الاجتماعي: إذ تستهدف الأسرة توثيق العلاقات بين أفرادها والقضاء على أسباب التفكك والنزاعات، لتكوين الفرد المتمزن نفسياً وعاطفياً، وذلك بحسن التوجيه وحسن الحوار، وتنمية قدرات النشء على التفكير الابتكاري.

وهدف هذا النظام تكوين الشخصية المتوازنة ذات السمات المصاغة وفق الكتاب والسنة للوصول إلى التوافق بين الأعمال، والتوازن بين الخبرات السابقة وبين مقتضيات الموقف الراهن، لذا فلها تأثير إيجابي على الذات وعلى الآخرين، لأنها مرتبة وفق ضوابط سليمة للتصور والسلوك^(١).

وهذه الشخصية تُربى في الفرد مجموعة من الخصائص، منها:

١. المرونة: وهي أرضية الصفات الإنسانية، تُعطي الشخصية مفاتيح التحكم لأساليب التعامل المختلفة، وأساسها من الناحية الفسيولوجية أن الأعصاب والخلايا في الجهاز العصبي تتأثر بالتكرار والمران، وبالتالي يولدان العادات ومنهجية العمل^(٢)، تجعله قادراً على مواجهة الصدمات والمفاجآت بصبر وثبات، أو ما يسمّى "بالثبات الانفعالي" عند علماء النفس، فلا يتهور الفرد ولا يهتز^(٣)، فيتخلص من أخطاء التقدير وسوء الحكم.

٢. الإنتاجية: يستخدم الفرد كل طاقاته في سبيل الوصول إلى الأهداف السامية سواء في مجال علاقته بربه أو علاقته الإنسانية، فيتحمل المسؤولية ويأخذ بالأسباب ليحقق الإنتاج الفعال^(٤).

(١) انظر: صالح، مراعاة الأولويات، ص ١٦٢.

(٢) انظر: الشيباني، عمر التومي، فلسفة التربية الإسلامية، د. ط، الدار العربية للكتاب، د. م، ١٩٨٨م، ص ١١١، بتصرف.

(٣) انظر: علي، سعيد إسماعيل، التصور النبوي للشخصية السوية، د. ط، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٣٧٩هـ-١٩٧٩م، ص ٦٥، بتصرف.

(٤) انظر: خوالده، ناصر أحمد، ويحيى إسماعيل عيد، طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العملية، عمان، دار حنين للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ٤٥، بتصرف.

٣. استثمار التجارب الذاتية والاستفادة من تجارب الآخرين.

٤. الثقة بالنفس: وهي نتيجة وجود ضوابط ، لذا تتعكس هذه الثقة من الأعمال على الشخصية.

ومن هنا يمكن القول بأن صياغة دليل شامل للقيم الأسرية وسيلة ضرورية لإعداد هذه الشخصية وتنسيق سماتها في كل الأماكن والأزمان، مهما اختلفت الظروف والأحوال والمتغيرات، كما تُعد أداة لصيانتها وحمايتها من أي انحراف قد تتعرض له، لأن ضوابط هذا التوازن ثابتة ونماذج تطبيقها باقية.

المطلب الثاني: المقترحات التربوية المعاصرة المستنبطة من منهج رسائل

النور في معالجة المشكلات الاجتماعية داخل المدرسة

حظيت التطبيقات التربوية المستنبطة من منهج كليات رسائل النور داخل المدرسة بحظٍ وافٍ فيها، إذ عُيّنت الرسائل بمرتكزات العملية التعليمية، مثل المعلم والطالب والمنهاج المدرسي، ومن أبرز التطبيقات المستنبطة:

التطبيق الأول: التطبيقات التربوية التي تخص المنهاج الدراسي

يحظى المنهاج الدراسي بأهمية كبيرة، إذ يمد المتعلمين بالمواد المعرفية التي تُغذي عقولهم، والمتمتعن في رسائل النور يرى أنها أشارت إلى توجيهات مهمة في بناء المنهاج التعليمية بمواصفات خاصة للمتعلمين في كل عصر وزمان، ومن خصائص المنهج المقترح:

١. من أهم أهداف المنهج الدراسي في كل عصر وزمان هو نصرة الإسلام: وبالتالي تحديد

المواد العلمية لتكون تبعاً للمقصد الأساسي، وفي ذلك يقول الثوزي:

«أعلن بلا حرج ولا تردد: إن الذي دفعني وشجعني إلى مبارزة أفكار العصور الخوالي، والتصدي للخيبات والأوهام التي تقوّت واحتشدت منذ مئات السنين، إنما هو اعتقادي وبقيني بأن: الحق سينمو، نمو البذرة النابتة، وإن تسترت تحت

التراب، وأن أهله سينتصرون وإن كانوا قلة وضعفاء بظلم الأحوال، واعتقادي: أن حقيقة الإسلام هي التي ستسود قارات العالم وتستولي عليها»^(١). فكانت مبارزة النُوزسي لأفكار العصور، تأليفه لرسائل النور، فهي منهج لطلابه وللباحثين عن إنقاذ إيمانهم وثنيته في النفوس، واعتقاد النُوزسي بنمو بذرة الحق هي إثمار المنهج في دراستها ونصرة محتواها.

ومن أهداف المنهج الذي ينبغي التركيز عليها في وضع المناهج هو بث روح الجماعة من خلال عرض المواد العلمية، ومن طريف ما ذكر الإمام النُوزسي هو دمج مادة الرياضيات بهذا الهدف، بحيث تثبت المعلومة في أذهان المتعلمين، فقد قال:

«وإذا لم يكن في الجماعة الواحد الصحيح، يصغر الجمع والضم، كالضرب الكسري في الحساب»^(٢).

ويوضح المحقق ذلك بقوله: إن الرقم يزيد بالضرب أو بالجمع فمثلاً $(4 \times 4 = 16)$ ولكن الرقم يصغر بالضرب والجمع في الحساب الكسري، فحاصل ضرب $(\frac{3}{1} \times \frac{3}{1} = \frac{9}{1})$ كذلك الأمر في الجماعات البشرية إن لم يكن بينها وحدة مبنية على الصدق والاستقامة، فإنها كلما زادت صغرت وددب فيها الفساد والانحلال»^(٣).

والحقيقة أن أسلوبه التعليمي يجب أن يُقتدى به، وينبغي تعميمه في المواد العلمية خاصة فذلك يكسر ما فيها من جمود، وينبغي أن يُدخل منهاج القيم في خطٍ متوازٍ مع المواد التجريبية لنثمر، ولا يخفى على أحد من أن المناهج اليوم تقتصر إلى هذا الأسلوب وتُدرس بدون روح، فهي مباحث جامدة ليس لها روح أو تطبيقات حقيقية، لذا ما أنتجت في غالبيتها إلا العجز والغباء.

(١) النُوزسي، صيقل الإسلام، ص ٢٢-٢٣.

(٢) النُوزسي، المكتوبات، ص ٦٠٨.

(٣) النُوزسي، المكتوبات، ص ٦٠٨.

٢. ضرورة ترتيب مواد المناهج العلمية: فالعلوم ليست في درجة واحدة عند النُّوزسي، لذا يجب

على واضعي المناهج التمييز بين العلوم الأساسية والفرعية؛ لأن إهمال الأولى يُسبب الكثير من

المشكلات والأضرار في عقول المتعلمين، وفي ذلك يقول:

«إن السبب المهم الذي أدى إلى تدني علوم المدارس الدينية وصرفها عن مجراها الطبيعي هو: أن العلوم الآلية - كالتحوي، والصرف، والمنطق، وأمثالها من العلوم التي تكون وسيلة لفهم العلوم العالية التي هي كالتفسير، والحديث، والفقه وأمثالها من العلوم - لما أُدرجت في عداد العلوم المقصودة، أصاب الإهمال العلوم العالية، إذ سيطر على الأذهان حل العبارة العربية التي لباسها (لفظها) في حكم معناها، وظلّ العلم الذي هو أصل القصد تبعياً.

زد على ذلك، أن الكتب التي أصبحت في سلسلة التحصيل العلمي رسمية، وعباراتها متداولة إلى حدّ ما، هذه الكتب حصرت الأوقات والأفكار في نفسها ولم تفسح المجال للخروج منها»^(١).

وكلام الإمام ينساق على مناهجنا اليوم، فقد وضعت المناهج المعرفة الضرورية في المرتبة

الثانية أو الثالثة، وأثخنت عقول المتعلمين بالمعرفة غير الضرورية إذا لم نقل الضارة منها، وكما

أكد الإمام النُّوزسي أن النتيجة من ذلك حصر المعرفة في نفسها ولن تخرج من الكتب.

٣. فصل المناهج عن واضعيها، وهذا الفصل يكون بعدم التعلق بالمؤلف أو بأفكاره لدرجة التقديس،

ولا يخفى على أحد أن هذا له من الأضرار ما لا يُحصى، فإما أنه ينعدم الإخلاص ويسود الرياء

لمؤلف المنهاج، أو يُترك ولا يُعتنى به إن غاب مؤلفه أو مات، لذا بين الإمام النُّوزسي مخاطر

تقديس مؤلف رسائل النور بقوله:

«لقد شاهدتُ في بعض الرسائل المرسلّة أوصافاً مفرطة بحق أستاذهم، ونظرتُ إلى نفسي ورأيتها لا تستحق حتى زكاة تلك الأوصاف، وليس من حقي امتلاكها، فقلتُ:

(١) النُّوزسي، صيقل الإسلام، ص ٦٧.

ترى ما المصلحة والفائدة التي يحصل عليها إخواني هؤلاء الناشدون للحق في غلوهم في حسن الظن واستمرارهم عليه مع تنبيهاتي المستمرة لهم»^(١).
ويبين سبب خوفه من ذلك بقوله:

«إن حقيقة خالدة دائمة لا تُبنى على أشخاص فانيين زائلين، ولو بُنيت عليهم لنجم ظلم وإجحاف شديدان، إذ المهمة التي لها الدوام والكمال من كل جانب لا تُربط بأشخاص مُعرضين للفناء، ومُبتلين بالاهانات، فإن رُبط الأمر بهم، تُصاب المهمة نفسها بالضرر»^(٢).

٤. ضرورة تجديد المنهاج: فعلى واضعي المنهاج العناية بهذا الموضوع، وذلك لاختلاف حاجات الإنسان وحاجات عصورهم، فلكل زمن طبيعة، ولكل مجتمع أسلوب يختلف فيه التّقبل ودافعية التعلم من مجتمع إلى آخر، لذا نبّه الإمام التّوزسي إلى تغيير الحال، وتغيّر الأوضاع، والذي يتبعه تغيّر المناهج وتحديدها بقوله:

«إن أنواع الضلالة الناشئة عن الإلحاد والعلوم الطبيعية، والتمرد المتولد من الكفر العنادي في الماضي، ليعتبر أن من الضلالة بحيث لا يُذكران إذا ما قيسا بما عليه الوضع في وقتنا الراهن، لذا فقد كانت أدلة علماء الإسلام ودراساتهم كافية لسدّ حاجات عصرهم، إذ كان كفر عصرهم مبنياً على الشك، فكانوا يزيلونه بسرعة، وكان من اليسير إرشاد الكثيرين إلى طريق الهداية بالتنكير بالله والتخويف من عذابه. أما اليوم فقد تغير الحال، إذ بينما كان يوجد - في الماضي - ملحد واحد في بلد، يمكن العثور الآن على مائة كافر في قسبة واحدة، وقد زاد عددهم بسبب افتتاحهم بالعلوم والفنون الحديثة، ويقفون بعناد في وجه الحقائق الإيمانية، فلا مناص من أن يُجابها بحقائق قَدسية في قوة القنبلة الذرية، لتحطم مبادئهم وأسسهم في هذه الدنيا»^(٣).

وما سبق ذكره من نقاط يمكن أن تكون منطلقات أساسية لمناهجنا المعاصرة، والتي تتخذ شكل

المقررات والدراسات النظرية وشكل الممارسات العملية التي تدور حول التوحيد الذي يؤدي إلى

(١) التّوزسي، الملاحق، ص ٢١٧.

(٢) التّوزسي، الملاحق، ص ٢٦٤.

(٣) التّوزسي، صيقل الإسلام، ص ٤٨٧.

معرفة الله ومعرفة ملكيته المطلقة للنشأة والحياة والمصير، وإحكام الصلة به والانسجام مع سننه وقوانينه في الكون والحياة والإنسان بهدف خدمة الدين الإسلامي، وهذه المقررات تُرَبِّي الذوق الرفيع، وتنمي الإرادة.

التطبيق الثاني: التطبيقات التربوية التي تخص المعلم

بيّنت رسائل النور عدداً من الصفات التي يجدر بالمعلم الاتصاف بها وتطبيقها، وهي كثيرة، غير أنني عملت على انتقاء بعض الأقوال للإمام النورسي والتي توضح خصائص المعلم وآدابه، وهي:

١. التواضع والإخلاص: يقول النورسي:

«إني أشكر ربي كثيراً أن جعلني لا أعجب بنفسي، ناهيك عن الإطراء والمزايدة
لنفسي وأعلمني نقائصي وذنوبي فأطلب العفو عنها، والخجل يتملكني راجياً أن
يكون إخلاص الطلاب الميامين لرسائل النور وتفانيهم في الخدمة الإيمانية
وشفاعتهم المعنوية لي، كفارة لذنوبي»^(١).

ومن الطبيعي أن يشعر المعلم بالتواضع، لأنه كلما زادت معرفته بالله شعر بالنقص والعجز،
ثم ينعكس هذا الشعور على طلابه، فيتفانون في نشر دين الله تعالى وخدمة رسالة الإسلام، الأمر
الذي يعود بالفائدة على المعلم فتكون أعمالهم في ميزان حسانه يوم القيامة.

٢. الحرص الشديد فيما يقدمه من معرفة وانتقائها للطلاب بعناية، فيقول النورسي في ذلك:

«إن العالم المرشد ينبغي أن يكون كالشاة لا كاطير، فالشاة تطعم بهيمتها اللبن
والطير تلقم فراخها القيء»^(٢).

وهذا الأمر يرجع إلى القيم الخلقية عند المعلم، فصاحب القيم الإسلامية لا يُعلم طلابه إلا

الخير وما يعود عليهم بالفوائد الدنيوية والأخروية.

(١) النورسي، الملاحق، ص ٢٤٩.

(٢) النورسي، المكتوبات، ص ٦٠٣.

٣. المحافظة على قيمة التعليم وحفظها من التثوية بالاستبداد والإكراه، وبين ذلك بقوله:

«فإن كثيراً جداً من الناس يمضي بميل السيادة والآمرية والتفوق على الآخرين، فيجعل العلم المشوق المرشد الناصح اللطيف، وسيلة قسر وإكراه لاستبداده وتفوقه فبدلاً عن أن يخدم العلم يستخدمه، وعلى هذا فقد دخلت الوظائف بيد من ليسوا أهلاً ولا سيما الوظائف في المدارس الدينية، فألت إلى الانداس نتيجة هذا الأمر. والعلاج الوحيد لهذا: تنظيم المدرسين الذين هم في حكم العاملين في دائرة واحدة، في دوائر كثيرة كما هو الحال في الجامعة، كل في مجال اختصاصه، ليذهب كل واحد بسوق إنسانيته، ويتوجه نحو حقه، ينفذ قاعدة تقسيم الأعمال بميله الفطري امتثالاً للأمر المعنوي للحكمة الأزلية»^(١).

ونلاحظ مما سبق أن الإمام التوزسي قرن تعليم الناس بمجموعة من الخصائص اللازمة له، منها: الإرشاد، ولطف المعاملة، والتواضع، وتنظيم الأعمال، وتحمل المعلم مسؤولية تحقيق مصلحة المتعلم، وغير ذلك، وهي منظومة متكاملة للمعلمين والمربين في كل زمان، ويتحققها يتخرج القادة والمصلحون القادرون على حلّ المشكلات الاجتماعية في كل الظروف والأحوال.

التطبيق الثالث: التطبيقات التربوية التي تخص المتعلم

أكدت رسائل النور على مجموعة من الآداب التي تخص المتعلمين، والتي إن طبقت يستطيع المتعلم ربط الحياة الاجتماعية بالحياة التعليمية، وتتحد المؤسسات التربوية التعليمية والاجتماعية مما يجعلها وحدة متكاملة، ومن هذه الآداب:

١. الوفاء للأفكار، فهي فوق الأشخاص والأشياء، يدورون في فلكها في كل العصور، فعلى المتعلم في كل عصر خدمة الإسلام والقرآن، فهذه الخدمة فوق المراكز والمناصب ويؤكد التوزسي على ذلك بقوله:

(١) التوزسي، صيقل الإسلام، ص ٦٧.

«إن طلاب رسائل النور الحقيقيين يرون خدمة الإيمان فوق كل شيء، فحتى لو منحوا مرتبة القطبية يُفضلون عليها خدمة الإيمان حفاظاً على الإخلاص»^(١).

٢. معرفة المنازل والدرجات، فوجود الفروق الفردية طبيعي بين المتعلمين لذلك ينبغي تقسيم الطلاب حسب إتقانهم وأعمالهم إلى درجات ومنازل، وقد أشار الإمام النورسي إلى وجود ثلاث طبقات لطلابه بقوله:

«وهؤلاء أيضاً على ثلاثة أنماط، فإما صديق، أو أنه أخ، أو أنه طالب. فخاصية الصديق وشرطه: أن يكون مؤيداً تاييداً جاداً لعملائنا في نشر الأنوار القرآنية (رسائل النور)، وأن لا يميل إلى الباطل والبدع والضلالة قلباً، وأن يسعى أيضاً ليفيد نفسه.

وخاصية الأخ وشرطه: أن يكون ساعياً سعيًا حقيقياً وجاداً لنشر الرسائل، فضلاً عن أدائه الصلوات الخمس، واجتناب الكبائر.

وخاصية الطالب وشرطه: أن يعدّ رسائل النور من تأليفه هو وأنها تخصه بالذات فيدافع عنها وكأنها ملكه، ويعتبر نشر تلك الأنوار والعمل لها أجلاً وظيفية لحياته»^(٢).

٣. التمسك بالجماعة وبالسواد الأعظم، لضمان عدم التفرق والاختلاف، الذي يؤدي إلى التهلكة، وقال النورسي في ذلك:

«يجب اتباع السواد الأعظم من الناس، إذ لما اعتمد الأمويون على الأكثرية والسواد الأعظم، فإنهم دخلوا -مع تهاونهم- في نهاية الأمر في عداد أهل السنة والجماعة، بينما العلوية، فلاعتمادها على قلة العدد انتهى الأمر ببعض منهم مع تصلبها إلى الدخول في الرفضية»^(٣).

٤. الحفاظ على الأخلاق والقيم في حياة المتعلم، ويؤكد النورسي على ذلك بقوله:

«لو تأملت في مساوئ جمعية البشر لرأيت: أس أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية، كلمتين فقط:

(١) النورسي، الملاحق، ص ٢١٨.

(٢) النورسي، المكتوبات، ص ٤٤٢.

(٣) النورسي، المكتوبات، ص ٦٠٩.

إحداهما: إن شبت فلا علي أن يموت غيري من الجوع.

والثانية: اكتسب أنت لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا.

والقاطع لعرق الكلمة الأولى ليس إلا "الزكاة" والمستأصل للكلمة الثانية ليس إلا حرمة الربا، إن عدالة القرآن تقف على باب العالم وتصيح في الربا: ممنوع لا يحق لك الدخول! إن البشرية لما لم تصغ إلى هذا الكلام تلقت صفة قوية، وعليها أن تُصغي إليها قبل أن تتلقى صفة أقوى وأمر^(١).

٥. تدريب المتعلم على حل المشكلات بنفسه، من خلال النموذج الذي قدمه في رسائل النور، وهو

نموذج الإنسان الدؤوب الذي يفكر في مجتمعه.

وتلك المنظومة الخلقية التي صاغها الإمام النورسي بذرة أساسية لتطبيقات تعليمية تربوية،

تعمل على صياغة المتعلم المتدرب على حل مشكلاته من خلال تربية قدراته العقلية، "والتي تُعنى

بتوجيه العقل وتسديده لتمكين الفرد من القيام بعمله الذي شرعه الله له، وإعفائه من الخوض فيما

هو فوق إمكاناته، بهدف الوصول إلى أحسن مستوى^(٢).

فالتربية الإسلامية تُقَدِّم للمسلم قواعدَ ونظماً سلوكية تجعل حياته مثلاً للدقة والنظام والمنهجية

ليكون عمله هادفاً ومنتقناً^(٣)، فلإنسان قدرات عقلية كامنة تتفاوت قوة وضعفاً من شخص إلى آخر،

يستطيع من خلالها التعرف على البيئة القائمة من حوله، ثم خزن هذه المعارف ليقوم بعد ذلك

بتوظيفها في الوقت المناسب طبقاً للمواقف والمشكلات التي يتعرض لها، وهي كما حددها القرآن

الكريم على النحو التالي^(٤):

- قدرة العقل: وهي القدرة على خزن المعلومات واسترجاعها وتوظيفها عند الحاجة إليها.

(١) النورسي، المكتوبات، ص ٦٠٤-٦٠٥.

(٢) محمود، علي عبد الحليم، التربية العقلية، د.ط، دار التوزيع والنشر الإسلامي، د.م، ١٩٩٦م، ص ٤٦.

(٣) انظر: النحلوي، عبدالرحمن، أصول التربية الإسلامية، ط ٣، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص ٦٢، بتصرف.

(٤) انظر: الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، د.ط، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص ٥٩-٦٠، بتصرف.

- قدرة التأويل: وهي القدرة على إدراك التطبيقات العملية التي تقابل المعلومات النظرية.

- قدرة التدبر: وهي القدرة على الربط بين المقدمات والنتائج.

- قدرة التفكير: استعمال المهارات العقلية كلها للوصول إلى الحقيقة.

- قدرة التذكّر: القدرة على استرجاع الخبرة ورؤية جانب الصواب فيها.

والأفراد في استخدام هذه القدرات ثلاث فئات^(١):

١. الفئة الأولى: تستفيد من قدراتها العقلية في جلب النافع ودفع الضار، وهؤلاء هم العقلاء.

٢. الفئة الثانية: لا تستفيد منها وهم السفهاء.

٣. الفئة الثالثة: تستخدمها في جلب الضار وإعاقة النافع وهم المخادعون.

والمنظومة الخلقية والعلمية التي أشار إليها النورسي تُربي الفئات السابقة من خلال:

- أنها منهجية دائمة للفئة الأولى، فهي تسهم في تطبيق هذه القدرات وتوظيفها.

- أنها تدريب وتوجيه للفئة الثانية، فتُعدّ محرّكاً يومياً لهذه القدرات.

- أنها حماية وتوعية للفئة الثالثة، وذلك من خطر قلب موازين هذه القدرات.

وبناءً على البذرة الكامنة في رسائل النور، يمكن إعداد برنامجاً لتربية القدرات العقلية لدى

المتعلم يُقّده في حل المشكلات الاجتماعية، وفق عناصر ثلاثة، هي:

أولاً: المهارات اللازمة لتنمية القدرة على حل المشكلات: وهذه المهارات، هي^(٢):

١- فهم المشكلة واستيعابها: وهي استخدام القدرة الكاملة لاستقبال المشكلة وفهم أوجه الشبه

والاختلاف بين البدائل عن طريق عمليات التفسير والاستنتاج.

(١) انظر: الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، ص ٥٧، بتصرف.

(٢) انظر: أبو الفخر، ظريفة، جمل، محمد جهاد، مهارات التفكير وفق المدخل الاجتماعي، ط ١، دار الكتاب

الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٠م، ص ١٠٠، بتصرف.

٢- مهارة تحديد المشكلة وتحليلها: وهي تجزئة الأهداف إلى العناصر والمكونات الرئيسية، وتكوين العلاقات بين الأحكام والقضايا وإظهار مواطن القوة والضعف فيها.

٣- مهارة الموازنة: القدرة على فحص شيئين أو فكرتين لمقارنة أوجه الشبه والاختلاف بينهما^(١).

٤- مهارة التطبيق والتقويم: القدرة على استخدام المفاهيم في أوضاع واقعية، والتعامل مع المواقف الجديدة والتوصل إلى أحكام أو اتخاذ قرارات مناسبة^(٢)..

ثانياً: التأكيد على نمط التفكير المتزن الواعي: وهذا النمط ثمرة تربية رسائل النور المستتبطة من القرآن الكريم للقدرة العقلية، وهو يتميز بالخصائص الآتية:

١. التزامه بمنهجية الأسلوب العلمي.

٢. التزامه بالضوابط والمحكمات الثابتة.

٣. مراعاته للظروف والأحوال والمكان والزمان ونقدها.

٤. توافر الإجراءات لتطبيقه في الواقع بشكل مستمر للوصول إلى حل جديد.

ويتميز هذا النمط من التفكير بتداخل أنماط التفكير الأخرى، فيتم فيه الانتقال من نمط التفكير

التحليلي إلى النقدي إلى الإبداعي.

ثالثاً: التدريبات العملية لتنمية القدرات العقلية لحل المشكلات: وحتى يتم تنمية القدرات العقلية

عند الأفراد بهدف تمكينهم من حل المشكلات التي تواجههم في حياتهم، لا بدّ من بعض التدريبات

الآتية:

١- تدريب الفرد المسلم على النقد الذاتي، فصاحب المشكلة متحمّل لمسؤولية ترتيب الأمور وحل

النوازل، فلا يلجأ إلى التفكير التبريري الذي ينسب الأخطاء إلى مبررات خارجية.

(١) انظر: سعادة: جودت أحمد، تدريس مهارات التفكير، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣م، ص، بتصرف ٤٧.

(٢) انظر: خوالده، طرائق تدريس التربية الإسلامية، ص١٤٤، بتصرف.

٢- تدريبه على التفكير الشامل، فتناول الأحداث يكون من جميع الجوانب، فلا يعيش الفرد وراء بعض الجزئيات ويُعمم الحكم على باقي الأحداث.

٣- تدريبه على التفكير العلمي، فلا يتسرع الفرد في إصدار الأحكام من غير دليل صحيح كما يثبت من صحة الأحداث فتصبح صفة لازمة للإنسان في الحياة اليومية والعلاقات الشخصية والعامة^(١).

٤- تدريبه على التجديد بدل التقليد، وقد حرّر الإسلام الإنسان من المؤثرات السابقة، ومن عوامل الألفة، ومن الانسياق وراء الآخرين دون تعقل أو تمييز، فتحصّنه مراعاة الأولويات على التجديد وإيجاد البدائل المنضبطة التي تتناسب عقيدته ومجتمعه، واستعمال قدراته العقلية للحكم على أموره الحياتية بقدر ما يحقق له ذلك من منفعة.

٥- تدريبه على استخدام العقل في الإدراك السليم والاعتناع المنطقي، فالنظر إلى الأحداث دون تعصب، واتخاذ سعة الأفق منهجاً، تجعل الفرد يستفيد من حلول المشكلات الحاضرة لتنعكس إيجاباً على المستقبل.

وتكرار هذه التدريبات في غاية الأهمية للارتقاء بتفكير المسلم والاستفادة من قدراته العقلية في شتى المجالات، وبالإضافة إلى ذلك تعد من أهم الوسائل التي تحمي المجتمع من الانحراف في خط التفكير السوي.

التطبيق الرابع: تكامل المؤسسات التربوية مع مؤسسات التخطيط والتنفيذ ومؤسسات التنمية الاجتماعية ومؤسسات الإعلام في عملية الإصلاح والتوجيه

(١) انظر: الزناتي، عبد الحميد السعيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ط١، دار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٤م، ص٥٠٩، بتصرف.

ينبغي أن يكون هذا التكامل تكاملاً محكماً بحيث يؤدي غياب إحدى المؤسسات إلى فساد

عمل الأخرى، وقد وجّه الإمام النُوزسي التربويين وغيرهم إلى ضرورة التعاون بقوله:

«أن التعاون دستور مهيم على الكون، ابتداءً من الشمس والقمر إلى النبات والحيوانات، فترى النباتات تمد الحيوانات، والحيوانات تمد الإنسان، بل ذرات الطعام تمد خلايا الجسم وتعاونها»^(١).

وتطبيق هذه البذرة يكون بأن تقوم المؤسسات التربوية بإفراز الدراسة النظرية، وتقوم بتحويلها

إلى قيم واتجاهات ومهارات تربوية تشكل ممارسات الجيل الناشئ.

وتقوم مؤسسات التنمية الاجتماعية بدراسة الحال مباشرة من الواقع، فتشخص المشكلات

المعاصرة وتسلط الأضواء على النسب والعينات.

وتقوم مؤسسات الإعلام بالتوعية اللازمة للمجتمع، واستثارة مؤسسات التنفيذ لحل المشكلات

الاجتماعية.

وتقوم مؤسسات التخطيط والتنفيذ بتحويل الإجراءات النظرية إلى خطوات عملية وبرامج

ومشروعات، وانفصال هذا التكامل يؤدي إلى الصراع الداخلي والاضطرابات في كيان الأمة فقد

كانت الهزائم والكوارث التي نزلت بالعالم الإسلامي الحديث نتيجة لعجز المؤسسات التربوية عن

التكامل.

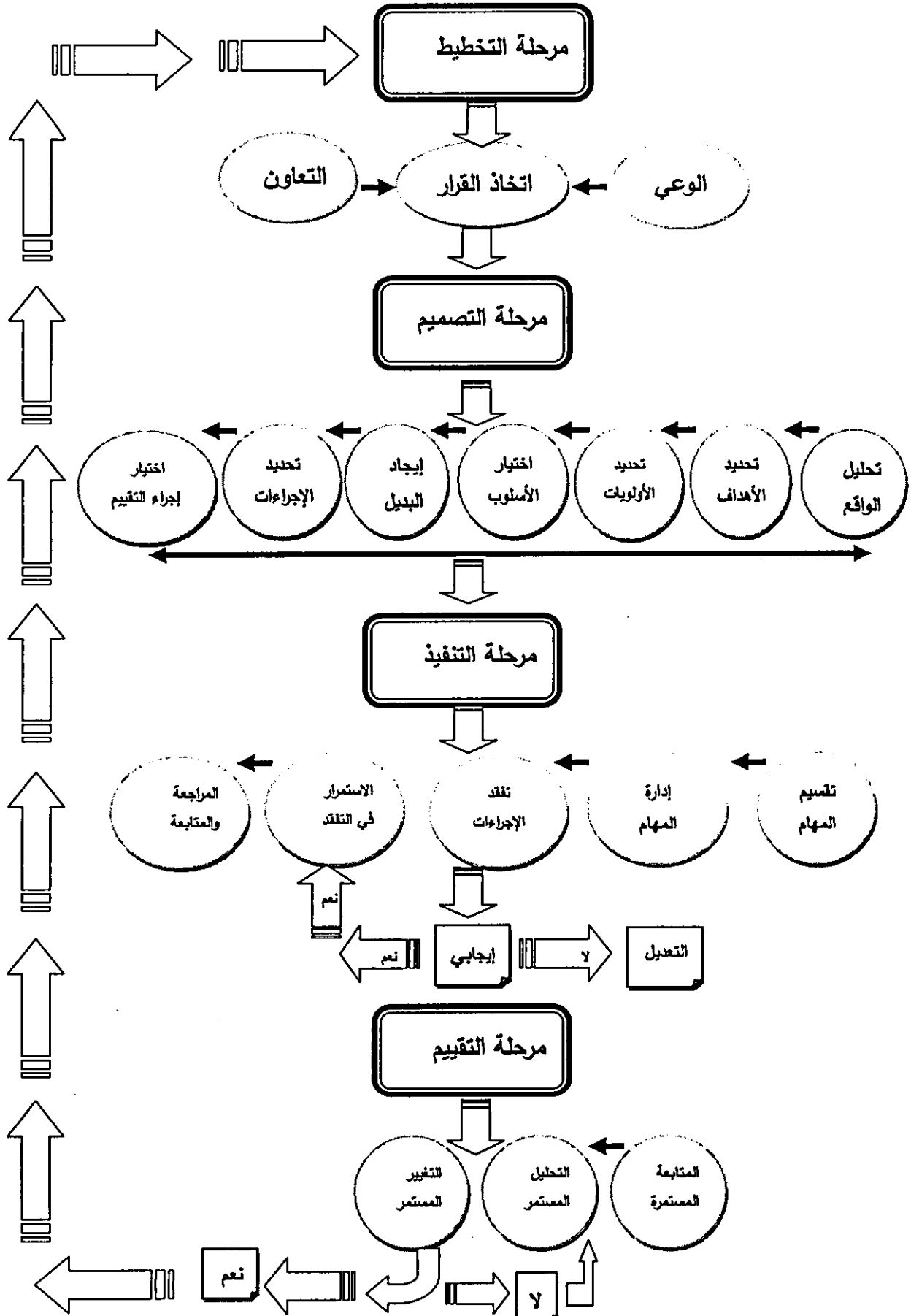
(١) النُوزسي، الكلمات، ص ٦٤٤.

المطلب الثالث: أنموذج مقترح لبرنامج علاجي للمشكلة الاجتماعية

أشار الإمام النورسي إلى عدد من التطبيقات التي تخدم المجال التربوي، وإشاراتته كانت بذوراً ومنطلقاً لبرامج اجتماعية تربوية تُسهم في معالجة المشكلات الاجتماعية، وقد رأيتُ اقتراح برنامج علاجي استنبطته من التوجيهات السابقة، يمكن تطبيقه في دراسات لاحقة، يُفيد في معالجة إحدى المشكلات الاجتماعية، وهذا البرنامج يتضمن مجموعة من الخطوات المنتظمة التي تبدأ من مرحلة التخطيط وتنتهي بعد مرحلة التنفيذ، وإعطاء صورة أكثر دقة لا بدّ من تأكيد أسس ثلاثة فيه، وهي:

١. يُشكّل هذا الأنموذج نسقاً ينتظم بعض الجزئيات التي نبّه إليها الإمام النورسي، من أساليب مشتركة في عدد من المشكلات الاجتماعية.
٢. يمكن أن يخدم هذا الأنموذج في إطاره العام المربي التربوي أياً كان مجاله وتخصصه لأكثر من نوع من أنواع المشكلات الاجتماعية، بعيداً عن الاتجاه الذي يتبناه.
٣. هذا الأنموذج يُوضّح المراحل والأطراف الرئيسية في تنفيذه وقد يكون تفصيل كل مرحلة فيه يستغرق مساحة أكثر مما هو موجود، ولكن لا بدّ من الإشارة إلى أن التفصيلات المذكورة هي أكثر أهمية من غيرها، ويبقى الأنموذج قابل للتطور والتعديل والتطبيق في دراسات لاحقة.

والشكل (٥) يبين مراحل الأنموذج المقترح.



وتفصيل مراحل البرنامج المقترح يكون بالآتي:

المرحلة الأولى: مرحلة التخطيط للبرنامج

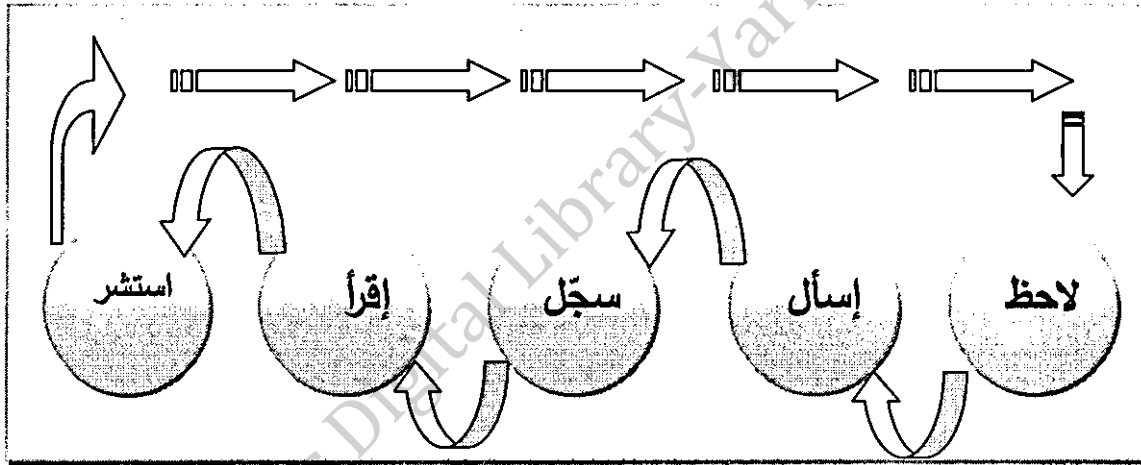
يبدأ البرنامج بخطوات أساسية على المرابي أن يبقياها في ذهنه منذ اللحظة الأولى، ومرتكزات

هذه المرحلة، هي:

١. الملاحظة والوعي: فواجب الفرد المسلم التيقظ لأي ظاهرة أو مشكلة موجودة في البيئة

المحيطة، وعليه الانتباه للأحداث والمستجدات التي قد تشكل أثراً سلبياً في بيئته المحيطة، سواء

له علاقة بها أو ليس له علاقة بها، وهذه المرحلة تمرّ عبر حلقات متتابعة، وهي:



٢. اتخاذ القرار: بمعالجة المشكلة الاجتماعية وفق البرنامج، وقد يكون اتخاذ القرار من طرف واحد

أو أكثر، وتأتي عقب جمع المعلومات المطلوبة ليكون اتخاذ القرار على بيئة وناشئ عن حاجة

ماسة للتغيير.

٣. التعاون والمشاركة بين أكثر من جهة: بهدف معالجة المشكلة الاجتماعية، فيشارك الفرد مع

العائلة أو العائلة مع المدرسة أو غير ذلك، المهم وحدة الهدف والسعي نحو النتيجة المنشودة،

وتحمل كل جهة مسؤولياتها على أكمل وجه.

المرحلة الثانية: مرحلة تصميم البرنامج

وتتكون هذه المرحلة من سلسلة من الخطوات، هي:

١. تحليل الواقع والبيئة المحيطة للمشكلة: فالفرد يعيش وسط أسرة ومدرسة، وجيران ومؤسسات مختلفة، فالبيئة المادية والمعنوية تدعم وجود مشكلة أو تحدّ من انتشارها، أو تتجاهلها، وفي ضوء تحليل هذا الوسط يُمكن معرفة الدوافع المؤدية إلى تشكيل المشكلة الاجتماعية في نظرة شاملة.

٢. تحديد الأهداف العامة والخاصة: في هذه الخطوة ينبغي على المربي تحديد الأهداف العامة ثم تشكيل أهداف خاصة مستقلة، بحيث يركز على عناصر ثلاثة فيها، وهي:

أ. نوع التغيير المراد.

ب. الظروف التي يُنتظر أن يظهر التغيير فيها.

ج. المؤشرات التي يمكن أن تظهر لتدلّ على التغيير المراد ومراحل انجازه.

٢. تحديد الأولويات: ينبغي إعداد قائمة بأولويات معالجة المشكلة الاجتماعية، من خلال

الحيثيات الآتية:

▪ متى نبدأ؟

▪ بماذا نبدأ؟

▪ كيف نبدأ؟

٣. اختيار الأساليب العلاجية المناسبة للمشكلة الاجتماعية: فلكل مشكلة خصوصية في

المعالجة، حتى لو اشتركت في عدد من الإجراءات، إلا أنه يجب تحديد الأساليب التي تناسب

خصوصيتها، وهنا علينا اختيار الأسلوب من المجموعات الآتية:

- مجموعة الأساليب الوقائية والعلاجية.

- مجموعة الأساليب النظرية والتطبيقية.

- مجموعة الأساليب الوجدانية والعقلية.

٤. إيجاد البديل الذي يشغل محل المشكلة الاجتماعية: فإشغال المحل يسهم في اقتلاع جذور المشكلة الاجتماعية ويمنع وقوعها في فترات لاحقة، وفي تحديد البديل إيقاظ للفكر وفتح للأفق وانفتاح على حلول جديدة من شأنها الحدّ من انتشار المشكلة والقضاء عليها.

٥. تحديد الإجراءات العلاجية المناسبة للمشكلة: وخطوات المعالجة في ضوء الاعتبارات التي تجعل كل إجراء أكثر فاعلية ونجاحاً.

٦. اختيار إجراءات التقييم: وهذه الإجراءات تتعدد وتتطور عبر الزمان، ولهذه الخطوة أهمية خاصة لما لها من أثر في تحديد فاعلية الخطوات السابقة.

٧. التأكيد على روح العمل الجماعي: بحيث ينطلق البرنامج من أفراد يشكلون جماعة، ويتم التأكيد خلال التصميم على تضافر الجهود وتجميع الأسر والأنظمة للوقوف في وجه المشكلة الاجتماعية.

ثالثاً: مرحلة تنفيذ البرنامج

في حال القيام بتصميم البرنامج بدقة، فإن تنفيذه يُصبح عملية تطبيق سهلة ومرتبّة، وخطوات هذه المرحلة، هي:

١. تقسيم المهام والمسؤوليات: مع التنكير بضرورة تكامل الأدوار ووحدة الهدف، وينبغي التأكيد على تحديد المدة الزمنية اللازمة تقريباً للإنجاز، والسماح بمدة زمنية للتقبّل والتعديل.

٢. إدارة المهام حسب الخطة التي وُضعت مسبقاً عند تصميم البرنامج فتتخذ الإجراءات المتفق عليها مسبقاً.

٣. متابعة التغييرات وتفقد الإجراءات: وهذا الأمر يتم بواسطة جمع المعلومات لمدة زمنية معينة منذ بدء البرنامج فإذا كانت النتائج المتوقعة قد حدثت، فالنتائج إيجابية، وفي هذه الحالة يقوم المربي بمتابعة البرنامج، وإذا لم يتم التوصل إلى ما يُطمح إليه من نتائج، فعلى المربي تفقد الإجراءات وإعداد إجراءات بديلة بغرض التعديل.

رابعاً: مرحلة تقويم البرنامج

١. التحليل المستمر: والتعديل في الإجراءات بحسب ما يظهر من استجابة لمعالجة المشكلة، من قبل الأطراف المعنيين.

٢. المتابعة الدائمة للمشكلة الاجتماعية ولمضاعفاتها، ففي حال نجاح المعالجة يتم التعزيز المستمر، وفي حال الفشل تتم مراجعة الإجراءات وتعديلها.

٣. البدء في التخطيط لمرحلة جديدة: وهي معالجة مشكلة اجتماعية أخرى، وهنا يظهر الفرق بين الباحث المسلم وغيره، إذ لا يهدأ له بال إلا بسلامة مجتمعه من المشكلات جميعاً، لأنه يُدرك ارتباطها وتفاعلها.

وبعد عرض هذه المراحل والخطوات يُمكن للباحث الجاد في المشكلات الاجتماعية المعاصرة تكوين استراتيجية منظمة حول كل مشكلة أو ظاهرة اجتماعية يُريد دراستها، ويتوجب عليه مراعاة خصوصية الظروف والإمكانات المادية، فيدرس مشكلة الانحراف أو العنف في ضوء طبيعة المجتمع وفي ضوء التفسير العلمي له وفي ضوء دوافعه وغيرها من عوامل متغيرة، أما خطوات الدراسة فتتم بحسب الأنموذج المقترح لمعالجة المشكلات الاجتماعية كمخطط مُعين في سيره نحو هدفه، مع بذل كل ما يستطيع من جهود، طالباً من الله تعالى العون والسداد.

الخاتمة والمراجع

الخاتمة

من خلال البحث في المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال كليات رسائل النور للإمام

التُّوزسي في ضوء الفكر التربوي المعاصر توصلتُ إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

١. الإمام سعيد التُّوزسي واحد من الأعلام الذين شهدوا أهم هذه الأحداث والتحويلات السياسية

والاجتماعية والاقتصادية، فكان له موقفه المؤثر في بلاده، واستمر الإمام التُّوزسي في المشاركة

السياسية والاجتماعية بأساليب مختلفة في هذه المراحل كلها، وكان لهذه الأحداث أثر كبير في

رسائله، فهي تضم مادة خصبة يمكن تقديمها كتوجيهات للمصلحين والمشرفين والمربين على

اختلاف جهاتهم في معالجة المشكلات الاجتماعية الحاضرة والمستقبلية.

٢. المشكلة الاجتماعية من منظور الإمام التُّوزسي: هي كل حالة أو ظاهرة تتناقض مع قيم

الإسلام ومثله العليا الثابتة، وفيه مخالفة للسنن الاجتماعية، مما يؤثر على المجتمع تأثيراً سلبياً،

لذا تتطلب المشكلة الاجتماعية حلاً جذرياً من جميع أفراد المجتمع كلٌ حسب قدراته وإمكاناته.

٣. وضحت الدراسة مفهوم المشكلات الاجتماعية وأنواعها واتجاهات تفسيرها في كليات رسائل

النور في ضوء الفكر التربوي المعاصر، فأكدت على أنه مهما اختلفت الأنواع وتداخلت اتجاهات

تفسير المشكلات، فالمهم هو مواجهتها والتصدي لها، بشرط الانضباط بمعايير محددة لا تتغير ولا

تتبدل، حتى يتم تشكيل التراكم المعرفي لعلم المشكلات الاجتماعية، من أجل الوصول إلى السعادة

وتكوين حياة إسلامية أكثر وتقدماً.

٤. اتبع الإمام التُّوزسي في منهجه العلاجي التربوي خطوات عملية مستخدماً كل الوسائل التي

اتَّيحت له، ومستعيناً في كل ظرف بما يناسبه من الوسائل وما يصلح له، هادفاً إلى تخليص

مجتمعه من المشكلات الاجتماعية التي كدرت صفو حياتهم للوصول إلى حالة الرضا والاستقرار،

وقد أسهم في معالجة مشكلة التقليد، ومشكلة الترف الاستهلاكي، ومشكلة العنف والعدوان، ومشكلة الفقر، ومشكلة العنصرية، ومشكلة الظلم والاستبداد.

٥. اتسم منهج النُّوزي في معالجة المشكلات بأنه منهج يتناسب وعقيدة الأمة وقيمها، وأحوالها القائمة، وتطلعاتها المستقبلية، وكان له منهجه في معالجة الفرد وتربيته، ويتضمن منهج تربية الاعتقاد، ومنهج تربية التفكير، ومنهج تربية الدوافع والغرائز، ومنهج تربية السلوك، وأيضاً منهجه في معالجة المجتمع وتربيته، ويتضمن منهج إصلاح الأسس الأخلاقية المنحرفة، ومنهج إصلاح العلاقات الاجتماعية، ومنهج إصلاح النظام التعليمي للمجتمع، ومنهج إصلاح نظام الحكم، وكانت أبرز الأساليب التي اتبعتها: إيجاد البديل الإسلامي، واستخدام الأساليب التربوية، كالقصة والحوار والسؤال، إيراد التطبيقات العملية.

٦. توصلت الدراسة إلى التطبيقات التربوية المعاصرة المستنبطة من منهج الإمام النُّوزي، وذلك بتحديد ما تقيده المؤسسات التربوية من المنهجية الإسلامية في معالجة مشكلاتها بهدف بعث روح الفاعلية فيها من جديد، حيث ظهرت مستويات النجاح والإنجاز المحصلة من خلال تطبيقاتها في المؤسسات التربوية، بسبب اعتمادها على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فوجود التطبيقات دليل مقنع على فاعلية رسائل النور ودورها التربوي في معالجة المشكلات.

كانت هذه أهم نتائج الدراسة، أما عن التوصيات، فهي:

١. ضرورة الانفتاح على ما عند الثقافات الأخرى خاصة الإسلامية منها، وذلك بدراسة تراثهم التربوي، الذي يُضفي تنوعاً فكرياً وطرحاً جديداً للموضوعات التربوية، مما يثري المكتبة العربية الإسلامية.

٢. أن تقوم المؤسسات التربوية بتعليم النشء مهارة حل المشكلات الإنسانية عبر آليات مختلفة، من دورات تدريبية، وورش عمل، وبرامج عملية وإرشادية لجميع المراحل العمرية،

ثم تقوم بتوجيه قادة الرأي في المجتمع الإسلامي الناس إلى أهمية بناء العقلية المتزنة المتعاونة القادرة على تحمل مسؤولياتها وواجباتها تجاه المجتمع.

٣. أن يتوجه الباحثون في مجال التربية الإسلامية إلى دراسة عدد من الموضوعات البحثية منها:

- دراسة المشكلات الاجتماعية ومناهج العلماء في معالجتها عبر العصور الإسلامية، في ضوء الظروف والأحداث التي عاصرتها، فذلك يبني هيكلية واضحة لعلم المشكلات الاجتماعية في ضوء التربية الإسلامية، فالمكتبة الإسلامية في حاجة إلى مثل هذه الجهود.
- دراسة أثر الحركات الإصلاحية في فكر الإمام التُّوزسي، ما أثر منها في فكره وما تأثر، للوصول إلى مناهج المنظومة الإصلاحية الإسلامية وعوامل ارتقائها وعوامل ضعفها.
- دراسة تأصيل الأساس الاجتماعي للتربية الإسلامية، لأن الكتابات الإسلامية المنهجية في هذا المجال ما زالت قليلة، وتحتاج إلى جهود الباحثين الذين ينطلقون من نصوص الوحي وثوابته.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الرقم	السورة	الآية
١٨٨	٢٧١	البقرة	﴿إِن تَبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
١٨٦	٢٦٨	البقرة	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾
١٨٩	٢٧٣	البقرة	﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَّا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَّا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾
١٣٧	١٧٠	البقرة	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَّا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾
٢١٣	٥١	البقرة	﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾
١٢١	٣٢	المائدة	﴿مِنَ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾
٢٢٣	٨٢	الأنعام	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾
١٦٩	١٦٤	الأنعام	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

١٨٣	١٥١	الأنعام	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾
١١٤	٦٣	الأنفال	﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
١٩٠	١٠٥	التوبة	﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
١٥١	١٢	يونس	﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
١٥١	٦	هود	﴿وَمَا مِنْ ذَاتَبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾
١١٣	١١	الرعد	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾
١١٦	٣	إبراهيم	﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾
١٤٧	١٦	الإسراء	﴿وَإِذَا أَرْنَا أَن تَهْلِكَ قَرْيَةً أَمْزَنَّا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾
١٨٣	٣١	الإسراء	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً﴾
٢٢٥	٧٠	الإسراء	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾
٢١١	٧٣	طه	﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَبَقِي﴾

١٨٥	١٣٢	طه	﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾
٢٢٤	٤٠	الحج	﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
٣٢	٣٥	النور	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾
١٥٥	٦٧	الفرقان	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾
١٣٥	٤٠	الشعراء	لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْعَالِيِينَ﴾
١٣٥	٢١	لقمان	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾
١٤٨	٣٤	سبا	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾
١٧٨	١٥	فاطر	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾
١٩٢	١١	الزمر	﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾
١٦٤	٣٤	فصلت	﴿انْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾
٢٢٤	٣٨	الشورى	﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾
١٥٠	٢٣	الزخرف	﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾

٢٣٢	١٠	الحجرات	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾
٢٠٤	١٣	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
١٥١	٨٥	الذاريات	﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾
١٨٣	١٢٢	الذاريات	﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾
١٩٠	٨	الحشر	﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾
٢٢٠	٧	نوح	﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾
١٢٨	٣-٢	الصف	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
٦٩	١٩	الشمس	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّاهَا﴾
٦٨	٤	التين	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الصفحة	اسم الصحابي	طرف الحديث الشريف
١١٧	عن أبي هريرة رضي الله عنه	"الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة..."
١٢٦	عن ابن مسعود رضي الله عنه	"كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة..."
١١٠	عن أنس رضي الله عنه	"كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة وكان خمرهم يومئذ الفضيخ فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي..."
٢٣٤	عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما	"كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية..."
١١٧	عن أبي هريرة رضي الله عنه	"لا تدخل الجنة من لا يأمن جاره..."

فهرس المراجع

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م.
- إززال، حسن، بديع الزمان سعيد النُوزسي ومشروعه الإصلاحى فى التربىة والتعلیم، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية. مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، تركيا، العدد الثالث، ٢٠١١م
- أوغلو، أحمد داود، سياسة العالم الإسلامى فى القرن العشرين فى نظر النُوزسى، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، استانبول، العدد الثالث، ٢٠١١.
- البخارى، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع الصحیح، حسب ترقيم فتح البارى، ط١، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- بدوى، أحمد زكى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعیة، د.ط، بیروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٦م.
- بكار، عبدالكريم، تجديد الوعى، ط١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م.
- بكار، عبدالكريم، من أجل انطلاقة حضارية شاملة، أسس وأفكار فى التراث والفكر والثقافة والاجتماع، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩م.
- بكار، عبد الكريم، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامى، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩م.
- بكير، حسن عبد الرحمن، بديع الزمان سعيد النُوزسى وأثره فى الفكر والدعوة، رسالة ماجستير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن، ١٤٢٠هـ.
- بن نبى، مالك، المسلم فى عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩.

• بن نبي، مالك، مشكلات الحضارة "القضايا الكبرى"، ط ١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩.

• بن نبي، مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة، أحمد شعبو، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م.

• بن نبي، مالك، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، د.ط، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦.

• بن نبي، مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، د.ط، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦.

• بيومي، محمد أحمد، المشكلات الاجتماعية دراسات نظرية وتطبيقية، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

• التير، مصطفى عمر، المشكلات الاجتماعية تحديد الإطار العام، مجلة الفكر العربي، العدد ١٩٨١م.

• تاراجوثا، فيديريكو مايور، نظرة في مستقبل البشرية قضايا لا تُحتمل، ترجمة محمود علي مكي، د.ط، دار العالم العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٨٧م.

• جبارة، عطية جبارة. علي، السيد عوض، المشكلات الاجتماعية، ط ١، دار الوفاء، الاسكندرية، ٢٠٠٣م.

• الجندي، أنور، الفكر الغربي دراسة نقدية، ط ١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٩٨٧م.

• الجندي، أنور، القرن الخامس عشر الهجري، التحديات في وجه الدعوة الإسلامية والعالم الإسلامي، د. ط، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، د. م، ١٩٨٠.

- الجندي، أنور، مشكلات العصر في ضوء الإسلام، د.ط، د.م، ١٩٧٢م.
- الجولاني، فادية عمر، تشخيص وعلاج المشكلات الاجتماعية والنفسية، د.ط، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ٢٠٠٣م.
- الجوهري، محمد محمود. السمري، عدلي محمود، المشكلات الاجتماعية، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠١١م.
- جيل، عمار، اهتمام رسائل النور بالمستقبلات، المؤتمر العالمي التاسع ببيع الزمان سعيد النورسي، استانبول، ٢٠١٠م.
- الجبوسي، عبد الله، البناء النفسي للمسلم في ضوء السنة النبوية وأبعاده الحضارية، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، المجلد الخامس والعشرون، العدد الخامس والعشرون، ٢٠٠٧م.
- حرب، محمد، السلطان عبد الحميد الثاني، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٠م.
- حسون، علي، الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م.
- حلي، علي عبد الرزاق، السيد، السيد عبد العاطي، بيومي، محمد أحمد، البدوي، محمد علي محمد، علم الاجتماع والمشكلات الاجتماعية، د. ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٣م.
- الخطيب، محمد عثمان حسن، مذهب النورسي في المعرفة ودوره في تجديد منهجية التفكير الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٠م.
- خوالده، ناصر أحمد، ويحيى إسماعيل عيد، طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العملية، عمان، دار حنين للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

- رفيق، السكري، العنف الفكري والدعاية السياسية، مجلة الفكر، العدد ٧١، ١٩٩٣م.
- الرماني، زيد بن محمد، المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية، د.ط، رابطة العالم الإسلامي، د.م، ١٤١٥هـ.
- ديونو: إدوارد، تحسين التفكير بطريقة القبعات الست، ترجمة عبد اللطيف خياط، د.ط، دار الإعلام، عمان، ٢٠٠٢م.
- زاده، جلال جلالي، قضية العنصرية والظلم الاجتماعي الناتج منها من منظور الإمام النُوزسي، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبيدع الزمان سعيد النُوزسي، استانبول، ٢٠١٠م.
- الزبيدي، مفيد، العصر العثماني موسوعة التاريخ الإسلامي، د.ط، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م.
- الزناتي، عبد الحميد السعيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ط١، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٤م.
- سالم، أحمد محمد، أثر الإيمان في درء العنف قراءة في رسائل النور، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبيدع الزمان سعيد النُوزسي، استانبول، ٢٠١٠م.
- السحمراني، أسعد، مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٤م.
- سعادة: جودت أحمد، تدريس مهارات التفكير، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣م.
- سكوت، جون، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان، ط١، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م.

• الشتاء، السيد علي، المنهج العلمي والعلوم الاجتماعية، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة،
الاسكندرية، ١٩٨٢م.

• الشريفين، عماد عبدالله، العنصرية والقومية السلبية من خلال كليات ضوء رسائل النور
لنورسي، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان سعيد النورسي، استانبول،
٢٠١٠م.

• شطناوي، يحيى ضاحي، حلول الحد من عادات الاستهلاك في ضوء رسائل النور للإمام
نورسي، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان سعيد النورسي، استانبول،
٢٠١٠م.

• شفيق، منير، في نظريات التغيير، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م

• الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ط٢، القاهرة، مكتبة
الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م.

• الشيباني، عمر التومي، فلسفة التربية الإسلامية، د.ط، الدار العربية للكتاب، دم، ١٩٨٨م.

• صالح، سامية خضر، إستراتيجية مواجهة العنف، رؤية نقدية ودراسة تطبيقية، القاهرة،
مؤسسة الطويجي، ٢٠٠٣م.

• صالح، نهيل علي، مراعاة الأولويات في الإسلام ودلالاتها التربوية، رسالة ماجستير غير
منشورة، جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠٥م.

• صبحي، عبد السلام، حقيقة التقليد ومسائله، مجلة كلية الآداب، جامعة الإمارات، العدد
الأول، ١٩٨٥م.

- الصلابي، علي محمد حمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، د.ط، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- الطنطاوي، عبدالله، منهج الإصلاح والتغيير عند بدیع الزمان النُوزسي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧م.
- العاجز، فؤاد، العوامل المؤدية إلى تفشي العنف لدى طلبة المرحلة الثانوية مدارس محافظة غزة، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، ٢٠٠٢م.
- عبد الحميد، محسن، التربية السلوكية عند النُوزسي، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية. مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، تركيا، العدد الثالث، ٢٠١١م.
- عبد الحميد، محسن، النُوزسي الرائد الإسلامي الكبير، د.ط، مطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، الموصل، ١٩٨٧م.
- عبد المؤمن، علي معمر، البحث في العلوم الاجتماعية الوجيه في الأساسيات والمناهج والتقنيات، ط١، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ٢٠٠٨م.
- العذاري، عدنان داوود محمد، الدعوي، هدى زوير مخلف، قياس مؤشرات ظاهرة الفقر في الوطن العربي، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٠م.
- عضيبات، عاطف العقلة، الدين والتغيير الاجتماعي في المجتمع العربي، د.ط، الهيئة المعرفية العلمية للكتاب، دم، ١٩٩٠م.
- عفاف بنت إبراهيم، المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية، د.ط، مكتبة الصفوة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٢م.
- العقل، ناصر بن عبد الكريم، التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٤هـ.

- علي، سعيد إسماعيل، التصور النبوي للشخصية السوية، د.ط، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٣٧٩هـ-١٩٧٩م.
- عمر، معن خليل، علم المشكلات الاجتماعية، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين، ١٩٩٨م.
- العموش، أحمد. العليمات، حمود، المشكلات الاجتماعية، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، القاهرة، مصر، د.ط، ٢٠٠٨.
- عيسى، إبراهيم عبدالله، المنهجية المعاصرة لدى ابن خلدون، د.ط، اتحاد الأدباء العرب، صنعاء، ٢٠٠٦م.
- الغزالي، محمد، الإسلام والاستبداد السياسي، ط١، دار النهضة، مصر، ١٩٦١.
- غيث، محمد عاطف، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٢م.
- فايسشتاين، أولريتش، التأثير والتقليد، ترجمة مصطفى ماهر، مجلة فصول، المجلد الثالث، العدد الثاني، ١٩٨٣م.
- فرح، محمد سعيد، البناء الاجتماعي والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩م.
- قدورة، زاهية، تاريخ العرب الحديث، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م.
- القرني، سعيد بن محمد، المنهج التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، ١٩٩٨م.

• القرني، محمد بن مسفر، مدى تأثير العنف الأسري على السلوك الانحراف لطالبات المرحلة المتوسطة بمكة المكرمة، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، ٢٠٠٥م.

• قنديل، محمد السيد، أثر بديع الزمان سعيد النورسي في إحياء الاتجاه الإسلامي المعاصر في تركيا، د.ط، القاهرة، شركة سولز للنشر، ١٩٩٨م.

• قنوص، صبحي محمد، دراسات في علم الاجتماع، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٠م.

• القوسي، مفرج بن سليمان، العوامل المغذية لثقافة العنف وعلاجها في رسائل النور، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان سعيد النورسي، استانبول، ٢٠١٠م.

• القيسي، مروان إبراهيم، المضامين التربوية في العقيدة الإسلامية، محاضرات في مساق المضامين التربوية في العقيدة الإسلامية، جامعة اليرموك.

• كمال، طارق، العلاقات المشتركة بين علم الاجتماع والمشاكل الاجتماعية، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ٢٠٠٩م.

• الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد، ط٣، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٦م.

• الكيلاني، عبد الرزاق، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، ط١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤م.

• الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، د.ط، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

• الكيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط٢، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٩م.

• مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، تصدر عن مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم، موقع النور على شبكة الانترنت، <http://www.nuronline.com/news.php?nid=226>

• محمود، علي عبد الحليم، التربية العقلية، د.ط، دار التوزيع والنشر الإسلامي، د.م، ١٩٩٦م.

• مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، د.ط، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

• مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، د.ط، طهران، المكتبة العلمية، د.ت.

• مقدم، فتحي رضوان، مصطفى كمال أتاتورك، د.ط، دار ومطابع المستقبل، الاسكندرية، ١٩٨٣م.

• مكايي، عبد الغفار، جذور والاستبداد، ط١، عالم المعرفة، ١٩٩٤.

• موسى، محمد حسني محمد، الرفق وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢م.

• الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط٢، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٩٨٩م.

- موقع فتح الله كولن، نبذة عن حياة الأستاذ فتح الله كولن، مقال منشور على شبكة الانترنت، بتاريخ 28.09.2006. www.fgulen.com/content/view/688/34.
- النحلاوي، عبدالرحمن، أصول التربية الإسلامية، ط ٣، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- نخبة من أساتذة قسم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية لطلاب قسم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د.ط، ١٩٨٥م.
- الندوي، أبو حسن علي حسني، الإمام السرهندي، حياته وأعماله- رجال الفكر والدعوة، د.ط، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣م.
- الندوي، أبو الحسن علي حسني، النُّوزسي ودعوته، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، تركيا، العدد الثالث، ٢٠١١م.
- النعيمي، أحمد نوري، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، ط ١، عمان، دار البشير، ١٩٩٣م.
- النُّوزسي، سعيد، سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان الصالحي، ط ٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٤م.
- النُّوزسي، سعيد، الشعاعات، ترجمة: إحسان الصالحي، ط ٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٥م.
- النُّوزسي، سعيد، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان الصالحي، ط ٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٤م.

- النُّوزسي، سعيد، الكلمات، ترجمة: إحسان الصالحي، ط ٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٤م.
- النُّوزسي، سعيد، اللغات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط ٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٤م.
- النُّوزسي، سعيد، المثنوي العربي النوري، ترجمة: إحسان الصالحي، ط ٣، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٣م.
- النُّوزسي، سعيد، المكتوبات، ترجمة: إحسان الصالحي، دار سوزلر، استانبول، ط ٤، ٢٠٠٤م.
- النُّوزسي، سعيد، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة: إحسان الصالحي، دار سوزلر، استانبول، ط ٤، ٢٠٠٤م.
- النيل، حسن عبدالله، المفاهيم الاقتصادية عند الإمام النُّوزسي، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان سعيد النُّوزسي، استانبول، ٢٠١٠م.
- هدهود، ناجي عبد الباسط، التربية عند النُّوزسي بالقرآن والدعوة والحرية، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان سعيد النُّوزسي، استانبول، ٢٠١٠م.
- الهنادة، عبد اللطيف رفيعان، أسماء الله الحسنى في فكر بديع الزمان النُّوزسي من خلال رسائل النور، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٩م.

- واحدة، شكران، الإسلام في تركيا الحديثة، بديع الزمان النُوزسي، ترجمة محمد فاضل، قراءة في كتاب، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، تركيا، العدد الأول، ٢٠١٠م.
- الوكيل، محمد السيد، استمرارية الدعوة نماذج من الدعوة من القرن السابع إلى القرن الرابع عشر، ط١، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٩٤م.
- وول، جون أوبرت، حركة التجديد والإصلاح في أواسط القرن العشرين، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، استانبول، العدد الثاني، ٢٠١٠.
- يفريموفا، ناتاليا. سلوم، توفيق، معجم العلوم الاجتماعية، بيروت، دار التقدم - موسكو، ط١، ١٩٩٢م.

Abstract

Saleh, naheel, social problems and their treatment in light of kuliya rasayel alnour by alimam Nourasi and the contemporary educational thought P.h.D thesis yarmouk university. (Supervised: by Dr. Mohammad Malkawi and Prof. Dr. Majed Aljalad.)

This study aims to introduce AL Nourasi approach that deals with social problems in this age. This is through explaining their sort, approaches and ways in the light of the modern educational concepts.

Due to their effects on our modern life, social problems have a very important place in our efforts and our Islamic methods.

This study illustrates social problem models studied searchingly and analyzingly by AL Nourasi.

He explained their items, concepts and reasons in dealing with many social troubles as: imitation, luxury, violence, poverty, racism and tyranny.

The researcher has used the analytic descriptive approach that illustrates the phenomenon of the social problems. This is through studying social problem texts written by Al Nourasi imam in order to find suitable modern educational application and social projects that come from rasayel AL Noor methodology. More over, the most important result of this study is the success of AL Nourasi is methodology in rescuing his society from imitation, tyranny, violence, and aggression etc. This is because his approach agrees with the Islamic nations beliefs, faith and outlook to future.

key words: rasayel AL Noor, AL Nourasi, social problems.